المملكة المغربية
وزارة الثقافة والشباب والرياضة
قطاع الثقافة

Royaume du Maroc
Ministère de la Culture de la Jeunesse et des Sports
Département de la Culture

أبحاث في الكتاب العربي المخطوط

تنسيق
عبد العزيز الساوري

3
الجزء الثالث

أبحاث

في الكتاب العربي المخطوط

تنسيق

عبد العزيز الساوري

الجزء الثالث

عنوان الكتاب: أبحاث في الكتاب العربي المخطوط

التصفيف: دار الحديث الكتانية – طنجة

الناشر: وزارة الثقافة والشباب والرياضة (قطاع الثقافة) – الرباط المملكة المغربية

الطباعة : مطبعـــة دار المنـــاهـــل Tél :+212 537 77 15 16

Email : contact.idam@minculture.gov.ma

رقم الإيداع القانوني: 2020MO2352

الرقم الدولي المعياري للكتب (ردمك): 978- 9920- 692- 15- 1

الفـهرس

قراءة في كتاب: نوازل ابن الحاج التجيبي (ت.529هـ)
هشام البقالي..... 5

قراءة لمخطوطة: «صحيح» ابن حبان وعليها خط الحافظ ابن حجر وجماعة من العلماء
عبد الحليم بن ثابت 79

من أعلام الرواية والحديث بمراكش الحمراء: الحافظ الرُّحَلة أبو عبد الله محمد بن علي ابن قُطْرَالّ المراكشي (تـ:710هـ)
نورالدين الحميدي 139

التعريف بمخطوط سوسي: «شرح كتاب التلقين» للإمام القاضي أبي علي حسين بن داود الرسموكي التاغاتيني (ت914هـ)
محمد علوان..... 167

التعريف بالإمام أبي عبد الله محمد ابن أبي الخصال وقصيدته الموسومة بـ: معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب في ذكر نسب الرسول ﷺ ومعجزاته ومناقب الصحابة
الحسين مهداوي..... 183

مخطوط: «كتاب الحلال والحرام» لأبي الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي إشْكالاتٌ في تحْقيق العنوان وتَوْثيقِ النِّسْبة
يونس بقَيان.....229

كتاب «المبشرات النبوية» للشيخ عبد الحي الكتاني وقيمته العلمية في بيان أحاديث الرؤى الصالحة
أنور المحساني.....267

قراءة في كتاب:
نوازل ابن الحاج التجيبي (ت:529هـ)

هشام البقالي- وزارة التربية الوطنية

باحث في تاريخ المغرب والأندلس

ازدانت المكتبة المغربية الأندلسية بإصدار جديد في مجال النوازل، يتمثل في تحقيق ودراسة **نوازل ابن الحاج التجيبي**[1]، من طرف الدكتور أحمد اليوسفي شعيب، أستاذ التاريخ سابقا بكلية الآداب تطوان، جامعة عبد المالك السعدي.

ونسعى في هذا المقال المساهمة في التعريف بالكتاب وأهميته التاريخية، محاولين الكشف عن أهم القضايا التي عالجها ابن الحاج في نوازله.

1- أهمية كتب النوازل

لا يخفى على الباحثين أهمية كتب النوازل الفقهية؛ أو ما يسمى أيضا

(1) محمد ابن الحاج التجيبي: **نوازل ابن الحاج التجيبي**، دراسة وتحقيق، الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان 2018، 3 أجزاء، والعمل أصله أطروحة جامعية قدمها الباحث لنيل دكتوراة الدولة في التاريخ، تمت مناقشتها يوم الجمعة 08 شتنبر 2017، برحاب كلية الآداب بتطوان، وستصدر طبعة أخرى جديدة ومنقحة قريبا في دولة الإمارات العربية المتحدة، نظرا لما شاب هذه الطبعة من شوائب مطبعية خارجة عن إرادة المحقق.

بـ: **الأجوبة** أو **المسائل** أو **الفتاوى**[1]، من الناحية التاريخية[2]؛ فهي كتب

(1) يطلق عليها النوازل والفتاوى والأجوبة والأحكام والمسائل، وكلها مصطلحات تعكس مفاهيم متقاربة، إبراهيم القادري بوتشيش: «**النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق 5 ـ 6 هـ/ 12 ـ 13م)**»، مجلة **التاريخ العربي**، عدد 22، ربيع 2003 م، محمد بن شريفة: «**وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض**»، مجلة **دعوة الحق**، عدد 264، أبريل ـ مايو 1987، ص 94، مبارك جزاء الحربي: «**جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية**»، مجلة **الشريعة والدراسات الإسلامية**، العدد الرابع والستون – السنة الحادية والعشرون – مارس 2006، محمد حجي: **نظرات في النوازل الفقهية**، منشورات الجمعية المغربية للبحث للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء 1999، ص 30، نسيم حسبلاوي: «**التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي: من البداية إلى عصر الونشريسي**»، مجلة الحكمة، عدد 12، 2012، ص 225، محمد بن حسن شرحبيلي: **تطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامي حتى نهاية العصر المرابطي**، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 2000، ص 335.

(2) تميز العصر المرابطي بكثرة المجاميع الفقهية والمؤلفات النازلية التي ألفت خلاله، لدرجة أن المرحوم محمد بنشريفة يتحدث عن: «**الانفجار الفقهي في عهد المرابطين**»، أنظر: «**أوائل الإفتاء والمفتين بالمغرب**» ضمن كتاب: **التاريخ وأدب النوازل**، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 46، المحمدية، 1995، ص 40، وأنها «**بلغت حد التراكم**»، نفسه: «**نوازل غرناطية لابن عاصم**»، ضمن كتاب: **التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1993، ص 215، مصطفى بنسباع: «**ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الخامس: **العلوم الشرعية**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط: 1417هـ/1996م، ج5، ص: 285، إذ حصل «تراكم إنتاجي في ميدان معرفي هو =

ناطقة بمرونة الفقه الإسلامي وبراءته مما قد يلصقه به البعض من عدم القدرة على مواكبة مستجدات الحياة وتطورات العصر، فقد اهتم فقهاء المغرب والأندلس أكثر من غيرهم بتدوين النوازل الفقهية في تصانيف مفردة تحمل اسم النوازل[1].

ومما لا مشاحة فيه أن قلة الوثائق والمصادر تعد من أولى المشاكل التي تواجه الباحث لدراسة التاريخ الإسلامي، خاصة في العصر الوسيط، لذلك اتجهت أنظار الباحثين إلى مصادر جديدة لسد بعض الثغرات في المادة التاريخية المتوفرة[2].

= ما عرف بكتب الفتاوى أو الأحكام أو النوازل أو المسائل في كل من المغرب والأندلس»، وتفردت الأندلس «خلال العصر المرابطي بإنتاج العديد من الكتب في هذا الفرع من الفقه الاسلامي»، نفس المرجع والصفحة. يوسف نكادي: **التراث الفقهي المالكي الأندلسي بين التنوع والتكامل إسهامات كتب الأحكام وكتب الفتاوى وكتب العقود في تسليط الضوء على الاستغلاليات الخاصة وعلى نظم استثمارها**، مقال على الرابط التالي:

https://www.alukah.net/publications_competitions/0/40525/#ixzz5iKZFAcde

(1) María Arcas Campoy"، **Algunas consideraciones sobre los tratados de jurisprudencia mālikí de al-Andalus** "; Miscelánea de estudios árabes y hebraicos. Sección Árabe-Islam. Vol. 37 (1988) ; pp: 13- 21.

(2) محمد مزين: «**حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية**»، ضمن ندوة **البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، جامعة محمد الخامس 1989، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ص 77، نفسه: «**التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج: النوازل الفقهية**»، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس**، =

جاء اهتمام المؤرخين بكتب النوازل والأجوبة في سياق اهتمامهم بتجديد الكتابة التاريخية[1] التي تستدعي استعمال أجناس مصدرية مختلفة، لا سيما وأنها غنية بالمعطيات النظرية – الفقهية[2]، وبأخرى تاريخية[3]؛

= جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، عدد خاص 2 سنة 1406هـ-1985م، دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء، ص 105، ابن ورد الأندلسي: **أجوبة ابن ورد الأندلسي**، دراسة وتخريج الدكتور محمد الشريف، الرباط 2008، ص 41، إبراهيم القادري بوتشيش: «**ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة**»، ضمن أعمال ندوة: **حضارة الأندلس في الزمان والمكان**، منشورات جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، 1993، ص 157.

(1) عمر بن حمادي: «**النوازل بين طرافة القضايا ومشاكل النسخ وصعوبات التحقيق**»، مجلة **دراسات اندلسية**، ع 44، تونس 2010، ص 39، المنوني محمد: **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث، 1404هـ-1983م**، الجزء الأول، ص 8، عمر أفا: **نوازل الكرسيفي مصدراً للكتابة التاريخية**، ضمن كتاب: **التاريخ وأدب النوازل**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1995م، ص205، بنحمادة سعيد، «**الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية**»، **كان التاريخية**، السنة السادسة، العدد الثاني والعشرون/ ديسمبر (كانون الأول) 1435هـ-2013م، ص: 116.

(2) الهلالي محمد ياسر: **نوازل بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، تقديم وترتيب ببليكرونولوجي، ضمن: **فقه النوازل في المذهب المالكي قضايا وأعلام**، **مجلة دعوة الحق**، ع 396، جمادى الثانية 1431هـ/ يونيو2010م، ص، 141.

(3) انظر إبراهيم القادري بوتشيش: «**النوازل الفقهية في الأطروحات الجامعية: التوجهات، الإضافات المعرفية والإشكالات المنهجية**»، مجلة **عصور الجديدة**، ع 16-17، أبريل 2014- 2015، ص 45.

ورغم اختلافهم لمدة لا يستهان بها حول قيمة هذا النوع من المصادر في الكتابة التاريخية، فقد أضحى من الشائع استغلالها خاصة بالنسبة للحقب التاريخية التي تشح فيها المادة المصدرية، خاصة أنها «الأكثر قربا من الوقائع اليومية المكشوفة»[1].

أشاد المؤرخون بكتب النوازل، وبيَّنوا أهميتها في الدراسات الخاصة بالمجتمع وحياة الناس اليومية والاقتصادية[2]، ودعوا إلى ضرورة الْغَوْر في مسائل كتب النوازل وَنَفْض الغبار عن القضايا التي أهملتها كتب التاريخ السَّابِحَة في بحور السياسة والحروب وأهملتها كتب المناقب والتراجم والطبقات التي أبحرت بدورها في الجوانب السياسية والعلمية والثقافية[3].

---

(1) بنميرة عمر: «**جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الأول التاريخ وفلسفته، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996م، ج1، ص 205.

(2) سعيد غراب: «**كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية، مثال نوازل البرزلي**»، **حوليات الجامعة التونسية**، ع16، 1978، عبد العزيز خلوف: «**قيمة فقه النوازل التاريخية**»، مجلة **البحث العلمي**، ع29- 30، 1979، محمد حسن: «**الريف المغربي في كتب النوازل**»، **الكراسات التونسية**، عدد (131- 132)، 1985، محمد فتحة: **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي**، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الدار البيضاء 1999، ص 19، حسبلاوي نسيم، **التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي**، م س، ص. 228،

Thami AZEMMOURI, **les Nawazil d'Ibn Sahl, Section relative à l'Ihtisab**, 1 partie: Introduction texte arabe et bibliographie, HESPERIS TAMUDA, UNIVERSITE MOHAMMED V, FACULTE DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES, VOL XIV_ Fascicule unique, EDITIONS TECHNIQUES NORD AFRICAINES 1973, p: 7

(3) مما تجدر الإشارة له هنا أن مصنفات النوازل الفقهية نُظِرَ إليها في الميدان التاريخي =

يرجع الفضل للمدرسة الاستشراقية في التنبيه إلى قيمتها المصدرية وإمكانية استغلالها وتوظيفها ضمن البحث التاريخي، وذلك مع مطلع القرن العشرين. فقد صدرت بباريس ضمن نشرة «**الأرشيف المغربي**» ترجمة

= بأنها كتب فقهية خالصة، لا يمكنها أن تكون في مستوى تطلعات المؤرخين، بلهواري فاطمة: «**النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية**»، **مجلة عصور**، مجلة علمية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران-الجزائر، ع 17، جوان/ ديسمبر 2011، ص: 83، واعتبرها المستشرق Jean Sauvaget في كتابه: **مدخل لتاريخ المشرق الإسلامي**، الصادر العام 1943، من «التآليف التي لا طائلة تُرتجى منها، بل حذر المؤرخين من استعمالها في دراستهم للأوضاع الاجتماعية»، أحمد اليوسفي شعيب: «**أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحاج) القرطبي نموذجا**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الأول التاريخ وفلسفته، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996م، ج1، ص: 385، سعد غراب: «**كتب الفتاوى وقيمتها الاجتماعية**...م. س، ص: 66-67. ونظرا لحاجة الباحثين لاقتحام جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي، فرض عليهم الانحياز نحو هذا الصنف الفقهي نظرا لعدم وجود وثائق أخرى، تسهم في نفض الغبار عن جوانب من التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني...، انظر بوداود عبيد: «**كتب نوازل وفتاوى الغرب الإسلامي الوسيط مصدرا للدراسات التاريخية والتشريعات القانونية**»، ضمن ندوة **التاريخ والقانون، التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة**، أعمال مهداة للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل، أيام 3-4-5 نونبر 2009، الجزء الأول، سلسلة الندوات رقم 22، 2009، جامعة مولاي إسماعيل مكناس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية، ص 31، إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع- الذهيات- الأولياء**، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط 2، 2004، ص 5.

فرنسية لمختارات من فتاوى المعيار للونشريسي على يد إميل عمار سنة 1908 و1909م[1].

ومن جملة المستشرقين الذين تنبهوا لأهميتها في الكشف عن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للأندلس المستشرقان الإسبانيان: Lopes ortis، وSalvador villa[2]، ناهيك عن المستشرق الفرنسي جوزيف شاخت، الذي رأى بأن «فهم المجتمع الإسلامي سيظل رهينا بمدى فهم ودراسة هذه النوازل والاستفادة من مادتها الخام»[3]، بل ذهب البعض إلى اعتبارها مصادر أساسية للمؤرخ، إذ لا يمكن اعتبار ما نكتبه من تاريخ عملا كاملا وقريبا من أعمال الماضي إلا إذا تم استغلال كتب النوازل[4]، كونها تشكل «أهمية عظمى ليس فقط في مجال الفقه

---

(1) Ahmad alwancharisi**, la pierre de touche des fétwas**: choix de consultations juridiques des faqihs du Maghreb, traduites et analysées par Émile Amar T, I, in archives marocaines, V, XII , publication de la mission scientifique du maroc, Ernest Leroux, paris, 1908.

(2) أنظر تنويه الدكتور محمود علي مكي بأعمالهما بمناسبة تقديمه لكتاب الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف: **وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس**، القاهرة 1980، ص 3- 4، محمد حجي: **نظرات في النوازل الفقهية**، م. س، ص 168، شعيب أحمد اليوسفي، «**أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحاج) القرطبي نموذجا**»، م. س، ص 383- 384- 385، ابن ورد الأندلسي: **أجوبة ابن ورد**، م. س، ص 41 من مقدمة التحقيق.

(3) زناتي أنور محمود: «**كتب النوازل مصدرا للدراسات التاريخية والقانونية في المغرب والأندلس**»، ضمن ندوة **التاريخ والقانون**، م. س، الجزء الثاني، ص: 518.

(4) عمر بنميرة: **النوازل والمجتمع: مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط**، =

الإسلامي في الأندلس فحسب، إنما أيضا في غزارة المعلومات التي تقدمها لنا حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية فيه، هذه المعلومات تكاد تخلو منها تقريبا كتب المؤرخين»[1]. وغيرهم من الباحثين الذين انفتحوا على دراسة هذا الصنف من المصادر[2].

أما المؤرخون المغاربة فتنبهوا لأهميتها في وقت متأخر نسبيا، فقد استفاد منها على سبيل المثال لا الحصر: محمد حجي[3]، ومحمد

= **القرنان الثامن والتاسع/14 و15**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط: اطروحات ورسائل 76، 2012، محمد مزين: «**حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية**»، م. س، ص 73، نفسه: «**التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج: النوازل الفقهية**»، م. س، ص 105، ابن ورد الأندلسي: **أجوبة ابن ورد الأندلسي**، دراسة وتخريج الدكتور محمد الشريف، الرباط 2008، ص 43، Maria J. Viguera: **En torno a las fuentes juridicas de la al Andalus** ; Actes de colloque: La civilisaion d'al Andalus dans le temps et dans l'Espace , Mohammadia, 1993, pp 71- 78.

(1) R. ARIÉ: España musulmana (siglos VIII - XV): Historia de España dirigida por Manuel Tuñón de Lara, III, Barcelona 1989, p.100.

(2) محمد حجي: **نظرات في النوازل الفقهية**، م. س، ص 168- 169، ابن ورد الأندلسي: **أجوبة ابن ورد الأندلسي**، م. س، ص 42- 43 من مقدمة التحقيق، الهلالي محمد ياسر: **نوازل بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، م. س، ص 143،

(3) يعتبر المرحوم محمد حجي من أوائل المؤرخين الذين اعتمدوا على كتب النوازل في الدراسات التاريخية، وذلك في كتابه: **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الرباط 1964، ص 163.

المنوني[1]...؛ ومنذ سنة 1970 شهدت الدراسات التاريخية المغربية طفرة نوعية وكمية لكتب النوازل[2]، مع عبد الله العروي[3]، أحمد التوفيق[4]، العربي مزين[5]، محمد مزين[6]، عبد العزيز التمسماني

(1) محمد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، كلية الآداب بالرباط، الطبعة الثالثة، 2000 م، 588 صفحة.

(2) سواء تعلق الأمر باستغلالها في رسائلهم الجامعية أو دراستها وتحقيقها تحقيا علميا، بحيث يصعب على الباحث حصر الدراسات الأكاديمية والمقالات التي اتخذت من كتب النوازل مصدرا أساسيا في أبحاثها.

(3) تاريخ المغرب بالفرنسية، حيث أكد على أهمية توظيف كتب النوازل في الكتابة التاريخية لإعادة بناء تاريخ المغرب.

(4) أحمد التوفيق: **المجتمع المغربي في القرن 19 (اينولتان 1850-1912)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، ، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 63، مطبعة النجاح الجديدة – الدار البيضاء، الطبعة: الثالثة – سنة 2011م، 671 صفحة.

(5) تافيلالت، الإسهام في تاريخ المغرب بين القرنين 17 و18، سنة 1977، بالفرنسية، وقد صدرت بالعنوان التالي:

Mezzine, Larbi: **Le Tafilalt: contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles,** Université Mohamed V, 1987, Rabat, (387 p.).

(6) محمد مزين: **فاس وباديتها: مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، 1549م – 1637م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1986، سلسلة رسائل واطروحات رقم 12، جزآن (639 صفحة)، كما اتخذ الدكتور محمد مزين من كتاب **الجواهر المختارة مما وقفت عليه من النوازل بجبال غمارة**، لأبي فارس عبد العزيز بن الحسن الزياتي (1055هـ/ 1645م)، موضوعا لأطروحته الجامعية التي ناقشها بجامعة باريس سنة 1988، بعنوان «**زمن المرابطين والأشراف: محاولة في التاريخ الاجتماعي المغربي من خلال كتب النوازل**»، وأصلها بالفرنسية:

Mohamed Mezzine, **le temps des marabouts et des chorfas Essai d'histoire sociale - marocaine à travers les écrits de jurisprudence** religieuse, paris, 1988. ونشرت ضمن منشورات =

خلوق[1]...؛ لتشهد العقود التالية انفجارا في الدراسات التاريخية التي نهلت من كتب النوازل أو جعلتها محورا لدراساتها التاريخية[2].

2- أقسام الكتاب

والكتاب الذي بين أيدينا من أهم كتب النوازل التي ألفت في الأندلس؛ يتضمن 783 مسألة، وُجِّهَت إلى الإمام الفقيه القاضي الشهيد أبي عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي (ت 529هـ)، من مدينة قرطبة قرطبة وغيرها[3].

= كلية الآداب فاس ساسي بعنوان:

Fuqaha à l'épreuve de l'Histoire: Sainteté pouvoir et société au Maroc début des temps modernes, Fés, 2003, 677p.

هذا؛ وقد ناقشت الباحثة الأمريكية جاكلين هندريكسن أطروحة جامعية بجامعة إيموري الأمريكية حول موضوع:

Jacelyn Hendrickson, **The Islamic Obligation to Emigrate; AL-Wansharisi's Asans al Matajir** Reconsidered, Dissertation submitted to the Faculty of the Graduate School of Emort University, 2009.

(1) عبد العزيز التمسماني خلوق: «**قيمة أدب النوازل الفقهية من المنظور التاريخي**»، جريدة **العلم**، السبت 4 دسمبر 1993، وقد نال دكتوراه السلك الثالث سنة 1978 من جامعة بوردو بفرنسا بتحقيقه لجزء من نوازل البرزلي.

(2) نذكر على سبيل المثال لا الحصر أعمال: عمر بنميرة، محمد فتحة، إبراهيم القادري بوتشيش، محمد الشريف، أحمد اليوسفي شعيب، محمد البركة...

(3) من قرطبة وأحوازها، إشبيلية، مرسية، بلنسية، جيان، ماردة، باغة ويابورة، إضافة إلى لبلة الغرب، ومن أشبونة (لشبونة حاليا)، ومدينة ابن السليم، فاس، أغمات، مكناسة، طنجة، بليونش ومن قرية ساسة...

والملاحظ أنه أجاب عنها بأجوبة متقنة ساقها على نسق ورودها عن سائلها. مع العلم أن تلك الإجابات لا تخلو من استطرادات وشروح كثيرة، بل إنه يسهب في تحليلها[1]، ناهيك أنه يحيلها على مدونات الفقه المالكي[2].

هذا؛ مع ما تميز به ابن الحاج من ضبط كبير؛ حجتنا في ذلك أنه يذكر النازلة بنصها، وفي بعض الأحيان يذكر تاريخها[3] ومكان

---

(1) انظر على سبيل المثال النوازل التالية: 73، 200، 285...

(2) من قبيل: **المدونة الكبرى رواية سحنون**، **انظر** النازلة 417، ص 443- 444، النازلة 535 ص 513، النازلة 426، ص 451، النازلة 522، ص 503، **الواضحة** لعبد الملك ابن حبيب، انظر النازلة 426، ص 451، النازلة 439، ص 457، النازلة 501، ص 491، **والواضحة** لعبد الرحمن بن القاسم العتقي، النازلة (512 ب)، ص 497، **العتبية (المستخرجة)**، النازلة 429، ص 452، النازلة 493، ص 486، النازلة 509، ص 495، النازلة 534، ص 513، وعن شيخ المالكية ابن شعبان من كتابه: **مُختصر ما ليس في المُختصر**، انظر رقم 446، 447، 494، 495، 496، 497، 512، 519...، **والموازية**، نازلة 105، ص 88، وكتاب **الاستحقاق** لابن قاسم التونسي، نازلة 575، ص 537، نازلة 538، ص 576، نازلة 594، ص 547...

(3) من قبيل قوله: «وذلك في رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائة» النازلة 467، ص 474، وقوله: «يوم الجمعة السابع من رجب اثنتي عشرة وخمسمائة في ولاية ابن رشد»، نازلة 482، ص 480، و«من إشبيلية في رجب سنة ست وخمسمائة»، نازلة 536، ص 514، و«في جمادى الأولى من سنة خمس عشرة وخمسمائة»، نازلة 537، ص 514، و«في عقب جمادى الأولى من سنة خمس عشرة وخمسمائة»، نازلة 540، ص 516، و«نزلت مسألة ثالثة في شعبان من سنة إحدى عشرة وخمسمائة»، نازلة رقم 418، ص 445...

حدوثها[1] بدقة كبيرة؛ بل أكثر من ذلك، فإننا نجده في بعض النوازل يذكر اسم السائل أيضا[2]. وإمعانا في الشرح والتوضيح، فإن ابن الحاج يقوم بسرد بعض القضايا الفقهية التي تعرض لها قضاة عصره ويبين أجوبتهم عنها[3]؛ أو يحيل على فتاوى أفتى فيها فقهاء عصره مشابهة لما وردت عليه[4]، بل والاعتماد على آرائهم في أجوبته والتشاور معهم[5].

---

(1) يقول ابن الحاج: «وقعت بقرطبة»، ص 62، النازلة 45، ص 64، نازلة 48، ص 65، نازلة 49، نازلة 674، ص 596، نازلة 683، ص 601، نازلة 689، ص 603، ومن سبتة راسله القاضي عياض كثيرا، انظر نازلة 632، ص 574، نازلة 672، ص 595...، ومن طليطلة، نازلة 399، ص 433، ومن حصن فرنحوش، نازلة 437، ص 456، ومن ببلنسية، نازلة 532، ص 512، نازلة 598، ص 549، ومن مدينة ماردة، نازلة 615، ص 711، ومن جيان، نازلة 714، ص 618، ومن مدينة أبدة، نازلة 721، ص 622، ومدينة باغة، ص 151، ومن وادي طوارة، نازلة 304، ص 334، والأمثلة كثيرة بهذا الخصوص.

(2) حيث يورد أن «هذه مسألة سعيد الطالب من أهل مرسية مع بنت بن ميسرة من وادي الحجارة»، نازلة رقم 430، ص 454، «وهي مسألة ابن اسماعيل من اشبيلية»، نازلة رقم 580، ص 539.

(3) انظر على سبيل المثال المسألة 7، ص 26، حيث أورد جواب أربعة فقهاء حول مسألة: **من حدث نفسه بالطلاق ولم ينوه**، وهم: القاضي أبو الوليد بن رشد، محمد بن منظور، علي بن خليفة، ومحمد بن الشيخ، وأيضا النازلة 57، ص 70، نازلة 178، ص 194، نازلة 184، ص 201...

(4) انظر على سبيل المثال لا الحصر النازلة 418، ص 444.

(5) انظر على سبيل المثال النوازل، 412، 419، 439، 454، 455، 456، 457، 475، 476، 484، 534... وكلها موافقة لما أفتى به ابن رشد، أو أن ابن رشد وافق ما ذهب إليه ابن الحاج، النازلة رقم 439، ص 458، أما عن القاضي ابن حمدين، فأنظر النازلة 451، ص 466، نازلة 735، ص 637.

ففي هذا الصدد يقول: «فجاء الكلام بيني وبين ابـن رشـد»[1]، وفـي موضع: «فاوضني في ذلك ابن رشد، فاتفق الرأي على هـذا»[2]، ويضـيف في نازلة أخرى «فأنا أذكر أن هذه المسألة جرت بيني وبين بعض أصـحابي من العدوة»[3]، وأيضا «سألني عنها»[4]، إضافة إلى قوله «فتجاريتها مع ابن رشد»[5]، كما «سألني عنها أبو محمد الرشتشاني[6]، وأخبرنا بها «القاضـي أبو عبد بن حمدين في ربيع الآخر من سنة أربـع وخمـس مائـة»، و«أفتيـت مع الفقيه أبي عبد الله بن العواد»[7]، بالإضافة إلى قوله «خاطبني أبو محمد عبد المنعم قاضي إشبيلية[8]».

وإمعانا في التدقيق نجده يذكر التاريخ الـذي حـدث فيـه التشـاور مـع فقهاء عصره، دليلنا في ذلك قوله «أخبرني بذلك في الجامع ليلة ثلاثين من رمضان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة»[9]، مـع العلـم أنـه اختلـف معهـم فـي كثير من القضايا[10].

---

(1) نازلة 591، ص 545.
(2) نازلة رقم 608، ص 556.
(3) نازلة رقم 314، ص 344.
(4) نازلة 315، ص 345.
(5) انظر النازلة 22، ص 40، النازلة 33، ص 49، النازلة 41، ص 58.
(6) نازلة 674، ص 596، وشاورني فيها القاضي أحمد بن محمد بن بقـي، نازلـة 616، ص 562.
(7) نازلة 89، ص 88.
(8) نازلة 736، ص 641.
(9) نازلة 61، ص 76.
(10) انظر النازلة 12، ص 33، نازلة 67، ص 80، نازلة 702، ص 611، نازلة 714، ص 618...

والملاحظ أنه حينما يستشهد بغيره، فإنه يذكر اسم المفتي ونص الفتوى وتاريخها ومكانها. ففي هذا الصدد يقول: «حكم بذلك كله القاضي ابن رشد في ذي القعدة من سنة أربع عشرة وخمسمائة»[1].

التزم ابن الحاج في نوازله بما يجري على فقه الإمام مالك وأصوله[2] معتبرا ما جرى به العمل[3]، مع العناية بالتصحيح والترجيح والاهتمام بما جرى به العرف[4]، وبمشهور المذهب[5].

مع العلم أنه عرج في كثير من أجوبته على ما ورد في المذاهب الأخرى، حيث يورد مثلا آراء لأبي حنيفة النعمان[6]، الشافعي[7]، سفيان

---

(1) نازلة رقم 598، ص 550.

(2) ص 62، نازلة 7 وغيرها كثير، حيث يقول: «وهي الرواية المشهورة عن مالك وأصحابه»، و«قال مالك»، و«وقع لمالك»، و«لا خلاف في هذا المذهب»، ص 62، «وهو قول مالك»، ص 538، نازلة 578، «الذي يأتي عليه المذهب، أعني مذهب مالك»، ص 520، نازلة 546، و«من مختصر المدونة لابن أبي زيد ومن غير المدونة وهو قول مالك»، ص 538، نازلة رقم 578، و«صح عن مالك»، انظر فصل الجدات، ص 556...

(3) تتكرر العبارة في عشرات المسائل، انظر النازلة 45، ص 62، النازلة 115، ص 137، نازلة 749، ص 750...

(4) نازلة 28، ص 44، نازلة 731، ص 631، نازلة 165، ص 178، نازلة 743، ص 650...

(5) انظر النازلة 499، ص 488، حيث يقول: «فلا يمين له على المشهور»، والنازلة 410، ص 440، النازلة 451، ص 465، النازلة 478، ص 478...

(6) انظر النازلة 410، ص 440، نازلة 77، ص 96، ويشير لها ضمنا كقوله: «إلا أن مالكا لم يجزه وكرهه، وأباحه غيره»، نازلة 414، ص 442.

(7) نازلة 77، ص 96، .ناولة 634، ص 557.

الثوري[1]، وللكلبي البغدادي مفتي العراق[2]، إضافة لآراء لأحمد بن حنبل[3]، والإمام الأوزاعي[4]. كما أنه يحيل على الآراء التي وافقت رأي مالك من المذاهب الأخرى، كقوله: «الكوفيون يقولون مثل قول مالك»[5]، و«مذهب الشافعي في مسألة المشتركة كمذهب مالك، وهو مذهب الثوري وإبراهيم النخعي وإسحاق بن راهويه»[6].

وبالجملة فقد ضمّن هذه الأجوبة عصارة معرفته، وخلاصة تجربته، وقد رتبها على النحو التالي:

أ- قضايا الزواج والصداق والكالي،

ب- البيوع والشركة؛

ت- الوصايا والحضانة والطلاق

ث- مسائل الإضرار بالجار؛

ج- مسائل المياه؛

ح- مسائل الأقضية؛

خ- مسائل الشفعة؛

---

(1) نفس الصفحة.

(2) نفس الصفحة.

(3) ص 558.

(4) نازلة 724، ص 625.

(5) النازلة رقم 546، ص 520.

(6) ص 557.

د- مسائل القراض؛

ذ- مسائل العقيدة ومحاربة أهل البدع.

وهي مسائل غير مرتبة ترتيبا محكما، فالمتفحص للنوازل يجدها تبدأ بنوازل المرأة والزواج والصداق والكالي، ثم تنتقل إلى مسائل البيوع والشركة ثم تعود لمسائل النكاح والطلاق والحضانة...؛ وأنه يغير موضوع نوازله دون إشارة صريحة إلى ذلك.

أ- الجزء الأول: التحقيق

يتكون هذا الجزء من 200 صفحة من الحجم المتوسط، قسمه المؤلف إلى فصول ثلاث، مع مقدمة وخاتمة وذيله بلائحة لمصادر ومراجع الدراسة.

استهل المقدمة (ص 7- 16) لما لكتب الفقه المالكي من أهمية في تقدم الدراسات التاريخية الأندلسية، خاصة فيما يتعلق منها بالجوانب الاجتماعية والاقتصادية، معرجا على سبق المدرسة الاستشراقية في الاستفادة من كتب الفقه والنوازل في خدمة البحث التاريخي، لتعرف المدرسة التاريخية المغربية طفرة في استغلال المادة المصدرية النازلية منذ سبعينيات القرن الماضي.

استعرض الدكتور أحمد اليوسفي النسخ المعتمدة في تحقيق نوازل ابن الحاج وأماكن تواجدها، بعد أن كانت إلى أواخر ثمانينيات القرن الماضي في حكم المفقود. كما بين أهمية ودوافع اختيار نوازل ابن الحاج تحقيقا ودراسة في أطروحته الجامعية.

في الفصل الأول والموسوم بـ: **القاضي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي، سيرته وأعماله**، قسمه الباحث إلى ست عناوين فرعية طما يلي:

• **مصادر سيرة ابن الحاج (ص 19- 26)**: أوضح الباحث أن المعلومات المتعلقة بالحياة الشخصية لابن الحاج شحيحة، رغم ما عرف عن أهل الأندلس اهتمامهم بسير العلماء في كتب التراجم، لكنها أغفلت ذكر تفاصيل حياته رغم شهرته؛ فالموجود منها لا تفي لتشكيل صورة كافية للوقوف على حياته الشخصية والعلمية وأهم مشايخه (ص 21). لكن الباحث استعان لتشكيل صورة عن شخصية ابن الحاج بما أورده عن نفسه في كتابه «**المنهاج في بيان مناسك الحج**»[1].

• **مولده، نسبه وأسرته (ص 27- 44)**: بين خلاله مولده بقرطبة، وحدد أهم المعالم الرئيسية عن أسرة ابن الحاج من خلال المصادر التي عرفت به، وخاصة صلة ابن بشكوال.

• **شيوخه وتلامذته (ص 45- 61)**: تتبع خلاله الدكتور أحمد اليوسفي شيوخ ابن الحاج الذين تتلمذ على أيديهم وهم من كبار علماء الأندلس في الفقه والحديث، والتلاميذ الذين جلسوا مجالس دروسه، والذين أصبحوا من خيرة علماء الأندلس من بعده.

• **معارفه وثناء العلماء عليه (62- 77)**: في هذا المبحث بين الباحث مكانة ابن الحاج العلمية، حيث أفاضت كتب السير والطبقات في

(1) مخطوط خزانة ابن يوسف بمراكش، رقم 529.

الإشادة بمكانته العلمية، فلم يتوقف ثناء العلماء عليه من كبار علماء عصره، من قبيل: قاضي الجماعة ابن رشد وابن حمدين وابن الموصلي قاضي بطليوس...

كان ابن الحاج شخصية ثقافية بكل ما تعني الكلمة؛ فله حظ وافر من علوم اللغة العربية ولسانها، متذوقا للأدب والشعر...

وختم الباحث مبحثه هذا بسرد لمؤلفات ابن الحاج (ص 73- 77).

• **وظائفه (ص78- 87)**: نظرا لمكانته المرموقة فقد شغل مناص هامة، علمية ودينية وقضائية؛ فقد زاول مهنة التدريس في مسجد قرطبة، كما مارس القضاء منذ سنة 518 هـ إلى 529هـ سنة وفاته.

• **وفاته[1] (ص 88- 97)**: توفي رحمه الله مستشهدا يوم الجمعة وهو ساجد لأربع بقين من صفر سنة تسع وعشرين وخمسمائة بالمسجد الجامع بقرطبة حسب رواية ابن بشكوال.

---

(1) حول حادثة القتل هذه، وإضافة لتحليل الدكتور أحمد اليوسفي، نحيل على دراسة الدكتورة عصمت عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1988، ص 63 وما بعدها، إبراهيم القادري بوتشيش: «**حول مخطوط ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية**»، مجلة **دار النيابة**، عدد 27، 1989، ص 25، مصطفى بنسباع: «**ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الخامس: **العلوم الشرعية**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط: 1417هـ/1996م، ج5، ص: 291- 292.

وخلال هذا المبحث حاول الدكتور اليوسفي تحليل الظروف والأسباب التي أدت لاغتيال ابن الحاج ومناقشا آراء الباحثين القدامى والمحدثين.

أما الفصل الثاني، فجاء معنونا بـ: **كتاب نوازل ابن الحاج شكلا ومضمونا (ص 99- 141)**.

بين فيه:

1- نسبة الكتاب إلى ابن الحاج، حيث اتفقت كل المصادر التي ترجمت له إلى نسبة النوازل له.

2- لكن هذا الاجماع لم يتم فيما يخص عنوان الكتاب، إذ لم يتفق مؤلفو كتب المعاجم والمناهج وعموم المصادر التاريخية والفقهية والأدبية على عنوان واحد لهذه النوازل (ص 106)، حيث أحصى الباحث ستة عناوين مختلفة وردت إما في النسخ المعتمدة للتحقيق أو في مصادر أخرى(ص 108).، وعشر عناوين أخرى في نسخ رقمية لمختلف المصادر الفقهية والتاريخية المتداولة بين الباحثين (ص 109).

3- النسخ المعتمدة في التحقيق: حيث بين الدكتور اليوسفي النسخ المعتمدة في تحقيقه للنوازل، وبين عيوبها ومزاياها، وهي:

المخطوط[1]	أوراقه	عدد مسائله	مقياسه	عدد أسطره	نوع الخط	ملاحظات
الخزانة العامة بالرباط	324 من الحجم المتوسط	538 مسألة	15×21	23 سطرا	مغربي رديء	أقدم النسخ
خزانة أزاريف بالمغرب[2]	203 من الحجم الكبير	783 مسألة	20×28	32 سطرا	مغربي جميل	أكبر النسخ حجما ومادة
خزانة ابن عاشور بتونس	127	294 مسألة	-	24 سطرا	-	أصغر النسخ حجما
خزانة ابن يوسف بمراكش	-	752 مسألة	-	-	أندلسي جميل	الوحيدة المشتملة على مقدمة وفهرس لموضوعاتها

(1) بين المحقق أبرز ملامح كل نسخة من هذه النسخ في الهامش رقم 1، ص 139، من قسم الدراسة.

(2) من سوء الأقدار أن هذه النسخة قد اختفت تماما من الخزانة، ولا يُعلم مصيرها لحد الآن، أخبرني بالمعلومة الدكتور عبد العزيز الساوري رئيس مصلحة المخطوطات بوزارة الثقافة، في لقاء لي معه بمدينة طنجة يوم 12 رمضان 1440هـ/ 18 ماي 2019.

وإلى جانب هذه الأصول الأربعة اعتمد المحقق على نصوص أخرى لمسائل ابن الحاج وردت في ثنايا كتب فقهية، ومنها:

الكتاب	عدد النوازل
مذاهب الحكام في نوازل الأحكام للقاضي عياض[1]	62
مسائل أبي القاسم بن طركاط	4
جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام[2]	392
التاج والإكليل في شرح مختصر خليل[3]	62
المعيار المعرب[4]	166
مواهب الجليل في شرح مختصر خليل[5]	01
شرح ميارة	31
منح الجليل على مختصر خليل	30

(1) القاضي عياض وولده محمد: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام للقاضي عياض**، تحقيق محمد بنشريفة، منشورات دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت 1997.

(2) أبو القاسم أحمد بن محمد البُرْزُلِي (ت. 841 هـ): **جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام**، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 2002، 7 أجزاء.

(3) أبو عبد الله محمد بن يوسف المواق العبدري الغرناطي المالكي (ت. 897هـ): **التاج والإكليل لمختصر خليل**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1416هـ-1994، 8 أجزاء.

(4) أبو العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: (ت. 914هـ): **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إصدار جماعة من المحققين بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية - ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، 13 ج.

(5) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الرُّعيني، المعروف بالحطاب (ت.954هـ): **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، دار الفكر، ط2، بيروت 1398، 6 أجزاء.

مع العلم أن المحقق اعتمد في تحقيقه على نصوص أخرى لفتاوى ابن الحاج وردت في ثنايا كتب فقهية عديدة تتابع تأليفها عبر القرون، فتمخض عن ذلك مخزون وفير من نصوص المسائل المنسوبة لابن الحاج (ص 132).

4- منهج ابن الحاج في تناول المسائل ومنهج المحقق:

استعرض الدكتور اليوسفي منهج ابن الحاج في تناول مسائله، وذلك في النقط التالية:

أ- اعتماده القول الراجح في المذهب؛

ب- اهتمامه بما يفتي به غيره من الفقهاء؛

ت- استحضاره للأحكام الفقهية القديمة؛

ث- اعتماده رأي المشاورين والأصحاب في القضايا المعروضة عليه؛ وغيرها من النقط (ص 133- 137).

أما منهج المحقق، فيمكن تلخيصه في:

أ- الاعتماد في تحقيق المسائل على أربعة أصول رئيسية، إلى جانب نصوص أخرى في مضان مختلفة.

ب- نسخ جميع النسخ ضمن نسخة رقمية موحدة شاملة، وترقيم مسائلها وترميزها حتى يسهل جردها وضبطها وفرزها.

ت- القيام بتخريج الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة والآثار التي تضمنتها نسخ المخطوطات.

ث- شرح ألفاظها اللغوية.

ج- تقديم تراجم للأعلام المذكورة في النص.

ح- وضع فهرس تفصيلي لموضوعات الكتاب.

القيمة الفقهية والتاريخية لنوازل ابن الحاج، عنوان الفصل الثالث والأخير من هذا الجزء؛ حيث قسمه الباحث لمبحثين اثنين.

1- جاء عنوان المبحث الأول منها: بـ **البعد الفقهي وموقع المسائل من فقه النوازل (145- 154)**، حيث بين قيمة نوازل ابن الحاج الفقهية، ذلك أنها اشتملت على عروض وأجوبة لكبار أئمة المذهب المالكي من أصحاب مالك وتلامذته (ص 146)، ناهيك عن غزارة مادتها الفقهية، وكثرة نقوله من مصادر عفى عنها الزمن، من قبيل الواضحة، نوازل عيسى، وثائق ابن العطار، وثائق ابن لبابة...، إضافة إلى ما تمتع به ابن الحاج من قدرة على استلهام أصول المذهب وفروعه، واعتماد القواعد الشرعية وترجيح ما يراه صوابا ومناسبا لواقع مجتمعه الأندلسي...

2- **موقع فتاوى ابن الحاج من فقه النوازل**، عنوان المبحث الثاني، حيث يجلى ذلك حسب المحقق، فيما أسداه ابن الحاج من خدمات جليلة في قطاعات التدريس والخطابة والقضاء والمشورة وقضاء الجماعة والإفتاء والتأليف، حتى صارت فتاويه يشار لها بالبنان من طرف كبار العلماء والفقهاء والقضاة الذين استفادوا منها (ص 149).

وقد بين الباحث الطابع العام لفتاوى ابن الحاج وأثرها في فقه النوازل (ص 152- 154).

ليختم هذا الفصل بتبيان البعد التاريخي في نوازل ابن الحاج، وذلك في الجوانب التالية:

ب- الجانب السياسي (ص 155- 164).

ت- الجانب الاقتصادي (ص 165- 181): وذلك من خلال المباحث التالية:

1- ملكية الأرض واستغلال العقار؛

2- المياه والنشاط الفلاحي؛

3- الصناعة والحرف؛

4- النشاط التجاري ونظام السوق؛

5- سوق المعاملات بالأندلس.

ث- الجانب الاجتماعي (ص 182- 185).

واختتم هذا الجزء بقائمة لمصادر ومراجع الدراسة (ص 187- 197)، وفهرس للمواضيع (ص 199- 200).

ب- **الجزء الثاني**: ويتألف من 410 صفحة، موزعة عل الشكل التالي:

تقديم	الرموز المستعملة	صور للنسخ المعتمدة	النص المحقق
ص 5- 7	ص 9	ص 10- 19	ص 21- 410

ت- **الجزء الثالث**: يتكون من 348 صفحة، ويبدأ بالمسألة رقم: 363 إلى المسألة رقم: 783، من الصفحة: 411 إلى الصفحة: 688.

وختم هذا الجزء بالفهارس، وهي:

1- فهرس الآيات القرآنية، مرتبة حسب تتابع ورودها في النص المحقق، وعددها 63 آية (ص 690- 693).

2- فهرس الأحاديث النبوية مرتبة حسب تتابع ورودها في النص المحقق، وعددها 132 حديثا (ص 664- 703).

3- لائحة المصادر والمراجع وعددها 193 عنوانا (ص 704- 729).

4- فهرس عناوين المسائل وعددها 783 مسألة (ص 730- 758).

5- فهرس الموضوعات (ص 759).

2. أهمية الكتاب من الناحية التاريخية

اعتبر كتاب نوازل ابن الحاج من المصادر المفقودة، إلى أن اكتشفه الدكتور إبراهيم القادري بوتشيش وعرف به[1].

هذا؛ وتعد نوازله من أبرز النوازل الفِقْهِيَّة الخاصة بالْمَغْرِب والأَنْدَلس، لاسيما وأن صاحبها كان شاهدًا على العصر؛ وأحد أبرز

(1) إبراهيم القادري بوتشيش: «**حول مخطوط ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية**»، مجلة **دار النيابة**، عدد 27، 1989، ص 23- 28.

وجوهه، وكان من جلة الفُقَهَاء وكبار العُلَمَاء بالنوازِل، بصيرًا بالْأَحْكَام ومتقدمًا في معرفتها، وكانت لنوازله قيمة حقيقية في حلول كثير من مشكلات عصره، إذ هي حلول لمشاكل أهل بلاده بالأندلس والمغرب، نظرا «لخضوع المنطقتين معا لسلطة واحدة هي سلطة المرابطين»[1].

والحقيقة أن لنوازل ابن الْحَاج جوانب متعددة عن الْحَيَاة الاجْتِمَاعِية والاقْتِصَادِية في غاية الأهمية؛ فهو يتضمن الكثير من النّصوص والوَثَائِق التي قلما ترد في المَصَادِر التَّارِيخية والتي تمس كل جوانب المُجْتَمَع في الْغَرْب الإِسْلامي، بل وتختلف عن «المعلومات الواردة في جميع المصادر الأخرى التي تطرقت لهذه الحقبة التاريخية»[2].

فهي لا توفّر لنا مادّة فقهيّة تتمثّل في فتاوى لها صلة بأسئلة معينة تعود إلى عصر المؤلف فقط، وإنّما تقدم لنا فائدة عظيمة يستفاد منها في مختلف الدّراسات الفقهيّة المعاصرة، نظرا لما تتضمّنه من مبادئ في صياغة الفتوى وتنزيلها، وضوابط مراعاة المآلات والمقاصد، وقواعد في الفقه والأصول، وأسس معتمدة في الاستنباط والتّنزيل والتّخريج الفقهي، التي يعزّ وجودها في مصادرها المتخصّصة.

ناهيك عما تحفل به من الإشارات التّاريخية الاجتماعيّة؛ كعادات الأفراح والأقراح، وأساليب الزواج وتقاليد اللباس والطعام، وطبيعة

---

(1) نفسه، ص 26.

(2) محمد بنعبود ومصطفى بنسباع: «**جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نزاول ابن الحاج**»، مجلة كلية الآداب بتطوان، العدد 6، تطوان، منشورات كلية الآداب، 1993، ص 46.

العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة السّائدة خلال تلك الحقبة التّاريخيّة؛ ممّا يجعل فائدتها غير مقصورة على المشتغلين بالفقه وعلومه فحسب، بل تتعدّاهم إلى غيرهم من المتخصّصين في سائر العلوم الإنسانيّة، والدّراسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والتّاريخيّة والسياسية والثقافية والدينية للمجتمع الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين[1].

تتجلى قيمة النوازِل الواردة في الكتاب، في اعتماد مؤلفه على أمهات مصنفات الفقه المالِكي[2] إلى جانب فتاوى أبيه[3]، فضلًا عن استناده إلى

(1) يصعب على الباحث حصر الدراسات والمقالات التي اتخذت من نوازل ابن الحاج موضوعا لها، ونكتفي بعرض بعضها على سبيل الاستئناس: أحمد اليوسفي شعيب: **أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية: نوازل ابن الحاج نموذجا**، م، س، محمد بنعبود ومصطفى بنسباع: «**جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نزاول ابن الحاج**»، مجلة **كلية الآداب** بتطوان، العدد 6، تطوان، منشورات كلية الآداب، 1993، ص. 45-60، محمد بن عبود ومصطفى بنسباع: «**تقييم مصادر التاريخ الاجتماعي للأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين مع تحليل نماذج منها**»، مجلة **كلية الآداب** بتطوان، العدد الثامن، تطوان، منشورات كلية الآداب بتطوان، 1997، ص. 65-77، مصطفى بنسباع: «**ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي**»، م. س، نفسه: «**جوانب مالية في قرطبة القرن الحادي عشر للميلاد من خلال نوازل ابن الحاج**»، **في مجلة الإسلام الألمانية**، كما استفاد من المخطوط من الوجهة التاريخية إبراهيم بوتشيش في كتابه: **المرابطون: المجتمع والذهنيات والأولياء**، ومقالاته المختلفة وفي أطروحته، ماريا خيسوس فيغيرا: **المشاكل المرتبطة بالمياه في الأَنْدَلُس من خلال نوازل ابن الحاج**، ندوة الأندلس.. م. س، محمد الأمين بلغيث في أطروحته: **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، الصادرة عن دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر.

(2) من قبيل موطا مالك، وابن القاسم، ومدونة أبي سحنون، والعتبي، وابن الماجشون، وابن مغيث.

(3) تتكرر في نوازله عبارة: «قال أبي رضي الله عنه».

فتاوى كبار فقهاء عصره[1]. ونستعرض أهميتها التاريخية من خلال العناصر التالية:

أ- أهميتها من الناحية السياسية:

إن المتأمل لنوازل ابن الحاج ليسترعي انتباهه كثرة الاشارات السياسية في ثنايا الكتاب، والملاحظ أن ابن الحاج لم يذكر أحداثا سياسية بتفاصيلها الدقيقة كما نجدها في المصادر الاخبارية التقليدية، من ذكر للحدث وتاريخ حدوثه، وسرد لأسماء الشخصيات الفاعلة فيه، أو سير الملوك وأعمالهم السياسية والإدارية...

رغم أن نوازله لم توثق لتواريخ الأحداث وأعمال أهم الشخصيات في عصره وأدوارها السياسية، إلا أنها احتفظت بمعلومات سياسية طريفة، خاصة أنها لم ترد في غيره من المصادر التاريخية، ولعل أهم تلك المعلومات تتعلق بـ:

- **أخبار عن ملوك ومراء وحكام نافذين لدى دول المسلمين والنصارى:**

نذكر منهم على سبيل المثال: عمر بن محمد صاحب بطليوس الذي بنى سباطا من قصره إلى الجامع، فسئل فقهاء بطليوس عن حكم النساء

(1) مسائل ابن الفخار وأبي الوليد بن رشد وابي القاسم بن منظور قاضي إشبيلية، وأبو جعفر بن رزق...، نوازل ابن الحاج: ص 53 - 61 وللتفاصيل راجع، إبراهيم القادري بوتشيش: **النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق 5 - 6 هـ/ 12 - 13م)**، مجلة **التاريخ العربي**، عدد 22، ربيع 2003 م.

فيه[1]، وحديثه عن القائد أبي حفص والي معسكر قرطبة سنة احدى وعشرين وخمسمائة[2]. وهناك إشارة مهمة عن كتاب أرسله أمير المسلمين من مراكش يسمح فيه للنصارى ببناء وبيع دور عبادتهم في بلاد المسلمين[3]، وحديثه عن الأمير سير بن أبي بكر بن تاشفين[4]، وهو والي إشبيلية، وكان من المجاهدين حسب النازلة[5]، كما يذكر «أمير المسلمين وناصر الدين علي بن يوسف بن تاشفين»[6]، وفي موضع آخر يتحدث عن أمير اسمه محمد دون تحديد لقبه[7].

ومن المعلومات القيمة التي توردها في هذا الجانب، رسالة من أمير المسلمين إلى قضاة الأندلس تتعلق بنقل النصارى المعاهدين من أهل الأندلس إلى المغرب[8] والسماح لهم ببناء وبيع كنائسهم[9].

كما أنها تمدنا بأخبار طغيان الحكام واستبدادهم بالحكم، فتكشف لنا مظاهر الظلم والتسلط كبعض أمراء بني عباد[10]، ويصف زوال دولتهم

---

(1) النازلة رقم 64، ص 78- 79.
(2) نازلة 736، ص 638.
(3) نازلة 151، ص 162.
(4) نازلة 176، ص 191، نازلة 266، ص 287.
(5) نازلة 266، ص 287.
(6) نازلة 736، ص 641.
(7) نازلة 303، ص 334.
(8) نازلة 284، ص 302.
(9) نازلة 151، ص 162- 163.
(10) نازلة 178، ص 194، نازلة 737، ص 645.

بقوله «انقراض الدولة السالفة»[1]، والتي يصفها في موضع آخر بـ«دولة الظلم»[2].

كما أنه أورد نازلة عن ظلم تعرض له أحدهم على يد والي مدينة إشبيلية وصاحب شرطها عبد الله بن سلام أيام حكم دولة بني عباد، حيث قام بضربه بالسياط ضربا مبرحا، وقطع يده، وإمعانا في التنكيل به؛ قام بوضعه «على حمار في تلك الحال مقطوع الد مضروب الظهر شنيع المنظر، وطاف به شرطه أزقة مدينة إشبيلية وأسواقها، وجامعها ظلما له وتعديا عليه ومبالغة في إيقاعه... لا بسبب نسب إليه يوجب ذلك، ولا شيئا منه، ولا لجزية ذكرت عنه، ولا لأحدوثة شنيعة أحدثها على أحد يستوجب بها مثل تلك العقوبة»[3].

- **أخبار تتعلق بالأوضاع الأمنية والعسكرية وأسماء الحصون[4] والحروب[5]...؛**

من قبيل: ذِكر موقعة قتندة[6]، وحصار حصن لييط مع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين[7]، وقوله: «سئل أبو الوليد الباجي رحمه الله أيام كونه

(1) نازلة 170، ص 181.
(2) نازلة 329ن ص 356.
(3) نازلة 338، ص 376.
(4) حصن غافق، نازلة 175، ص 191، حصن ملقون، نازلة 304، ص 335.
(5) نازلة 165، ص 178، حيث غارت خيل النصارى على قرية شقورة بالقرب من مدينة جيان، وأنظر النازلة 284، ص 302، نازلة 304، ص 334.
(6) نازلة 47، ص 63.
(7) نازلة 66، ص 79- 80.

بسرقسطة وقد أحرق العدو -قصمه الله- جامع بعض المدن المجاورة لها حتى لم يبق له سقف»[1]، وحصن «أوليه»[2]، ناهيك عن قلعة رباح التي يقول عنها «ثبتها الله»[3]، وطليطلة «أعادها الله للإسلام»[4]، وحصن قبرة[5] وهو من القلاع الكبيرة الحصينة بالقرب من مدينة قرطبة، وطلبيرة «أعادها الله»[6].

ومن المسائل التي أفتى فيها زمن الحرب في الأندلس، ما سأله أحدهم عن فريضة الحج، فأفتى بسقوط هذه الفريضة[7]، لأن الجهاد أولى والنفقة فيه أفضل[8]، وتأكيده عدم مغادرة بلاد المسلمين التي ملكها العدو[9].

---

(1) نازلة 67، ص 80.

(2) نازلة 630، ص 573.

(3) نازلة 736، ص 736.

(4) نازلة 736، ص 736، نازلة 304، ص 334. ومعلوم أن مدينة طليطلة أولى المدن التي فقدت في عصر الدولة المرابطية لصالح ألفونسو، الذي دخلها ظافرا في يوم الأحد الموافق غرة صفر 478 هـ/ 25 مايو 1085م، للمزيد من التفاصيل انظر عبد الواحد ذنون طه: **دراسات أندلسية**، منشورات دار المدار الإسلامي، بيروت 2004.

(5) نازلة 736، ص 639.

(6) نازلة 736، ص 643

(7) نازلة 205، ص 234.

(8) نازلة 292، ص 317.

(9) نازلة 103، ص 121.

ب- أهميتها من الناحية الاقتصادية:

تقدم نوازل ابن الحاج معلومات مهمة عن الجانب الاقتصادي عصري الطوائف والمرابطين، فهي تمنحنا صورة واضحة عن طبيعة النشاط الفلاحي من زراعة وبستنة ورعي، ناهيك عن استغلال المياه والغابات.

ومن نوازله يمكن للبحث التاريخي الإفادة منها في رصد شكل من أشكال العلاقة بين المزارع ورب الأرض، وهو ما يعرف بالمغارسة[1] الذي يقتضي أن يستأجر المالك زارعًا يتقن غراسة الأشجار لمدة يتفق عليها الجانبان قد تصل إلى عشر سنوات[2]. وبمقتضى العقد يسلم صاحب الأرض المساحة المغروسة وما يستلزمها من سقي وزريعة، بينما يقدم المزارع عمله فيتعهد الأشجار بالغراسة والسقي، على أن يتقاسم الطرفان المحصول[3]، إضافة إلى إشاراتها المتعددة عن مختلف أنواع كراء الأراضي الزراعية[4].

أوضحت النوازِل والفتاوى أن الأراضي الزِّرَاعِية من ناحية الملكية كانت تنقسم إلى عدة أقسام منها: **الملكية الخاصة**[5] **(الفردية)، والملكية**

---

(1) مع العلم أنها شابتها مجموعة من المشاكل، خاصة فيما يتعلق بالمغارسة الفاسدة، انظر على سبيل المثال النازلة 316، ص 346.

(2) ويمكن تقليص المدة، حيث لا تتعدى السنة الواحدة، انظر النازلة 18، ص 37.

(3) نازلة 14، ص 34.

(4) نازلة 305، ص 338.

(5) الأمثلة بهذا الصدد كثيرة، نير إلى بعضها فقط، نازلة 697، ص 608، نازلة 695، نازلة 698...

العامة (الجماعية)، والإقطاع والأحباس وأراضي الجماعات. وأن نوازل الملك كثيرة، منها ما يتعلق بالْبَيْع والشراء والتوريث والكراء والهبة والشراكة. هذا؛ مع ما تتضمنه من إشارات عما اعترى هذه الملكيات من مشاكل ونزاعات[1]، من قبيل عدم إتمام عقود البيع بسبب عيب ما ظهر للمشتري[2]، أو بخصوص مشاكل الإرث[3].

وتفصح نوازل أخرى عن بعض النزاعات التي كانت تشجر بين المزارعين بسبب مشكل الماء. من ذلك على سبيل المثال ما توضحه نازلة حول مزارعين كانوا يسكنون موضعًا عاليًا وآخرين يقيمون أسفلهم، فغرس الأوائل خضرًا وبقولًا وسقوها، لكنهم قطعوا بذلك المياه عن القاطنين أسفلهم، مما تمخض عنه نزاع بين الجانبين أفتى فيه ابن الحاج بضرورة احترام كل طرف لحصصه المعلومة من المياه.

كما أن شخصا أخر له نفوذ سيطر على مياه ساقية وحرم غيره منه، فقد سألو القاضي عن «أهل قرية لهم ساقية يسقون الماء عليها سقي أرضهم وثمارهم وجناتهم، ولكل واحد منهم حصة في الماء المذكور معلومة»[4].

كما تبين نوازل أخرى صورة من صور النزاعات والمشاكل التي كانت تسود البادية الأندلسية، وتتجلى في مشكل تجاوز بعض المزارعين حدود أراضيهم إلى أراضي غيرهم والقيام بحرثها. ففي نازلة أن رجلا

(1) الأمثلة على ذلك كثيرة جدا، انظر مثلا نازلة 245، ص 271.
(2) انظر على سبيل المثال النوازل 142- 143- 144...
(3) نازلة 204، ص 233.
(4) نازلة 231، ص 256.

«زارع أقوامًا في قرية له فتجاوز المزارعون حدود القرية التي زرعوا فيها إلى أرض قرية أخرى تجاورها وحرثوها، فشكا رب القرية المتجاوز إليها أولئك المزارعين».

عرض لنا أسباب الخصومات على المياه والتي مردها في الغالب إلى خرق الأفراد والجماعات للقوانين والأعراف، وقدم لنا معلومات قيمة عن مظاهر النشاط الفلاحي في الأندلس وكيف كانت بعض المناطق الريفية تسعى إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي.

ونصوصه تكشف بما لا يدع مجالا للشك عن وجود ملكيات غير شرعية في بوادي المغرب والأندلس خلال الحقبة المرابطية؛ وذلك من خلال نازلة حول شخص دفعه قوم عن أرضه وشجره وهو نص غني عن كل بيان إذ كما أن غياب بعض الأشخاص عن أراضيهم لسبب من الأسباب قد يؤدي حسبما تبينه النصوص لابن الحاج إلى هضم حقوقهم وفي هذا السياق وردت نازلة حول رجل ترك ابنين وترك لهما قرية يعمرونها فغاب أحدهما غيبة متصلة ثم قدم فوجد الأخ قد توفي وترك ابنا له يعتمر القرية فقال له العم: يا ابن أخي هذه القرية حصتي فيها، فقال له الصبي: يا عم ليس فيها شيء[1].

وبديهي أن تسفر عمليات الاستحواذ عن نشوب نزاعات شملت سكان القرية أحيانًا لتطال الأقرباء أنفسهم، بل امتدت لتشمل الأخوة داخل العائلة الواحدة. ففي هذا المنحى ورد في إحدى نوازله أن رجلا توفي عن

(1) ص 220.

قرية كان له فيها ملك وفي غيرها فاستغل بنه الملكين جميعا مدة ثلاثين عاما بعد وفاة ابيه، ثم قامت عليه أخته تطلب حظا فيها كان لأبيها في القرية التي توفي فيها، كما أنها تحدث عند حدوث كوارث طبيعية أو حريق يأتي على الأشجار[1].

أوضحت النوازِل أيضًا أن الأراضي الزِّرَاعِية انقسمت إلى قسمين: أراض سقوية[2] وأراض تروى بماء المطر، أما عن جودتها فتذكر لنا نازلة أنها تنقسم إلى أراض كريمة، ورديئة وأخرى متوسطة[3].

وبخصوص حجم الملكيات فتفيدنا نوازله عن كثرة أملاك السلاطين[4] والأمراء وأفراد المخزن وتبين مدى استحواذ السلاطين والأمراء على ملكيات واسعة[5] وعملت أحيانًا على توسيعها عن طريق المعاوضة والمَصَادِرة[6].

تكشف نوازل ابن الحاج كيف كان البعض يمتلك ضياعا وقرى بأكملها[7]؛ ففي هذا الصدد امتلكت امرأة ببادية بني سليم من ضواحي

---

(1) نازلة 21، ص 38.

(2) كانت المياه تجلب إليها للري، باستخدام الات لرفع المياه مثل النواعير، السواقي، والدواليب والدوالي، والسانيات أو عن طريق مياه الأنهار أو العيون أو الآبار.

(3) نازلة 243، ص 267.

(4) نازلة 265، ص 284.

(5) حيث امتلك فرد من أسرة ابن عباد الحاكمة مدشرا بأكمله، نازلة 178، ص 194-195.

(6) نازلة 178، ص 194.

(7) نازلة 746، ص 653.

إشبيلية ملكية خاصة شاسعة[1]، في حين امتلكت أخرى عقارا يفوق ثمنه 300 مثقال من الذهب العبادي[2]. بينما ترك أحدهم لبنيه قرية يعمرونها، وحبس رجل ثلاث قرى بأكملها لابنته[3]، في حين امتلك البعض الآخر لأراض في أكثر من بادية واحدة[4]، بل إن محجورا امتلك «أزيد من ألف مثقال ما بين عين وعروض وعقار»[5]، وتصف إحدى المسائل شخصا بأنه من «أهل الثروة والجاه والمال له وكلاء يتصرفون في كراء رباعه»[6].

مع العلم أن ظاهرة معاوضة الأراضي وباقي أنواع العقار كانت شائعة في عصره[7]، إضافة لظاهرة إعفاء بعض الملاكين من الضرائب.

وعن طرق امتلاك هذه الأراضي، فتتم حسب نوازله عن طريق الوراثة، فقد توفي رجل «عن قرية كان له فيها ملك وفي غيرها، فاستغل ابنه الملكين جميعها»، أو عن طريق الهبة، حيث اشترى أحدهم ضيعة ثم وهبها لابنه[8]، أو عن طريق التحبيس، فقد حبس أحدهم داره على ابنيه محمد وزينب[9].

---

(1) نازلة 265، ص 284.
(2) نازلة 265، ص 286.
(3) نازلة 154، ص 167.
(4) نازلة 154، ص 166، نازلة 341، ص 390، نازلة 696، ص 607.
(5) نازلة 73، ص 92.
(6) نازلة 153، ص 164.
(7) نازلة 50، ص 66، نازلة 78، ص 97.
(8) كما أن رجلا وهبب لابنه دارا بقرطبة، ص 75، نازلة 61، نازلة 742، ص 649.
(9) نازلة 674، ص 596، وانظر حالات مشابهة، نازلة 51، ص 77، نازلة 77، ص 52، نازلة 53، ص 68، نازلة 663، ص 591، نازلة 664، ص 592...

هـذا؛ إضـافة لطـرق أخـرى تتمثـل فـي شـراء الأراضـي[1]، ذلـك أن نوازله تزخر بالعديد من عقود شـراء وبيـع الأراضـي[2]. ومـن طـرق تملـك الأرض، شراؤها بشكل جماعي[3]؛ ذلـك أن عـدة أشـخاص يشـتركون فـي جمع حصة من المال لشراء أرض مشتركة[4]، ثـم يـتم تقسـيمها فيمـا بيـنهم بعد ذلك[5]، أو يتم اقتنائها بالتقسيط، هي ومختلف أنواع العقار[6].

إضـافة لمـا ورد أعـلاه، فإننـا نلحـظ وجـود طـرق أخـرى لامـتلاك الأراضي، وذلك بطرق غير شرعية، من قبيل البيـع بـالغبن[7] والاغتصـاب والاستحواذ بالقوة والتحايل[8]؛ دليلنا في هذا أن قائد منطقة اسـتحوذ علـى أرض رجل، واسـتغل مقـدم قريـة نفـوذه للحفـاظ علـى أرض حصـل عليهـا بطريقة عير شرعية، كمـا أن شخصـا آخـر سـيطر علـى أمـلاك قـوم وحازهـا لنفسه.[9]

ويستشف من نوازله وجود علاقة وطيدة بـين بعـض أصـحاب النفـوذ والنظام المُرَابِطي الذي منحهم الجاه وحظوا برعايته. منها ما ورد في إحدى

(1) نازلة 245، ص 271.
(2) نازلة 127، ص 144.
(3) نازلة 290، ص 316.
(4) نازلة 244، ص 269.
(5) انظر نازلة 107، ص 124.
(6) نازلة 107، ص 124، نازلة 190، ص 218.
(7) نازلة 31، ص 47، نازلة 107، ص 125.
(8) نازلة 170، ص 181– 182، نازلة 178، ص 194.
(9) نازلة 149، ص 160.

نوازله بأن رجلا عاوض فدانا بكرم كان بحوزة مقدم القرية، وكان للرجل أخت لها نصيب في الفدان، فلما علمت بذلك أرادت أن تطالب مقدم القرية بحقها، فلم تجرأ عليه حتى زال من خطته.

كما لا يخفى على الباحث أهمية النوازل في إبراز جوانب أخرى تتمثل في كشفها عن علاقة الانسان بالمياه، ذلك أن العديد من النوازل تتعلق بمشاكل المنازعات العقارية[1]، ومنها ما يتعلق بالمياه[2].

جانب آخر تبرزه النوازل، ويتعلق الأمر بالمنتوج الغذائي، ففي ثنايا المسائل إشارات هامة حول الخضر والفواكه[3] وأنواع التمور، ناهيك عن ذكرها لمناطق وقرى انتاجها، بالإضافة إلى المدن والأسواق[4] التي تباع فيها.

وإمعانا في التدقيق؛ نجد إشارات تحدد مقادير الاستهلاك الخاصة بكل شريحة اجتماعية، الأمر الذي يمنح الباحث من فهم طبيعة الاقتصاد الأندلسي عصر ابن الحاج.

سجلت نوازل ابن الحاج تفاصيل هامة عن بعض المزروعات، وخاصة زراعة الكروم، حيث غطت مساحات شاسعة لدرجة أن البعض كان يعاني من صعوبة الوصول لضيعته بسبب إحاطة كروم الناس بها.

---

(1) نازلة 31، ص 47.

(2) نازلة 778، ص 678- 679.

(3) من قبيل الكرم، نازلة 22، ص 39، والزيتون والتين، نازلة 265، ص 285.

(4) من قبيل سوق الزياتين بإشبيلية، نازلة 200، ص 225.

ت- أهميتها من ناحية النشاط الصناعي والحرفي:

تختزن نوازل ابن الْحَاج معلومات متنوعة في ميدان الصناعة[1]، فقد أشار إلى العديد من الصناعات كالحياكة والنسيج... أما بالنسبة **للتعدين**، فتحدثنا نازلة عن حاجة الأَنْدَلُسيين إلى المعادن، وتؤكد «ضرورتهم إلى التحرف فيها»، وتشير نازلة أخرى إلى الأطوار التي كانت تمر بها هذه الصناعة حيث كان الفُقَهَاء في قُرْطُبَة «يفتون في هذا الحديد الذي يساق من المعادن ويباع بسوق الحدادين ثم يشترى من التجار لعمل الآلات منه».

كما أن نوازل ابن الحاج تميط اللثام عن ازدهار صناعات أخرى وتحدد أماكنها، من بينها صناعة العصير، من قبيل عصير الكرم[2]، وفي نازلة أخرى يسميه «عصير العنب»[3]، والزيوت بقرطبة، والأنسجة الحريرية في جيان...

ث- أهميتها من ناحية النشاط التجاري ونظام السوق:

وفي ميدان التجارة[4] تعرض لمسائل متعددة تخص العقارات المثمرة والبيوع[5]، والاستدانة، والاستئجار[6]، ومسائل القروض[7]، والتسعير على أهل الأسواق.

---

(1) أحمد اليُوسُفي شعيب: **أهمية الفتاوى الفِقْهِيَّة**...، م. س، ص 394.
(2) نازلة 650، ص 585.
(3) نازلة 379، ص 421.
(4) نازلة 234، ص 259.
(5) من قبيل الشفعة والاستحقاق...، انظر نازلة 107، ص 126.
(6) من قبيل استئجار الحلي، انظر النازلة 706، ص 613.
(7) نازلة 249، ص 273.

وترد في نوازله كثير من الصور المعبرة عن مختلف مظاهر النشاط التجاري في الأندلس على عهد الطوائف والمرابطين، فسوق الصرافين في قرطبة كان يعرف حركة دؤوبة بين التجار والمتعاملين، بالإضافة لسوق الشقاقين بإشبيلية[1]، أحد أرقى الأسوق في إشبيلية[2].

كما احتوت نوازله على كثير من أصول المعاملات في الْبَيْع والشراء والمعاملات المالية، وما يعتري المعاملات التجارية من مشاكل[3]، ناهيك عن أهم الأسواق[4] والسلع التي تباع بها، من قبيل: أنواع الزيوت والرقيق[5]؛ ناهيك عما حدث للعملات من تقلبات، مثل تعرضه لانقراض عملة ابن جهور في قرطبة[6] ومنافسة سكة ابن عباد لها[7].

كما تخبرنا نوازله بأسماء النقود والمكاييل المتداولة عصري الطوائف والمرابطين، ومنها: الدينار[8]، الدرهم[9]، والدرهم اليوسفي[10]،

---

(1) نازلة 338، ص 376.

(2) الطاهري أحمد: **البناء والعمران الحضري بإشبيلية العبادية: إعادة تركيب المدينة من خلال المصادر العربية**، دار الكتب العربية، بيروت 2006، ص 62.

(3) نازلة 234، ص 259.

(4) من قبيل سوق الدواب والأبقار، نازلة 126، ص 144.

(5) نازلة 234، ص 259– 260.

(6) نازلة 49، ص 65.

(7) نفس النازلة والصفحة.

(8) نازلة 110، ص 130، نازلة 114، ص 135، نازلة

(9) نازلة (134 أ)، ص 148.

(10) نازلة 359، ص 406.

والمثقال والثمن العبادي[1]، ويحدد معدنها، حيث يصفها بـ«الذهب المرابطية»[2].

ومن المعلومات المهمة في هذا الصدد، ما ذكره بخصوص أوزان مدينة قرطبة التي كان لها أوزانها الخاصة بها[3].

ج- أهميتها من الناحية الاجتماعية:

رصد لنا ابن الْحَاج التدرج الطبقي في الأَنْدَلُس حيث قسم الناس إلى ثلاث طبقات: الأغنياء، ومتوسطو الحال، والمقلون[4].

فما يخص طبقة الحكام والأعيان يشير إلى تفشي ظاهرة استغلال النفوذ والشطط في استعمال السلطة، فأورد قصة رجل عرف بابتزازه واختلاسه الأَمْوَال حين كان جابيا للخراج في عصر الطَّوَائِف، فلما دخل المرابطون الأَنْدَلُس «لاذ بأحد أبناء الدنيا واحتمى به»[5].

أنواع المهن:

تحدث ابن الْحَاج عن طبقة العامة التي شملت الحرفيين وصغار

---

(1) نازلة 265، ص 286، نازلة 334، ص 366.

(2) نازلة 102، ص 120، نازلة 104، ص 122، نازلة 132، ص 148، نازلة 160، ص 173.

(3) نازلة 624، ص 570.

(4) نازلة 359، ص 407- 408.

(5) نازلة 170، ص 183.

التجار[1]، والباعة المتجولين والمستخدمين الأجراء[2] والوكلاء[3] والرعاة والسماسرة[4]؛ ناهيك عن فئة المهمشين والعبيد وأصحاب المهن الوضيعة[5]، حيث ترد في نوازله معلومات دقيقة ومتنوعة عنهم تسعف المؤرخ في تحديد طبقات المجتمع الأندلسي عصر ابن الحاج، ووضعيتهم الاقتصادية والاجتماعية والمهنية.

فمن المهن الوضيعة[6]: صانع الزينة، الحائك، الحجام، الخباز، الحمامي الكناس[7]، النخاس[8]، والدلال[9]، بالإضافة إلى السراج[10] الصائغ[11]، الحداد[12] العشار الذي يقبض العشر في الأسواق[13]، وبائع السمك[14].

---

(1) من قبيل تجار الدواب، نازلة 647، ص 582.

(2) نازلة 647، ص 582.

(3) نازلة 145، ص 158، نازلة 153، ص 164.

(4) نازلة 645 مكرر، ص 581.

(5) نازلة 109، ص 129.

(6) يسميها بـ«الصنائع الدنية»، نازلة 781، ص 686.

(7) نازلة 781، ص 685.

(8) نازلة 647، ص 582.

(9) نازلة 212، ص 237، نازلة 650، ص 586.

(10) نازلة 200، ص 225.

(11) نازلة 174، ص 185.

(12) نازلة 302، ص 326.

(13) نازلة 295، ص 320.

(14) نازلة 121، ص 140.

أما بخصوص المهن الراقية والتي يصفها بـ«الجليلة»[1]، فيذكر منها: التجارة والبناية[2]، والصراف[3]، والطبيب[4].

وبخصوص الوظائف السامية والمتميزة، فتذكر نوازله المحتسب[5]، العدول، الفقهاء، الفقهاء المشاورون، والوزراء[6].

ومن الإشارات الهامة بهذا الخصوص -والتي ترد عرضا في ثنايا نوازله- أنه يحدد لنا أنواع القضاة في عصره بحسب مناطق اشتغالهم، ذلك أن هذه الفئة انقسمت إلى أنواع ثلاث حسب أهميتهم، وهم: قضاة الحواضر والقواعد، وقضاة الكور، وأصحاب المَدَرِ[7].

مكانة أهل الذمة في المجتمع وسياسة التسامح الديني:

رصد ابن الحاج من خلال نوازله ما وصل إليه عدد كبير من النصارى من مكانة اجْتِمَاعِيَّة مرموقة فنجده يصف أحد النصارى بأنه «ذو جاه ومقدرة»، وكيف أن بعضهم كسب ثروات طائلة بطرق

(1) نازلة 781، ص 685.

(2) نازلة 781، ص 685، نازلة 211، ص 236.

(3) نازلة 200، ص 225.

(4) نازلة 321، ص 350.

(5) نازلة 736، ص 640.

(6) نازلة 736، ص 638.

(7) نازلة 250، ص 274.

غير شرعية في عصر ملوك الطَّوَائِف، وتمكن من الاحتفاظ بها لنفسه[1]، وكيف حظوا أيضًا برعاية الدَّوْلَة خاصة في عهد عَلِي بن يُوسُف بن تَاشفِيْن.

ذكرت نوازله إشارات هامة عن التسامح الديني في الأندلس، فقد بينت كيف اهتم أمراء المرابطين وفقهائهم على السماح لهم بالاحتفاظ بكنائسهم وبناء أخرى قصد التعبد[2]، ففي هذا الصدد وصل كتاب إلى فقهاء الأندلس من أمير المسلمين يسألهم عن إمكانية بناء المعاهدين المستقرين بالمغرب لدور العبادة، فأجاز ابن الحاج ذلك[3]، كما يتبين ذلك في تعاملهم مع أسرى الحروب[4]، ناهيك عن تحبيس بعض الأملاك لكنائسهم وفقرائهم[5]، بينما قام أحدهم بالتصدق على زوجته النصرانية بدار شريطة اعتناقها الإسلام، فأسلمت[6]، وهو ما ينهض قرينة على انعدام التعصب الديني في الأندلس، وانصهار النصارى داخل المجتمع

(1) نازلة 329، ص 356.

(2) نازلة 151، ص 162- 163، وذلك عكس ما ذهبت إليه بعض الدراسات الأجنبية التي تحاملت على المرابطين واتهمتهم باضطهاد النصارى، أنظر:
Reinhart Dozy, Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, Ed. Paris, Leyde, Brill, 1860, vol. 1, p 48.

(3) نازلة 151، ص 162- 163.

(4) نازلة 304، 335.

(5) نازلة 660، ص 590.

(6) نازلة 667، ص 593.

الأندلسي[1]، حجتنا في ذلك أن طائفة من اليهود والنصارى حاولت تحبيس أراض لإقامة مساجد للمسلمين[2].

كما طرحت نوازله بعض المشاكل التي تؤدى بها الجزية، فقد رأى بعض النصارى أن يدفعوها جماعيًا بدلا من أدائها حسب الرؤوس، وفي حالة ما إذا بلغ أحد من أبنائهم الحلم، لا يلزمه شيء، لكن إذا مات أحد من رجالهم البالغين، فإن قدر الجزية الجماعية يبقى على ما هو عليه.

كما تضمنت نوازله أخبارا عن الْيَهُود وإشارات عن دورهم في الْحَيَاة الأَنْدَلُسيّة وإسهاماتهم في الأحداث والوضعية القانونية والاجْتِمَاعِية لهذه الطائفة[3]، فوجدنا أحكامًا تقضي بأن يدفع يهود العدوتين ضريبة العشر إذا انتقلوا بتجارتهم إلى العدوة الأخرى، في حين يسقط عنهم ذلك متى اكتفوا بالتِّجَارَة في موطنهم الأصلي[4].

الأمراض والأوبئة:

عرج في نوازله على جملة من الأمراض كالقروح[5]، وهي ثلاثة

---

(1) إبراهيم القادري بوتشيش: «**المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من عطاءات الحضارة الأندلسية**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الخامس: **العلوم الشرعية**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط: 1417هـ/1996م، ج 1، ص: 241.

(2) نازلة 670، ص 594.

(3) نازلة 646، ص 582.

(4) نازلة 304.

(5) نازلة 228، ص 252.

أقسام «قرحة تمصل أبدا ولا تجف، وقرحة إن نكأها صاحبها سالت وإلا لم يسل منها شيء، وقرحة تسيل هي من ذاتها في بعض الأوقات»[1].

ومن الأمراض، داء الحية الذي كان يتسبب في سقوط الشعر، بالإضافة إلى داء «السعفة»، كما انتشرت أمراض أخرى كالطاعون وداء الجرب والبرص والصداع والشقيقة وداء البطن والرتق والجذام[2].

ومن المعلومات المهمة حول بعض الأمراض، ما ذكره في نازلة عن الإعاقة الذهنية، حيث يصفها باختلاط الذهن[3]، والخبل[4]، وهو عكس الشخص السليم عقليا الذي يشار له بأنه «بحال صحة وجواز أمر»[5]، أو صحيح العقل ثابت الذهن[6].

ومن الإشارات كذلك في هذا الصدد، ما ذكره عن فتاة زوجها والدها في سن صغيرة لم تتعدى عشر سنوات، فلما دخل بها زوجها «بقيت على خسارة عقلها ونفسها»[7].

ومن المسائل التي تطرقت لبعض الأمراض التي تخص الإعاقة

---

(1) نفس النازلة والصفحة.

(2) نازلة344، ص 394، نازلة 659، ص 590.

(3) نازلة 73، ص 86- 87.

(4) الصفحة 87- 88.

(5) نازلة 184، ص 205.

(6) نازلة 302، ص 326، نازلة 379، ص 380.

(7) نازلة 332، ص 360.

الجسدية، نازلة تتحدث عن إمام مسجد عانى من إعاقة في النطق، فقد كان ألكنا ألثغا[1].

مع العلم أن مسائله تحوي إشارات هامة عن أن أهل الأندلس حاولوا معالجة تلك الأمراض، وذلك بزيارة الأطباء، ولو كانوا من اليهود[2].

اللباس:

أما فيما يخص لباس أهل الأندلس، فقد وردت إشارات مهمة عنه بين ثنايا مسائل ابن الحاج. ففي هذا الصدد يذكر أنهم اعتادوا ارتداء أنظف وأحسن الثِّيَاب فكان من ملابسهم الغفارة[3] التي أخذها أهل الأَنْدَلُس عن الْمَغْرِب، بالإضافة إلى «فروة نسر بوجه خز»[4].

وقد استعملت الغفارة لتأدية بعض المهن وللزينة، خصوصا في صلاة الجمعة والعيدين، فيقول: «وللزوج أيضا غفارتان أحدهما للمهنة والأخرى للعيدين والجمعة»[108].

لباس المرأة:

تمدنا نوازله بمعلومات قيمة فيما يخص لباس النساء، حيث ارتدت

---

(1) نازلة 112، ص 133، والألكن هو الذي لا يقيم العربية من عجمة في لسانه، والألثغ: من كان بلسانه لثغة، واللثغة النطق بالسين كالثاء أو بالراء كالغين...

(2) نازلة 646، ص 582.

(3) **الغِفَارَة**: خِرقة تلبَسها المرأَةُ فتغطِّي رأْسَها ما قَبَلَ منه وما دَبَرَ، غيرَ وسَطِه، **قاموس المعجم الوسيط**.

(4) نازلة 73، ص 90.

الأندلسيات في العصر المرابطي المقنع[1] كغطاء للرأس. كما اتخذن الخمار من الصوف أو من الأقمشة الحريرية التي تختلف من حيث درجة جودته في ثمنها.

وقدم لنا وصفا لملابس الميسورات الحال، وهذا من خلال ما فرضه زوج ثري لمطلقته من قمصان وسراويل[2]، وفي نازلة أخرى فرض لمطلقته من الكسوة في فصل الشتاء «فروة نسر بوجه خز»[3] و«دراعة خز عن فصلي الربيع والخريف»[4] إلى جانب قميصين جديدين[5]، بينما جهز أحدهم بنته بالعديد من الملابس، من بينها «قميص جرجاني وثلاثة قمص من حرير، وغلالتا كتان مصنفة، وتسع غلائل ملونة، وأربعة معاجز...»[6].

لباس الأطفال:

أما بالنسبة لملابس الأطفال، فنجد المحشو والفرو، والغفيرة، وطرويق الخز، والقميص، بالإضافة إلى الأقراق والجوارب[7].

---

(1) نازلة 359، ص 406.

(2) نفسها.

(3) نازلة 73، ص 90.

(4) نفس الصفحة.

(5) نفس الصفحة.

(6) نازلة 336، ص 372- 373.

(7) نازلة 359، ص 408.

ومن ملابس نوم الأطفال تذكر إحدى النوازل، نصف الملحفة، شويركة من الصوف، المرفقة، والبنيقة[1].

هذا، بالإضافة إلى ذكره لأنواع أخرى من الملابس، منها: القميص، السروال، الخف والشائكة[2]، الفرو[3]، المحشوة، الملحفة، المرفقة، لحاف الكتان المعطر، والقرق[4]، ناهيك عن سراويل مثلث وغير مثلث[5]، والشادكة[6]، وهي من ملابس النوم[7].

وتتناول نوازله إشارات تدل على وضعية المرأة، فقدم صورًا ومعلومات وفيرة عنها وعن ملابسها[8]. ويمكن تقسيم وضعيتها إلى:

أ- وضعية متميزة داخل الأسرة والمجتمع:

من ذلك أن زوجها يشترط على نفسه في عقد الزواج أنها طالق إن تزوج عليها بزوجة ثانية[9]، وبتطليق الزوجة الأولى لتوافق الثانية الزواج

---

(1) نفس النازلة والصفحة.

(2) نازلة 359، ص 406.

(3) نازلة 24، ص 41.

(4) نازلة 24، ص 41، نازلة 73، ص 91.

(5) نازلة 73، ص 90.

(6) نازلة 73، ص 91

(7) نازلة 359، ص 406.

(8) من قبيل: القميص الجرجاني والحريري وغلالة من كتان مصنفة أو ملونة، انظر النازلة 336، ص 372- 373.

(9) النازلة 9، ص 30.

به[1]، وألا يغيب عنها غيبة متصلة أكثر من ستة أشهر، إلا في أداء فريضة الحج[2].

كما ترد نوازل أخرى تبين مدى مكانتها، حيث يتم استشارة البكر للزواج[3]، كما أن لها الحق في تطليق نفسها إذا غاب عنها زوجها لمدة طويلة[4]، ومنهن من طالبت بطلاقها لطول مكوث زوجها بالسجن[5].

هذا؛ مع العلم أن إحداهن ألزمت زوجها بألا يعود لزوجته الأولى أبدا طيلة حياته، وأن يلتزم بذلك في عقد الزواج[6]، ومنهن من فرضت على زوجها السكن معها في منزلها الذي تملكه سلفا[7].

ومن النوازل التي تبين مكانة المرأة، أن العديد من النسوة كن يكتبن عقدا ثابتا به وصفا دقيقا ومفصلا عنهن وصفاتهن، وأنهن حرائر بنات أحرار[8].

ب- وضعية صعبة داخل الأسرة والمجتمع:

ففي هذا الصدد عانت العديد من النسوة من كثرة

(1) نازلة 29، ص 45.
(2) نازلة 734، ص 636.
(3) النازلتين 38- 39، ص 53- 55.
(4) نازلة 74، ص 93.
(5) نازلة 209، ص 236.
(6) نازلة 29، ص 45.
(7) نازلة 28، ص 44، نازلة 739، ص 647.
(8) نازلة 598، ص 550.

الطلاق[1]، ولأسباب واهية[2]، وتزويجها في سن مبكرة[3]، وقبل البلوغ[4] ورغما عنها[5]، ومنهن من قامت باغتصاب نفسها لئلا يتم تزويجها غصبا عنها، ناهيك عن منافرتها له بعد الزواج[6].

كما أن بعضهن منعن من رؤية أولادهن[7]، ومن زيارة آبائهن والاستحواذ على ممتلكاتهم من طرف أزواجهن[8]، وبيع ما تمتلكه من متاع وعقار[9]؛ بل وصل الأمر بأحدهم أن أقسم بقتل زوجته إن هي أنجبت له بنتا[10].

هذا؛ مع العلم أنهن عانين من ممارسة العنف من طرف أزواجهن، لدرجة تفضي إلى الموت أحيانا[11]. ففي هذا الصدد عانت إحداهن من

---

(1) نازلة 141، ص 157، نازلة 359، ص 406.

(2) انظر حالات من هذا القبيل في الصفحات: 13- 26- 28- 30- 31- 32- 41- 43...

(3) نازلة رقم 1، ص 21، نازلة 332، ص 360، نازلة 623، ض 569.

(4) نازلة1، ص 21، نازلة 58، ص 41، نازلة 271، ص 292.

(5) نازلة رقم 1، ص 21، نازلة 738، ص 647، نازلة 777، ص 677.

(6) نازلة 738، ص 647.

(7) نازلة 32، ص 48.

(8) نازلة 98، ص 116.

(9) نازلة 182، ص 201.

(10) نازلة 248، ص 273.

(11) نازلة 623، ص 569.

جروح كثيرة في مواضع مختلفة من جسدها جراء اعتداء زوجها عليها ظلما وعدوانا حسب النازلة[1].

إلى جانب ذلك، عانت النسوة من سوء المعاملة والبغض من طرف أزواجهن[2]، ورفضهم النفقة عليهن[3].

بينما تعرضت أخريات للاغتصاب[4]، وتمت سرقتهن وبيعهن في الأسواق[5]، بل لا نعدم من الشواهد التي تثبت أن بعضهن وافقن طواعية على بيعهن مع بناتهن[6].

ولا نعدم من الإشارات التي تدل أنها عانت من التمييز العنصري، ففي هذا الصدد يورد نازلة تتحدث عن لون المرأة ووصفها بـ«المملوكة السوداء»[7].

الحياة الزوجية ومشاكلها:

وبعد الزواج تبين نوازله أن هنالك زوجات سعين إلى كسب محبة أزواجهن عن طريق وهب أموالهن إليهم[8]، بل ومساعدتهم في الأعمال

(1) نازلة 379، ص 380.
(2) نازلة 141، ص 157.
(3) نازلة 191، ص 218، نازلة 291، ص 316.
(4) نازلة 629، ص 572.
(5) نازلة 598، ض 550.
(6) نفس النازلة.
(7) نازلة 263، ص283 و«الخادمة السوداء»، نازلة 302، ص 326.
(8) نازلة 783، ص 688.

الفلاحية والتجارية، فقد قامت إحداهن بتربية دود الحرير، وكل ذلك من أجل التودد لهم وحسن معاشرتهم[1].

كما تناول بعض المشاكل الزوجية التي عادة ما تفضي إلى الخلاف بين الزوجين منها عدم انصياع الزوجة لأوامر زوجها، وإن كانت هذه الظاهرة متفشية أكثر في أوساط العائلات الوجيهة[2]، ذلك أن «زوجين من ذوي الهيئات وأهل التصاون أقاما على الزوجية سنين عددا ونشأت بينهما ذرية وكانت المرأة تنشز في خلال ذلك متجنية عليه في ذلك»[3].

كما كان لغياب الزوج عن زوجته، واستمراره لمدة طويلة أن أسهم في تفاقم المشاكل الزوجية وأدى أحيانا إلى الطلاق، وهو ما يفهم من النازلة التي أوردها «ابن الحاج» والتي حكم فيها لزوجة ادعت غياب زوجها أن تنتظر أربعة أعوام، فإن لم يرجع إليها أصبحت حرة في تطليق نفسها.

شكل الطلاق على العموم عبئا كبيرا على الرجل بسبب النفقات المفروضة عليه، فقد حدد ابن الحاج نفقة الزوج الفقير على زوجته المطلقة «بربع ونصف دقيق» و«ثمن زيت، وحمل حطب، وأربعة دراهم صرف، وبيت تسكنه وكسوة مع نصف درهم في الشهر.

مع العلم أن النفقة المفروضة على الزوج قد اختلفت حسب ظروفه

---

(1) نازلة (134.أ)، ص 148.

(2) نازلة 138، ص 153.

(3) نفسها.

المادية، فكانت نفقة الرجل المتوسط الحال في حال تطليق زوجته وهي حامل أو مرضعة ربع دقيق وثمن ونصف زيت ونصف حمل حطب، وستة دراهم صرف، ومسكن وكسوة، في حين فرض على الرجل الغني الإنفاق على امرأته المطلقة ما مقداره «ربعا دقيق، وثمنا زيت، وحمل واحد من حطب، وخمسة عشر درهما في الصرف، كل ذلك لشهر واحد، ويكري لها مسكنا مثل الذي كانت تسكنه معه، فإن كانت في أول الحمل ابتاع لها قميصا وسراويل...»[1].

الجانب الإداري:

كما أن نوازله لا تخلو من إشارات في الجانب الإداري، وزجر المخالفين ومن تعدى حدوده، بل نجده يشدد على عزل كل قاض تقاعس عن القيام بواجباته، أو أخل بها، دليلنا في ذلك قوله في نازلة «التعجيل بعزل القاضي المذكور»[2]؛ بل يحدد دواعي عزله، وذلك قصد «إراحة دين الإسلام منه، فبقاؤه يحكم في دين الله تعالى وإيذاء المسلمين وأموالهم من أعظم الشر والعار في دين الله تعالى وشريعة محمد ﷺ»[3]، ويشدد على أولي الأمر بعزله فورا «فلا يحل لمن بيده الأمر ممن استرعاه الله أمر المسلمين أن يتركه طرفة عين»[4].

---

(1) نازلة 359، ص 406- 407.

(2) نازلة رقم 46، ص 62.

(3) نس النازلة والصفحة.

(4) نفس النازلة، ص63.

بعض الظواهر الاجتماعية:

أ- الظوهر المذمومة:

عالجت نوازل ابن الحاج بعض الظواهر الاجتماعية المشينة، نذكر منها عقوق الوالدين[1]، ومعاقرة الخمر[2]، لدرجة يصل معها الشخص للإغماء من كثرة شربه[3]، والتعامل بالربا[4]، ناهيك عن الجمع بين الأختين[5]، وبين الأمة وابنتها[6]، بالإضافة إلى شيوع ظاهرة التسري بالإماء[7]، فضلا عن الزواج بطرق غير شرعية[8] والوقوع في الزنا[9]. وفي نازلة غريبة، ادعى رجلين الزواج بنفس المرأة في نفس الوقت[10]، كما تدخل الأهل بين الزوجين، وتحريض الزوجة على زوجها، وبذلك ساهموا في التفريق بينهما[11].

---

(1) نازلة 6، ص 25.

(2) نازلة 631، ص 574.

(3) نازلة 625، ص 570.

(4) نازلة 170، ص 182.

(5) نازلة 610، ص 559.

(6) نازلة 609، ص 558.

(7) نازلة 181، ص 200.

(8) نازلة 330، ص 358.

(9) نازلة 195، ص 220، نازلة 297، ص 322.

(10) نازلة 173، ص 185، نازلة 320، ص 350.

(11) نازلة (134.أ)، ص 148.

كما أشار إلى تفشي ظاهرة السرقة[1]، وعليه فقد اضطر الناس إلى تحصين أنفسهم بإصلاح الأسوار والدروب تحسبا لتحركات اللصوص والدعرة، حتى أن البعض منهم من شدة ممارسته للسرقة وُصِفَ بأنه «سلاب محارب»[2]، مع العلم أن البعض احترف السرقة ضمن عصابة[3]، أو مارسها لعدة مرات[4].

كما برزت ظاهرة التبذير بكثرة[5]، والعداوة والمخاصمات بين الأقارب ومختلف شرائح المجتمع[6]، ناهيك عن انتشار جرائم القتل العمد[7]؛ والعنف بمختلف أشكاله، سواء على المرأة[8]، أو مع الأقارب والجيران[9]، حيث يصل إلى القتل في عدة حالات[10]، أو ضد رجالات السلطة والقضاة، حجتنا في ذلك ما تعرض له أعوان أحد القضاة من ضرب وإشهار السلاح في وجوههم[11].

---

(1) نازلة 630، ص 573، نازلة 631، ص 573- 574، نازلة 626، ص 571.
(2) نازلة 630، ص 573.
(3) نازلة 264، ص 283، نازلة 627، ص 571.
(4) نازلة 628، ص 572.
(5) نازلة 146، ص 159، نازلة 131، ص 147، نازلة 128، ص 145، نازلة (134.ج)، ص 149...
(6) نازلة 105، ص 123، نازلة 116، ص 137.
(7) نازلة 286، ص 310، نازلة 750، نازلة 753.
(8) نازلة 220، ص 243، نازلة 379، ص 380، نازلة 623، ص 569.
(9) نازلة 754، ص 622، نازلة 755، ص 663.
(10) نازلة 219، ص 240.
(11) نازلة 149، ص 161.

كما عرجت نوازله على ظاهرة الغش في المجتمع الأندلسي[1]، مما استوجب عزل بعض الأشخاص من مهامهم بسبب ذلك[2].

هذا؛ مع ما تورده نوازله من ظواهر أخرى، فقد تعمد أحدهم إفطار نهار رمضان[3]، ووصل الأمر بشخص آخر إلى سب الذات الالهية والتكلم في صفاته بكلام لا يليق[4] – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا– ناهيك عن التكلم في الأنبياء بما لا يليق في حقهم[5]، والتنقيص من قيمة النبي محمد ﷺ بكلام لا يليق في حقه[6] وسبه[7].

ومن الظواهر الأخرى كذلك، تبرز ظاهرة تخلي الأمهات عن فلذات أكبادهن[8]، ومرد ذلك إلى خشية افتضاح أمر علاقة غير شرعية تارة، وخشية الطلاق تارة أخرى[9]، ومنهن من قامت ببيع بناتها[10]، أو قتل

(1) نازلة 234، ص 259، نازلة 776، ص 677.

(2) نازلة 145، ص 158.

(3) نازلة 630، ص 573.

(4) نازلة 635، ص 576، نازلة 636، ص 577.

(5) نازلة 632، ص 574، نازلة 633، ص 575.

(6) نازلة 633، ص 575.

(7) نازلة 295، ص 320.

(8) نازلة 595، ص 548.

(9) حيث أقسم رجل ليطلقن زوجته إن هي ولدت له بنتا «فولدت ابنة فألقتها عند باب الدار»، نازلة 248، ص 273.

(10) نازلة 598، ص 550.

طفلها من الزنا، كما أن امرأة أخرى تزوجت في عدتها، مما استوجب فسخ عقدها[1].

ب- الظواهر المحمودة:

إلى جانب ذلك، فقد ذكرت نوازله مجموعة من الظواهر الحميدة في المجتمع، من قبيل تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة؛ دليلنا في ذلك ما ذكره بخصوص شرعية توسعة مسجد ضاق بزواره على حساب منزل شخص محاذ له، بجواز ذلك مقابل تعويض صاحب المنزل[2]، كما تبين نازلة أخرى أن شخصا حاول تغيير موضع بابه ليطل على الزقاق، فأفتى بعدم جواز ذلك، لما له من ضرر على أهل الزقاق[3].

ما تظهر شيوع مبدأ التكافل بين أفراد المجتمع الأندلسي من خلال التصدق على الفقراء والأقارب[4]، وتحبيس الأملاك لفائدة المرضى[5]، وفقراء اليهود والنصارى[6]، إلى جانب تحبيس الدواب والأسلحة لاستعمالها في الحروب[7].

---

(1) نازلة 240، ص 264.

(2) نازلة 352، ص 400، وانظر نماذج أخرى في النوازل التالية: 97، (310. ب)، 311، 312، 313، 596...

(3) نازلة 262، ص 282.

(4) نازلة 106، ص 124.

(5) نازلة 659، ص 590.

(6) نازلة 660، ص 590.

(7) نازلة 657، ص 589.

ومن الإشارات المهمة التي ترد في ثنايا نوازله، ما يتعلق ببيع وشراء الكتب، بل وبكتابة عقود تثبت ملكيتها[1]، ناهيك وهبها للأبناء، ففي هذا الصدد تورد نازلة أن أبا وهب لابنه جميع كتبه «من الفقه والطب والأدب والطرف»[2].

عرج ابن الحاج على بعض المعتقدات الغيبية التي اعتقد بها الأندلسيين في عصره، ومنها: الاعتقاد في السحرة والكهنة والمنجمين[3]، ناهيك عن ذكر نوازله بعض عادات الاحتفالات بالأعياد والمواسم الدينية والألعاب التي كانت تقام خلالها من أجل الترفيه[4].

المعمار:

جانب آخر أشارت له نوازل ابن الحاج، ويتعلق بالجانب المعماري، فإضافة لذكره مجموعة من الأسواق، فإننا نلحظ ذكره عرضا للمنازل وما تضمه من غرف، ناهيك عن بعض المساجد، من قبيل مسجدي الزبيدي والغريش بإشبيلية[5]، ومسجد حولان[6]، إضافة لمسجد قرطبة الذي يضم الصومعة والصحن والمنارة[7]، إضافة لانتشار الحمامات[8].

---

(1) نازلة 87، ص 104

(2) نازلة 204، ص 233.

(3) نازلة 216، ص 238، نازلة 218، ص 240، نازلة 638، ص 578، نازلة 639، ص 579، نازلة 771، ص 671.

(4) نازلة 361، ص 410.

(5) نازلة 200، ص 224- 225- 226.

(6) نازلة 736، ص 643

(7) نازلة 736، ص 638- 639- 640.

(8) نازلة 200، ص 225.

المهام الدينية

بالإضافة لما تتضمنه نوازل ابن الحاج من معلومات عن دور القضاة والأئمة في المساجد، تورد هذه النوازل إشارات غاية في الأهمية فيما يتعلق بارتقاب الأهلة، حيث تحدثنا نازلة عن تحريه الدقة في رؤية هلال رجب سنة إحدى وعشرين وخمسمائة[1]، ومن ذلك اعتماد أشخاص ثقة لمشاهدة استهلال هلال رمضان[2]، وتوجيه أوامر إلى حكام وأئمة مساجد قرطبة وأرباضها وكورها لارتقاب الهلال[3].

بل إن عملية ارتقاب هلال رمضان كانت تتم عبر أشخاص مكلفون بذلك رسميا من قاضي القضاة، وتوجه لهم دعوة رسمية قصد التثبت من رؤيه[4]، ومن جملتهم: العدول والأعيان، والوزراء، والعلماء والفقهاء المشاورين[5] الذين «جرت العادة بإحضارهم»[6] لهذا الشأن.

ومن علامات الدقة في ذلك، ومن شدة حرص ابن الحاج على تحري الدقة في ارتقاب الهلال في الليالي الغائمة التي يتعذر فيها الرؤية أنه

---

(1) نازلة 736، ص 638.
(2) نازلة 736، ص 638– 640.
(3) نفسها، ص 638.
(4) نفس الصفحة.
(5) نازلة 736، ص 641.
(6) نازلة 736، ص 639.

كان يسأل الوافدين إلى قرطبة من مختلف المناطق[1] من تجار ومسافرين[2] عن صحة صبوت رؤيته في بلدانهم من عدمه[3].

بل نجد ابن الحاج يقوم بأخذ شهادة كل شخص أكد رؤيته للهلال، ويسجل اسمه من شدة الحرص على التثبت في رؤية الهلال، وتجنبا لأي خطأ[4]، إذ يأخذ بشهادة أكثر من شخص في ذلك، ومن التقاة منهم[5]، وفي نازلة أخرى يرفض الأخذ بشهادة شخصين[6]، بل وصل المر إلى اخذ شهادة ما يناهز خمسة وعشرين شخصا كلهم أكدوا رؤية هلال شهر رمضان[7].

ومن شدة الحرص على ارتقاب هلال رمضان أن أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين كان يجلس بنفسه لارتقابه ورؤيته بمعية قاضي مراكش[8].

3. ملاحظات حول الكتاب

إن المتصفح لكتاب نوازل ابن الحاج التجيبي، ليسترعي انتباهه

(1) من غرناطة، ألميرية، مرسية، شاطبة، بلنسية، قلعة رباح، بطليوس، ومن مراكش، ص 641.
(2) نازلة 736، ص 642.
(3) ص 641.
(4) ص 643.
(5) ص 642.
(6) نازلة 70، ص 83.
(7) ص 643، وانظر حالة مشابهة في النازلة 71، ص 83- 84.
(8) نفس النازلة ص 641.

المجهود الجبار والقيم الذي بذله محققه الدكتور أحمد اليوسفي[1]، ويكفي أنه اخرج للنور كتبا ضخما يشمل على اكثر من 700 نازلة، مع العلم أن نسخ المخطوط مكتوبة بخط يشبه الطلاسم.

لكن مع ذلك؛ فمن قراءتنا للكتاب عنت لنا بعض الملاحظات نجملها فيما يلي:

❖ تخلل الكتاب المطبوع أخطاء في الرقن، وهي ناتجة عن التعجيل بطبع الكتاب[2]، أفقدت الكتاب جماليته.

❖ جميع الإحالات في الكتاب التي تشير لصفحات النوازل تشوبها أخطاء في الترقيم، فكلها متقدمة بصفحات كثيرة عما يدونه المحقق في هوامشه[3].

---

(1) استغرق العمل في هذه الأطروحة أكثر من ربع قرن من الزمن، فتاريخ تسجيلها يعود لسنة 1991- 1992.

(2) نقر سلفا بأن هذه الخطاء خارجة عن إرادة المحقق، مع ما عرف عنه من ضبط، وسينشر الكتاب في طبعة ثانية مزيدة ومنقحة بدولة الامارات العربية المتحدة.

(3) لتوضيح ذلك، فالمحقق يذكر رقم النازلة وصفحتها في الهامش، وعند الرجوع لتلك الصفحة لا نجد نفس النازلة المشار إليها، وكمثال: انظر الهامش 1، ص 146، من قسم الدراسة، حيث يشير الباحث إلى المسألة 285، ص 225 من النسخة (ز)، وعند العودة للمتن في الجزء الثاني من النوازل فإننا نجدها تتحدث عن النازلة رقم 200، وهي تقع في الصفحة 68 من المخطوط رقم ز، وإذا ذهبنا للنازلة رقم 285، فإننا ندها في الصفحة 304 من الكتاب المحقق، ورقم صفحتها حسب نفس رمز المخطوط هو 93، انظر الصفحة 304، من الجزء الثاني، وقارنه بما يذكره المحقق في قسم الدراسة، ص 146، ولا ندري سبب هذا الخلط، مع العلم أنه يتكرر في كل الاحالات المشابهة.

❖ يذكر أيضا في الصفحة 146، من قسم الدراسة، الهامش رقم 2، أن النص المحقق يضم قائمة بالأصول الفقهية التي اعتمدها ابن الحاج في نوازله، وأن المحقق ذكرها في فهرس الكتب والمصنفات في الصفحة 546، وبرجوعنا لتلك الصفحة فإننا لا نعثر على ذلك، ولا ندري أين هذا الجرد أصلا في العمل كله.

❖ غياب العديد من الفهارس المتعارف عليها في تحقيق النصوص، وهي من مكملات عملية تحقيق المخطوطات، كما يذهب إلى ذلك شيخ المحققين العرب عبد السلام هارون[1]، ومن تلك الفهارس نذكر:

1- فهرس الكتب
2- فهرس الأعلام
3- فهرس الأمم والطوائف والجماعات ونحوها
4- فهرس البلدان
5- فهرس المصطلحات الفقهية
6- فهرس الألفاظ الاصطلاحية
7- فهرس المكاييل والأوزان
8- فهرس المقاييس
9- فهرس النقود

(1) عبد السلام محمد هارون: **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة 1998، ص92.

10- فهرس الحيوانات

11- فهرس للإشارات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية

12- فهرس الأطعمة والأشربة

13- وغيرها من الفهارس التي تساعد الباحث على سبر أغوار الكتاب وتقدم خدمات جليلة للباحثين

❖ بذل المحقق جهدا جبارا لإخراج نصوص النوازل ومقارنة النسخ المعتمدة، وشرح ما صعب منها إلى غير ذلك من عمل المحقق، لكن ذلك الجزء غاب بشكل كلي في قسم الدراسة.

❖ أشرنا سلفا بأن ابن الحاج لم يرتب نوازله بشكل مترابط حسب المواضيع، فحبذا لو قام المحقق بترتيب جميع النوازل حسب مواضيعها، وذلك يسهل على الباحث الرجوع لها.

❖ فالمتأمل للنوازل، يستشف الكم الهائل من المعلومات التاريخية والاقتصادية والاجتماعية، التي يمكن للدارس الخروج منها بدراسة معمقة حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والديني للأندلس عصري الطوائف والمرابطين، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

أ- الأسرة من خلال نوازل ابن الحاج،

ب- الطفل من خلال نوازل ابن الحاج؛

ت- المرأة من خلال نوازل ابن الحاج؛

ث- العنف من خلال نوازل ابن الحاج؛

ج- أنواع المكاييل والموازين من خلال نوازل ابن الحاج؛

ح- الوقف والأحباس من خلال نوازل ابن الحاج؛

خ- أنواع الأطعمة والأشربة من خلال نوازل ابن الحاج؛ وغيرها من المواضيع التي يمكن للمؤرخ الخروج بها من هذه النوازل.

4. خاتمة:

من خلال ما سبق يتضح أهمية الكتاب في الدراسات التاريخية، وما تحتويه من إشارات تتعلق بمختلف مناحي الحياة في المجتمع الأندلسي عصري الطوائف والمرابطين.

وعسانا بقراءتنا هذه نكون قد أضفنا إضافة لعمل المحقق، الذي بذل جهودا جبارة لإخراج النوازل من رفوف المكتبات إلى عموم القراء والمتخصصين في التاريخ الأندلس محققة تحقيقا علميا.

وحسبي أني حاولت وسعيت «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى».

لائحة المصادر والمراجع

1- المصادر:

1- ابن ورد الأندلسي: **أجوبة ابن ورد الأندلسي**، دراسة وتخريج الدكتور محمد الشريف، الرباط 2008.

2- البُرْزُلِي، أبو القاسم أحمد بن محمد (ت. 841 هـ): **جامع مسائل**

الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق الدكتور محمد الحبيب الهيلة، دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت، 2002، 7 أجزاء.

3- التجيبي، محمد ابن الحاج: **نوازل ابن الحاج التجيبي**، دراسة وتحقيق، الدكتور أحمد شعيب اليوسفي، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، تطوان 2018، 3 أجزاء.

4- الرُّعيني، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن (ت. 954هـ): **مواهب الجليل في شرح مختصر خليل**، دار الفكر، ط2، بيروت 1398، 6 أجزاء.

5- العبدري، أبو عبد الله محمد بن يوسف المواق (ت. 897هـ): **التاج والإكليل لمختصر خليل**، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 1416هـ-1994، 8 أجزاء.

6- القاضي عياض وولده محمد: **مذاهب الحكام في نوازل الأحكام للقاضي عياض**، تحقيق محمد بنشريفة، منشورات دار الغرب الاسلامي، ط2، بيروت 1997.

7- الونشريسي، أبو العباس أحمد بن يحيى: (ت. 914هـ): **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، إصدار جماعة من المحققين بإشراف الدكتور محمد حجي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للمملكة المغربية - ودار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، 13 ج.

2- المراجع:

8- إبراهيم القادري بوتشيش: **المغرب والأندلس في عصر المرابطين، المجتمع- الذهيات- الأولياء**، منشورات الجمعية المغربية للدراسات الأندلسية، ط 2، 2004.

9- أحمد التوفيق: **المجتمع المغربي في القرن 19 (اينولتان 1850-1912)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط،، سلسلة: رسائل وأطروحات رقم 63، مطبعة النجاح الجديدة - الدار البيضاء، الطبعة: الثالثة - سنة 2011م.

10-أحمد الطاهري: **البناء والعمران الحضري بإشبيلية العبادية: إعادة تركيب المدينة من خلال المصادر العربية**، دار الكتب العربية، بيروت 2006.

11-عبد السلام محمد هارون: **تحقيق النصوص ونشرها**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة السابعة 1998.

12-عبد الواحد ذنون طه: **دراسات أندلسية**، منشورات دار المدار الإسلامي، بيروت 2004.

13-عصمت عبد اللطيف دندش: **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، دار الغرب الاسلامي، بيروت 1988.

14-عمر بنميرة: **النوازل والمجتمع: مساهمة في دراسة تاريخ البادية بالمغرب الوسيط، القرنان الثامن والتاسع/14 و15**، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط: اطروحات ورسائل 76، 2012.

15-محمد الأمين بلغيث: **الحياة الفكرية بالأندلس في عصر المرابطين**، الصادرة عن دار البصائر الجديدة للنشر والتوزيع، الجزائر.

16-محمد المنوني: **المصادر العربية لتاريخ المغرب من الفتح الإسلامي إلى نهاية العصر الحديث**، منشورات كلية الآداب بالرباط، الجزء الأول، 1404هـ- 1983م.

17-محمد المنوني: **ورقات عن حضارة المرينيين**، كلية الآداب بالرباط، الطبعة الثالثة، 2000.

18-محمد بن حسن شرحبيلي: **تطور المذهب المالكي في الغرب الاسلامي حتى نهاية العصر المرابطي**، منشورات وزارة الوقاف والشؤون الاسلامية، مطبعة فضالة، المحمدية، 2000.

19-محمد حجي **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، الرباط.

20-محمد حجي: **نظرات في النوازل الفقهية**، منشورات الجمعية المغربية للبحث للتأليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء 1999.

21-محمد عبد الوهاب خلاف: **وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس**، القاهرة 1980.

22-محمد فتحة: **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الاسلامي**، كلية الآداب والعلوم الانسانية، الدار البيضاء 1999.

23-محمد مزين: **فاس وباديتها: مساهمة في تاريخ المغرب السعدي، 1549م - 1637م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 1986، سلسلة رسائل واطروحات رقم 12، جزآن.

3- المقالات:

24-إبراهيم القادري بوتشيش: «**المرابطون وسياسة التسامح مع نصارى الأندلس، نموذج من عطاءات الحضارة الأندلسية**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الخامس: **العلوم الشرعية**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط: 1417هـ/1996م، ج 1.

25-«**النوازل الفقهية في الأطروحات الجامعية: التوجهات، الإضافات المعرفية والإشكالات المنهجية**»، مجلة **عصور الجديدة**، ع 16-17، أبريل 2014- 2015.

26-«**النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق 5 - 6هـ/ 12 - 13م)**»، مجلة **التاريخ العربي**، عدد 22، ربيع 2003م،

27-«**حول مخطوط ابن الحاج وأهمية مادته التاريخية**»، مجلة **دار النيابة**، عدد 27، 1989.

28-«**ظاهرة الزواج في الأندلس إبان الحقبة المرابطية من خلال نصوص ووثائق جديدة**»، ضمن أعمال ندوة: **حضارة الأندلس في الزمان والمكان**، منشورات جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية المحمدية، 1993.

29-**النوازل الفقهية وكتب المناقب والعقود العدلية مصادر هامة لدراسة تاريخ الفئات العامة بالغرب الإسلامي (ق 5 - 6هـ/ 12 - 13م)**، مجلة **التاريخ العربي**، عدد 22، ربيع 2003.

30-أحمد اليوسفي شعيب: «**أهمية الفتاوى الفقهية في كشف وقائع التجربة الأندلسية (نوازل ابن الحاج) القرطبي نموذجا**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الأول التاريخ وفلسفته، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996م، ج1.

31-سعيد بنحمادة: «**الفلاحون والفلاحة في البادية المغربية والأندلسية في العصر الوسيط من خلال كتب الأمثال الشعبية**»، **كان التاريخية**، السنة السادسة، العدد الثاني والعشرون/ ديسمبر (كانون الأول) 1435هـ-2013م.

32-سعيد غراب: «**كتب الفتاوي وقيمتها الاجتماعية، مثال نوازل البرزلي**»، **حوليات الجامعة التونسية**، ع16، 1978.

33-عبد العزيز خلوف: «**قيمة فقه النوازل التاريخية**»، مجلة **البحث العلمي**، ع29- 30، 1979.

34-عبيد بوداود: «**كتب نوازل وفتاوى الغرب الإسلامي الوسيط مصدرا للدراسات التاريخية والتشريعات القانونية**»، ضمن ندوة **التاريخ والقانون، التقاطعات المعرفية والاهتمامات المشتركة**، أعمال مهداة للأستاذ الدكتور محمود إسماعيل، أيام 3-4-5 نونبر 2009، الجزء

الأول، سلسلة الندوات رقم 22، 2009، جامعة مولاي إسماعيل مكناس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – كلية العلوم القانونية والاقتصادية والاجتماعية.

35-عمر أفا: **نوازل الكرسيفي مصدرًا للكتابة التاريخية**، ضمن كتاب: **التاريخ وأدب النوازل**، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، الرباط، 1995م.

36-عمر بن حمادي: «**النوازل بين طرافة القضايا ومشاكل النسخ وصعوبات التحقيق**»، مجلة **دراسات اندلسية**، ع 44، تونس 2010.

37-عمر بنميرة: «**جوانب من تاريخ أهل الذمة في الأندلس الإسلامية**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الأول التاريخ وفلسفته، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996م، ج1.

38-فاطمة بلهواري: «**النص النوازلي للغرب الإسلامي أداة لتجديد البحث في تاريخ الحضارة الإسلامية**»، **مجلة عصور**، مجلة علمية محكمة يصدرها مخبر البحث التاريخي مصادر وتراجم، جامعة وهران–الجزائر، ع 17، جوان/ ديسمبر 2011.

39-مبارك جزاء الحربي: «**جهود فقهاء المالكية المغاربة في تدوين النوازل الفقهية**»، مجلة **الشريعة والدراسات الإسلامية**، العدد الرابع والستون – السنة الحادية والعشرون – مارس 2006.

40-محمد بن شريفة: «**وقائع أندلسية في نوازل القاضي عياض**»، مجلة **دعوة الحق**، عدد 264، أبريل ـ مايو 1987.

41-محمد بنشريفة: «**أوائل الإفتاء والمفتين بالمغرب**» ضمن كتاب: **التاريخ وأدب النوازل**، دراسات تاريخية مهداة للفقيد محمد زنيبر، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات، رقم 46، المحمدية، 1995.

42-محمد بنشريفة: «**نوازل غرناطية لابن عاصم**»، ضمن كتاب: **التراث الحضاري المشترك بين إسبانيا والمغرب**، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، 1993.

43-محمد بن عبود ومصطفى بنسباع: «**تقييم مصادر التاريخ الاجتماعي للأندلس خلال عصري الطوائف والمرابطين مع تحليل نماذج منها**»، مجلة **كلية الآداب** بتطوان، العدد الثامن، تطوان، منشورات كلية الآداب بتطوان، 1997.

44-محمد بنعبود ومصطفى بنسباع: «**جوانب من المجتمع الأندلسي خلال عصري الطوائف والمرابطين من خلال نزاول ابن الحاج**»، مجلة **كلية الآداب** بتطوان، العدد 6، تطوان، منشورات كلية الآداب، 1993.

45-محمد حسن: «**الريف المغربي في كتب النوازل**»، **الكراسات التونسية**، عدد (131- 132)، 1985.

46-محمد مزين: «**التاريخ المغربي ومشكل المصادر نموذج: النوازل الفقهية**»، **مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس**، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، عدد خاص 2 سنة 1406هـ-1985م، دراسات في تاريخ المغرب، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء.

47-محمد مزين: «**حصيلة استعمال كتب النوازل الفقهية في الكتابة التاريخية المغربية**»، ضمن ندوة **البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، جامعة محمد الخامس 1989، مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء.

48-محمد ياسر الهلالي: **نوازل بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط**، تقديم وترتيب ببليكرونولوجي، ضمن: **فقه النوازل في المذهب المالكي قضايا وأعلام**، **مجلة دعوة الحق**، ع 396، جمادى الثانية 1431هـ/ يونيو2010م.

49-مصطفى بنسباع: «**ابن الحاج التجيبي القرطبي ومسائل بيوعه في معيار الونشريسي**»، ضمن ندوة **الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات**، القسم الخامس: **العلوم الشرعية**، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، ط: 1417هـ/1996م، ج5.

50-نسيم حسبلاوي: «**التاريخ وفقه النوازل بالغرب الإسلامي: من البداية إلى عصر الونشريسي**»، مجلة الحكمة، عدد 12، 2012.

4- المراجع الأجنبية

1- ARIÉ. R: **España musulmana** (siglos VIII - XV): Historia de España dirigida por Manuel Tuñón de Lara, III, Barcelona 1989.

2- Ahmad alwancharisi**, la pierre de touche des fétwas**: choix de consultations juridiques des faqihs du Maghreb, traduites et analysées par Émile Amar T, I, in

archives marocaines, V, XII , publication de la mission scientifique du maroc, Ernest Leroux, paris, 1908.

3- Jacelyn Hendrickson, **The Islamic Obligation to Emigrate; AL-Wansharisi's Asans al Matajir** Reconsidered, Dissertation submitted to the Faculty of the Graduate School of Emort University, 2009.

4- María Arcas Campoy ,"**Algunas consideraciones sobre los tratados de jurisprudencia mālikí de al-Andalus**" ; Miscelánea de estudios árabes y hebraicos. Sección Árabe-Islam. Vol. 37 (1988).

5- Maria J. Viguera: **En torno a las fuentes juridicas de la al Andalus**< ; Actes de colloque: La civilisaion d'al Andalus dans le temps et dans l'Espace , Mohammadia, 1993.

6- Mezzine, Larbi: **Le Tafilalt: contribution à l'histoire du Maroc aux XVIIe et XVIIIe siècles,** Université Mohamed V, 1987, Rabat.

7- Mohamed Mezzine, **Fuqaha à l'épreuve de l'Histoire: Sainteté pouvoir et société au Maroc début des temps modernes**, Fés, 2003.

8- Reinhart Dozy, Recherches sur l'histoire et la littérature de l'Espagne pendant le moyen âge, Ed. Paris, Leyde, Brill, 1860, vol. 1.

9- Thami AZEMMOURI, **les Nawazil d'Ibn Sahl, Section relative à l'Ihtisab**, 1 partie: Introduction texte arabe et bibliographie, HESPERIS TAMUDA, UNIVERSITE MOHAMMED V, FACULTE DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES, VOL XIV- Fascicule unique, EDITIONS TECHNIQUES NORD AFRICAINES 1973.

❊ ❊ ❊ ❊

قراءة لمخطوطة: «صحيح» ابن حبان
وعليها خط الحافظ ابن حجر وجماعة من العلماء

د. عبد الحليم بن ثابت

مهتم بالتراث المغاربي الأندلسي

وأستاذ الحديث وعلومه بجامعة أحمد دراية بأدرار – الجزائر

تقديم

هذه قراءة لمخطوطة «سنن» ابن حبان وعليها خط شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر وغيره؛ هكذا كُتب على أول ورقة منه، نقدمه للقُراء الكرام ونعرف به ونكشف عن خباياه ومزاياه.

هذا المخطوط الذي بين أيدينا، يُرجى له أن يساهم في إثراء القارئ الكريم والمتبحر في علوم السنة وكذا يكون مصدرًا هامًا من مصادر المكتبات الإسلامية وزادًا لمحقق التراث للانتهال منه والاهتبال بما فيه من سماعات وتملكات.

وهو عِلْقٌ نفيس من الكتب المسندة إلى المصطفى ﷺ، من مخطوطات مكتبة زاوية الشيخ علي بن عمر المعروفة بالزاوية العثمانية العامرة بمدينة طولقة[1]، إحدى خزائن المغرب الأوسط المليئة بكنوز التراث العربي الإسلامي، وحسبي في ذلك التعريف بالمصنِّف والْمُصنَّف لما فطر الله النفس البشرية التي فطر الناس عليها فخرًا، وتزدهي عجبًا وإعجابًا حين تنشر في الناس محامد الأجدادِ الماضين، ونستلهم من سيرتهم العطرة قيما وإشراقات مستقبلية، ولذا قال أبو العباس المقري (ت 1041هـ): «الإنسان مجبول على خبر أسلافه، ومن له به تعلق»[2]، ومنه أيضا قول الشاعر الفرزدق:

أولَئِكَ آبائي فَجِئني بِمِثلِهِم إذا جَمَعَتنا يا جَريرُ المَجامِعُ

وهو أيضا من بابة قول حافظ المغرب والأندلس أبي عمر ابن عبد البر (ت 463هـ) في تقدمة كتابه الذي لم يصنف مثله «التمهيد لما في

---

(1) تأسست الزاوية العثمانية على يد صاحبها الشيخ سيدي علي بن عمر الطولقي الإدريسي الحسني (ت 1258هـ-1842م) سنة 1193هـ/1780م، وهي زاوية عامرة لليوم بتعليم وتحفيظ القرآن الكريم والعلوم الشرعية الأخرى، كما تقوم أيضا بمساعدة الفقراء والمحتاجين والمعوزين، وكذا إصلاح ذات البين، يُشرف عليها اليوم سيدي الشيخ عبد القادر العثماني، وفيها مكتبة مليئة بنوادر الكتب القديمة والمخطوطات، تضم في ثناياها أكثر من 1500 مخطوط، وأكثر 4500 كتاب نادر وقديم، ومدينة طولقة تبعد عن العاصمة الجزائر بحوالي 400 كلم وهي ضمن الحدود الإقليمية لولاية بسكرة، ينظر في ذلك ما كتبه أبو القاسم سعد الله في «تاريخ الجزائر الثقافي» (215/3).

(2) أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض (12/5).

الموطأ من المعاني والأسانيد» مُبررا الداعي لاعتماده رواية يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي: «فكلُّ قوم ينبغي لهم امتثال طريق سَلَفِهم فيما سبق إليهم من الخير، وسلوك منهاجهم فيما احتملوا عليه من البر وإن كان غيره مباحا مرغوبا فيه»[1].

ارتأيت أن أقدم بين يديك أخي القارئ الكريم لمحات ثلاث لعلها تفيد في إبراز أهمية هذه المخطوطة والتشويق لمعرفة سجاياها والتقاط دررها ومميزاتها، وهذه اللمحات:

اللمحة الأولى: وهي خاصة بالْمُؤَلِّف والْمُؤَلَّف: نعرف فيها بإيجاز أطوار حياته، من ولادته ونشأته وتعليمه وتعلمه لوفاته، كما نعرف بكتاب «صحيح» ابن حبان، وبترتيبه، وبمنزلته، وبالكتب التي دارت حوله.

اللمحة الثاني: وهي خاصة بالتعريف بالمخطوط: أقدم وصفا للمخطوط، من اسمه وناسخه وعدد أوراقه، ومن تملكه، وبما يبدأ وبما ينتهي، وغيرها.

اللمحة الثالثة: أبرز فيها قيمة المخطوط: وذلك بذكر السماعات والإجازات والمقابلات المثبتة فيه، وإضافاته، وأروي قصة تنقله بين البلاد حتى وصل إلى المكتبة التي تحتفظ به الآن.

وفي الأخير جعلت **مُلحقا** بالصور: وضعت فيه ما وقفت عليه من سماعات وإجازات أثبتت في المخطوط.

---

(1) (10/1).

مع ذكري في الأخير لسرد المصادر والمراجع التي رجعت إليها أثناء كتابتي هذه الأوراق.

اللمحة الأولى: التعريف بالمؤلِّف والمؤلَّف

أولا: التعريف بابن حبان:

1. **اسمه ونسبه وكنيته وولادته:** هو أبو حاتم محمد بن حِبَّان بن أحمد بن حبان التميمي البُستي السجستاني[1].

ونسبته التميمي نسبة إلى تميم جد القبيلة العربية المشهورة، الذي يرتفع نسبه إلى عدنان، فهو عربي الأصل، أفغاني المولد[2].

ولد سنة بضع وسبعين ومائتين، في مدينة بُسْت من حواضر أفغانستان اليوم، وبها نشأ وتعلم وتوفي.

2. **شيوخه:** تتلمذ على مشايخ كُثر حتى قال في أثناء كتابه «التقاسيم والأنواع»[3]: ولعلنا قد كتبنا عن أكثر من ألفي شيخ من إسبيجاب إلى

---

(1) ترجم له جمع من العلماء من بينهم: السمعاني في «الأنساب» (225/2)، وابن عساكر في «تاريخ مدينة دمشق» (249/52 رقم: 6193)، والحموي في «معجم البلدان» (415/1)، والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (92/16 رقم: 70)، وفي «تاريخ الإسلام» (73/8 رقم: 137)، وفي «ميزان الاعتدال» (81/4 رقم: 6939)، والصفدي في «الوافي بالوفيات» (236/2 رقم: 770)، وابن حجر في «لسان الميزان» (46/7 رقم: 6619صح).

(2) ينظر: «الإحسان في تقريب صحيح ابن بلبان" مقدمة المحقق (7/1).

(3) (109/1).

الإسكندرية. قال الذهبي معلقا على كلامه[1]: كذا فلتكن الهِمَم، هذا مع ما كان عليه من الفقه، والعربية، والفضائل الباهرة، وكثرة التصانيف.

ومن بين مشايخه: أبو بكر بن خزيمة بنيسابور، وكتب بالبصرة عن أبي خليفة الجُمحيّ، وبالشام عن محمد بن عبيد الله الكلاعي، وبمصر على أبي عبد الرحمن النسائي، وبنَسَا من الحسن بن سفيان، وببُخَارى من عُمر بن محمد بن بُجير، وغيرهم.

3. **تلاميذه:** سمع منه أبو عبد الله بن منده، وأبو عبد الله الحاكم، ومنصور الخالدي، وأبو

معاذ السجستاني، ومحمد بن أحمد النُّوقاتي، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

4. **ثناء العلماء عليه:** أثنى عليه جمع العلماء من بينهم:

أبو سعد الإدريسي: كان على قضاء سمرقند زمانًا، وكان من فقهاء الدين، وحفاظ الآثار، عالما بالطب، وبالنجوم، وفنون العلم، وفقَّهَ الناس بسمرقند.

وقال الحاكم أبو عبد الله: كان من أوعية العلم في اللغة والفقه والحديث والوعظ، وكان من عقلاء الرجال، صنف فخرج له من التصنيف في الحديث ما لم يسبق إليه، وَوُلِّي القضاء بسمرقند وغيرها من المدن بخراسان، ثم ورد نيسابور سنة أربع وثلاثين وحضرناه يوم جمعة بعد

(1) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (94/16).

الصلاة فلما سألناه الحديث نظر إلى الناس وأنا أصغرهم سنا فقال: استمل، فقلت: نعم، فاستمليت عليه، ثم أقام عندنا وخرج إلى القضاء إلى نسا أو غيرها، وانصرف إلينا سنة سبع وثلاثين فبنى الخانقاه في باب الرازيين وقُرئ عليه جملة من مصنفاته، ثم خرج من نيسابور سنة أربعين وانصرف إلى وطنه بِبُست وكانت الرحلة بخراسان إلى مصنفاته.

وقال أبو بكر الخطيب: كان ابن حبان ثقة، نبيلا، فهما.

وقال ابن السمعاني: إمام عصره صنف تصانيف لم يسبق إلى مثلها، رحل فيما بين الشاش إلى الإسكندرية.

وقال ابن عساكر: أحد الأئمة الرحَّالين والمصنفين المحسنين.

وقال الحموي: كان مكثرًا من الحديث والرحلة والشيوخ، عالما بالمتون والأسانيد، أخرج من علوم الحديث ما عجز عنه غيره، ومن تأمَّلَ تصانيفه تأمّل مُنصف علم أنَّ الرجل كان بحرا في العلوم.

وقال الذهبي: الإمام، العلامة، الحافظ، المجود، شيخ خراسان.

5. **مصنفاته**: قال الخطيب: ذكر مسعود بن ناصر السجزي تصانيف ابن حبان، فقال:

«تاريخ الثقات»، «علل أوهام المؤرخين» مجلد، «علل مناقب الزهري» عشرون جزءا، «علل حديث مالك» عشرة أجزاء، «علل ما أسند أبو حنيفة» عشرة أجزاء. «ما خالف فيه سفيان شعبة» ثلاثة أجزاء، «ما خالف فيه شعبة سفيان» جزءان. «ما انفرد به أهل المدينة من السنن»

مجلد، «ما انفرد به المكيون» مجيليد، «ما انفرد بـه أهـل العـراق» مجلـد، «ما انفرد به أهل خراسان» مجيليد، «ما انفرد به ابن عروبـة عـن قتـادة، أو شعبة عن قتـادة» مجيليـد. «غرائـب الأخبـار» مجلـد، «غرائـب الكـوفيين» عشـرة أجـزاء، «غرائـب أهـل البصـرة» ثمانيـة أجـزاء، «الكنـى» مجيليـد، «الفصل والوصل» مجلـد، «الفصـل بـين حـديث أشـعث بـن عبـد الملـك، وأشعث بن سوار» جزءان، كتاب «موقوف ما رفع» عشـرة أجـزاء. «مناقـب مالك»، «مناقب الشـافعي»، كتـاب «المعجـم علـى المـدن» عشـرة أجـزاء، «الأبـواب المتفرقـة» ثلاثـة مجلـدات، «أنـواع العلـوم وأوصـافها» ثلاثـة مجلدات، «الهداية إلى علم السنن» مجلد، «قبول الأخبار»، وأشياء.

قال السجزي: وهذه التواليف إنما يُوجد منها النزر اليسير، وكـان قـد وَقَف كتبه في دار، فكان السبب في ذهابهـا مـع تطـاول الزمـان ضـعف أمـر السلطان، واستيلاء المفسدين.

وأما الموجود منها والذي بين أيدي النـاس اليـوم خمسـة كتـب هـي: «الثقات» و«المجروحين مـن المحـدثين والضـعفاء والمتـروكين» و«مشـاهير علماء الأمصار» و«روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» و«المسند الصحيح علـى التقاسيم الأنواع».

6. **وفاتـه**: قـال الحـاكم النيسـابوري: ومـات فـي شـوال سـنة أربـع وخمسين وثلاثمائة (354هـ)،

ودفن بِبُست في الصُّفَّة التي ابتناها بقرب داره التي هي اليـوم مدرسـة لأصحابه ومسكن الغرباء الذين يقيمون بها من أهل الحديث والمتفقهة منهم

وله جِرايات يستنفِقُونها من داره، وفيها خزانةُ كتبه في يدي وصي سلمها إليه ليبذلها لمن يريد نسخ شي منها، من غير أن يخرجها منها.

ثانيا: التعريف بصحيح ابن حبان:

1. **اسم كتابه**: «المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا

ثُبوت جرح في ناقليها»، هكذا أثبت محققا الكتاب اسمه على غلافه، وفي أثناء مقدمتهم على الكتاب[1]، وهكذا أثبته أيضا الشيخ شعيب الأرناؤوط في مقدمة «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان»[2]، نقلا عن نسخة المخطوطة بدار الكتب المصرية[3]، وكذا من قول ابن حبان نفسه في تقدمة كتابه: «...من غير وجود قطع في سندها، ولا ثبوت جرح في ناقِليها»[4].

2. **الداعي لتأليف الكتاب**: صرح بذلك ابن حبان نفسه في مقدمة كتابه فقال: «...وإني لَمَّا رأيت الأخبار طرقها كثرت، ومعرفة الناس بالصحيح منها قلَّت، لاشتغالهم بِكِتْبَةِ الموضوعات، وحفظ الخطأ والمقلوبات، حتى صار الخبر الصحيح مهجورا لا يُكتب، والمنكر المقلوب عزيزًا يُستغرب، وأنَّ من جمع السنن من الأئمة المرضيين وتكلم

---

(1) (15/1).

(2) (34/1).

(3) رقم: 227 مجاميع.

(4) (65/1).

عليها من أهل الفقه والدين: أمعنوا في ذكر الطرق للأخبار، وأكثروا من تكرار المعاد للآثار، قصدا منهم لتحصيل الألفاظ، على من رام حفظها من الحفاظ، فكان ذلك سبب اعتماد المتعلم على ما في الكتاب، وترك المقتبس التحصيل للخطاب، فتدبرت الصِّحاح لأُسَهِّل حفظها على الْمُتعلمين، وأمعنت الفكر فيها لئلا يصعب وعيها على المقتبسين»[1].

3. **ترتيبه لكتابه**: ألَّف كتابه على ترتيب مبتكر ومخترع يتمايز به عن كل الكتب التي أُلِّفت

في السنن، فقد قسمه على خمسة أقسام: قال في مقدمته: (فرأيتها تنقسم خمسة أقسام متساوية متفقة التقسيم غير متنافية:

فأولها: الأوامر التي أمر الله عباده بها[2].

والثاني: النواهي التي نهى الله عباده عنها[3].

والثالث: إخباره عما احتيج إلى معرفتها[4].

والرابع: الإِبَاحات التي أبيح ارتكابها[5].

والخامس: أفعال النبي ﷺ التي انفرد بفعلها[6].

---

(1) (63/1).

(2) ذكر فيه: مائة وعشرة أنواع.

(3) ذكر فيه: مائة وعشرة أنواع.

(4) ذكر فيه: ثمانون نوعا.

(5) ذكر فيه: خمسون نوعا.

(6) ذكر فيه: خمسون نوعا.

ثم رأيت كل قسم منها يتنوع أنواعا كثيرة، ومن كل نوع تتنوع علوم خطيرة، ليس يعقلها إلا العالمون الذين هم في العلم راسخون، دون من اشتغل في الأصول بالقياس المنكوس، وأمعن في الفروع بالرأي المنحوس.

وإنا نملي كل قسم بما فيه من الأنواع، وكل نوع بما فيه من الاختراع، الذي لا يخفي تحضيره على ذوي الحِجا، ولا تتعذر كيفيته على أولي النُّهى، ونبدأ منه بأنواع تراجم الكتاب، ثم نملي الأخبار بألفاظ الخطاب، بأشهرها إسنادا، وأوثقها عِماداً من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، لأنَّ الاقتصار على أتم المتون أولى، والاعتبار بأشهر الأسانيد أحرى من الخوض في تخريج التَّكْرار، وإنْ آل أمرهُ إلى صحيح الاعتبار)[1].

فالأحاديث تَرِدُ ضمن هذه الأنواع، وتحت ترجمة خاصة للحديث يسميها ابن حبان بـ: «**ذكر**»، فكلٌّ من هذه التراجم يحتوي على خلاصة الحديث الذي يليه. وعندما يحتاج المؤلف أن يقول كلمة في الحديث أو عن سنده أو عَنْ مَا شابه ذلك يبدأ بـ: «**قال أبو حاتم**»، ويسرد قوله هناك.

في هذا الكتاب حوالي 7500 حديث؛ وهذا يدل على أنَّ في الكتاب تراجم أذْكَارٍ بنفس العدد، وأن ترجمة الذكر هي التي تضع النقطة الأخيرة التي يرى المؤلف ابن حبان أنَّها جوهر الحديث.

---

(1) (63/1).

وإنَّ كل حديث ورد في هذا الكتاب يجب أن يكون جزءًا لقسم من أقسام السنن الخمسة.

وبناءً على هذا، فإننا نستطيع أن نقول إنَّ كل حديث في الكتاب تم تقييمه من أربعة نقاط:

1. الأول منها: أنَّ كل حديث في هذا الكتاب صحيح يحتج به في الدِّين عند المؤلف، لأنَّ اسم الكتاب يقتضي هذا.

2. أقسام الكتاب تدلنا على أنَّ أي حديث يحتوي إمَّا أمرًا أو نهيا أو إباحةً أو إخبارًا أو فعلا.

3. تراجم الأنواع من أهم ما يُعين على فهم الحديث والاستنباط منه وجوهر قول ابن حبان فيه[1].

4. **منزلته بين كتب الصحاح**: قال الحافظ العراقي (ت 806هـ) في «شرح التبصرة والتبصرة»:

(ويُؤخذ الصحيحُ أيضًا من المصنفات المختصَّةِ بجمْعِ الصحيحِ فقط، كصحيحِ أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وصحيح أبي حاتم محمد بن حبان البستي، الْمُسَمَّى بـ: «التقاسيمِ والأنواعِ»، وكتاب «المستدرك على الصحيحين» لأبي عبد اللهِ الحاكم على تساهل في «المستدرك»)[2]، وقال ابن كثير (ت 774هـ) في «اختصار علوم الحديث»:

---

(1) ينظر بتصرف: مقدمة محققا «المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع» (17/1).

(2) (119/1).

(وكتب أُخَر التزم أصحابها صحتها، كابن خزيمة، وابن حبان البستي، وهما خير من «المستدرك» بكثير، وأنظف أسانيدَ ومتونًا)[1]، وقال السيوطي (ت 911هـ) في «جمع الجوامع»: (ورمزت للبخاري (خ)، ولمسلم (م)، ولابن حبان (حب)، وللحاكم في «المستدرك» (ك)، وللضياء المقدسي في «المختارة» (ض)، وجميع ما في هذه الخمسة صحيح، فالعزو إليها مُعلم بالصحة، سوى ما في «المستدرك» من المتعقب فأنبه عليه)[2]، وقال أيضا في «تدريب الراوي»: (فالحاصل: أن ابن حبان وَفَّى بالتزام شروطه، ولم يُوَفِّ الحاكم)[3]، وقال ابن العماد (ت 1089هـ) في «شذرات الذهب»: (وأكثر نقّاد الحديث على أنَّ «صحيحه» أصحّ من «سنن» ابن ماجة)[4].

وقال الشيخ أحمد محمد شاكر (ت 1377هـ) في تقدمة تحقيقه لـ«صحيح ابن حبان بترتيب الأمير علاء الدين الفارسي»: (و«صحيح» ابن حبان كتاب نفيس، جليل القدر، عظيم الفائدة، حرّره مؤلفه أدقَّ تحرير، وجوَّده أحسن تجويد، وحقَّق أسانيده ورجاله، وعلَّل ما احتاج إلى تعليل من نصوص الأحاديث وأسانيدها، وتوثَّق من صحة كل حديث اختاره على شرطه، ما أظنه أحلَّ بشيء مما التزم إلا ما يخطئ فيه البشر، وما لا يخلو

---

(1) (100).

(2) (44/1).

(3) (115/1).

(4) (286/4).

منه عالم محقق)[1]، وقال الشيخ شعيب الأرناؤوط (ت 1438هـ): (لم يُكن عجيبًا أن يكون كتاب ابن حبان -وهو على الدرجة التي عرفتَ من الشمول والصحة- مستقطبا اهتمامَ العديد من العلماء؛ إذ كانوا شديدي الحِرصِ على الإفادة منه والأخذِ عنه، على الرغم من وُعورة مسالكه، وتشابُه دروبه، بسبب هندسته العجيبة التي بناه عليها مؤلفه، وتجلَّت عنايتهم الفائقةُ به في أنهم لم يدَّخروا جُهدًا في الاستفادة منه من جميع جوانبه، ووجوهه كافةً؛ إذ هو ذاخرٌ بفرائد الفوائد، وجواهر النوادر، غنيٌّ بما أوضعه فيه مؤلفُه من عُصارةِ فكره وفقهه، وبديعِ استنباطه وفهمه)[2].

5. **الكتب التي أُلِّفت عليه**: خص جمع من العلماء «صحيح» ابن حبان بالتأليف، لكن

معظم هذه الكتب لم تصل إلينا، وهاك ما ذكرته مصادر ترجمته مرتبة على سني وفاة مؤلفيها:

✓ **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**: لعلاء الدين ابن بلبان الفارسي (ت 739هـ): رتبه على الأبواب الفقهية[3].

✓ **تخريج زوائد صحيح ابن حبان على الصحيحين**: لمغطاي بن قليج الحنفي (ت 762هـ)، لم يكمله.

---

(1) (11/1).

(2) مقدمة «الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان» (44/1)

(3) طبع عدة طبعات وأجودها بتحقيق الشيخ شعيب الأنارؤوط عن مؤسسة الرسالة، وللألباني عمل عليه سماه: «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه»، طبع في دار با وزير سنة 1424هـ-2003م.

✓ **ترتيب صحيح ابن حبان**: لمغلطاي أيضا، ولم يكمله أيضا[1].

✓ **ترتيب صحيح ابن حبان**: لناصر الدين ابن زُريق الحنبلي (ت 803هـ)[2].

✓ **مختصر المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع**: قال كاتب جلبي في «كشف الظنون»: اختصره سراج الدين عمر بن علي المعروف بابن الملقن الشافعي (ت 804هـ)[3].

✓ **إكمال تهذيب الكمال**: وهو أيضا من صُنع ابن الملقن؛ قال الحافظ ابن حجر كما في «الضوء اللامع» للسخاوي: (ومن تصانيفه ومما لم أقف عليه: «إكمال تهذيب الكمال»، ذكر فيه تراجم رجال كتب ستة وهي: أحمد، وابن خزيمة، وابن حبان، والدارقطني، والحاكم)[4].

✓ **أطراف صحيح ابن حبان**: لأبي الفضل العراقي (ت 806هـ)، بلغ فيه إلى أول النوع الستين من القسم الثالث.

✓ **رجال صحيح ابن حبان**: للعراقي أيضا، قال ابن فهد في «لحظ الألحاظ»: (وكذا رجال سوى ما في «التهذيب»، بلغ فيه نظير أطرافه)[5].

---

(1) لسان الميزان (126/8 رقم: 8767ز).

(2) لحظ الألحاظ (129).

(3) (1075/2).

(4) (102/6).

(5) (151).

✓ **أربعون بُلدانية**: للحافظ العراقي أيضا، انتخبها من «صحيح» ابن حبان[1].

✓ **موارد الظمآن على زوائد ابن حبان**: لنور الدين الهيثمي (ت 807هـ)[2].

اللمحة الثانية: التعريف بالمخطوط

هي نسخة محفوظة كما مرَّ سابقا بمكتبة الزاوية العثمانية بطولقة، عدد أوراقها: مائتان وثمانية وعشرون (228) ورقة، كل ورقة فيها وجه وظهر، عدا الورقة التي تلي العنوان ففيها ظهر فقط، إلا أنه أُثبت في وجهها كتابة بخط حديث مغاير لما في الأصل، وكذا في الورقة الأخيرة ففيها وجه والظهر بياض، وفي كل وجه وظهر منها حوالي (21) سطرا، وفي كل سطر تقريبا (20) كلمة، خطها نسخي قديم واضح يقرأ في معظمه، كُتبت بالمداد الأسود، وأثبتت عناوينها أيضا بالحبر الأسود الغامق الواضح والظاهر، مسطرٌ بالأحمر فوق العناوين التي وُسِمت بـ: **نوع**، ومعظم أوراقها أثبتت بنظام التعقيبة من الأسفل، قيد فيها كثير من مجالس السماع والإجازة، ومزينة بكثير من خطوط العلماء من بينهم: ابن حجر

---

(1) لحظ الألحاظ (151).

(2) طبع بتحقيق محمد بن عبد الرزاق حمزة، في المكتبة السلفية بمصر، وللألباني عمل عليه: «صحيح موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان مضموما إليه الزوائد على الموارد» و«ضعيف موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان مضموما إليه الزوائد على الموارد».

وعبد الرحمن بن أحمد بن القلقشندي وأحمد الكلوتاني وأحمد بن محمد المظفري وأبو بكر النشائي وغيرهم، ولا يوجد فيها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ، وهي نسخة جيدة على العموم اللهم إلى الورقة التي تلي عنوان الكتاب ففيها بعض الخروم والبياض، إلا أنها مبتورة الأول والآخر وكذا سقط ورقة كاملة[1] عند ناهية الورقة الثلاثين وبداية الورقة الحادية والثلاثين: «...عن علقمة بن وائل، عن أبيه، أنَّ النبي صلى الله عليه[2] **أبو يعلى، حدثنا مجاهد بن موسى الْمُخَرِّمِي**...[3]»، وهي الجزء الأخير من «الصحيح» لابن حبان لأنَّ كل الأحاديث الواردة فيها مثبته في طبعة الكتاب ضمن المجلد الأخير منه -وهو السابع- وكذا تنتهي هذه النسخة عند خاتمة المصنف لكتابه إلا أنَّ الخاتمة غير مكتملة فيعوزها قريب من نصف ظهر الورقة الأخيرة.

ويُلاحظ أيضا عليها أنها غير مطابقة للترقيم الموجود في طبعة «الصحيح» ففيها بعض التقديم والتأخير؛ فمثلا بأرقام الأحاديث المثبتة في المطبوع: 6010 ثم 6114 ثم 6113 ثم يعد كتابة هذا الحديث أي: 6113 ثم 6158 ثم 6122 ثم 6127 ثم 6149، من رقم هذا الحديث يقع التوافق بين المخطوط والمطبوع، أي في ظهر الورقة الرابعة منه.

---

(1) والذي أرجحه أنَّ السقط وقع للمصور لا في المخطوط، والله أعلم.

(2) وهو الحديث الذي برقم في المطبوع: 6248 (161/7).

(3) وهو الحديث الذي برقم في المطبوع: 6256 (167/7)، أي أنَّ مقدار الساقط حوالي ثمانية أحاديث، أي ورقة كاملة، والله أعلم.

وقد يقع تقديم وتأخير في نفس الورقة فمثلا في ظهر الورقة التاسعة بعد المائة[1].

ولست أدري هل هناك اختلاف في ترتيب الأحاديث بين النسخ الخطية لـ: «صحيح» ابن حبان، أو أنَّ المخطوط الذي نقدم له هذه القراءة هو الذي وقع فيه هذا الإشكال بسبب عدم ترتيب الأوراق، أو سبب آخر الله أعلم به، مع العلم أن محققا «الصحيح» لما يشيرا لوجود اختلاف في ترتيب الأحاديث أثناء تحقيقهم للكتاب، وكذا نظام التعقيبة في النسخة ورد في معظم الأوراق فيبعد حدوث السقط في المخطوط اللهم إلا ما أشرت إليه سابقا.

كُتب على ظهر الورقة الأولى من المخطوط:

هذا كتاب «سُنن» ابن حبان[2] نفعنا الله بمدده، وعليه خط شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر وغيره[3]، أمدَّنا الله [بموردهم] وحشرنا في زمرتهم، آمين.

في ملكه الفقير إليه تعالى: عثمان [الوبراني] الشافعي[4] عفي عنه آمين.

---

(1) في المطبوع بأرقام: 6757 و6758 و6759، وفي المخطوط تكون هكذا لو رقمت: 6758 و6759 و6757.

(2) سماه باسم «السنن» كاتب جلبي في «كشف الظنون» (1003/2).

(3) هذا قيد مهم سبق الإشارة إليه وهو وقوع خطوط من العلماء سطرت اسمها على أوراقه.

(4) لم أعثر على ترجمته، ويبدو أنه من أهل العلم، شافعي المذهب، مهتم بجمع الكتب وتوثيقها في مكتبته وهذا يظهر من خلال قيود التملك والختم.

الحمد لله وبعد: في نوبة فقير ربه محمد بن عبد الكريم الفكون[1]، غفر له آمين.

وفي وجه الورقة الثانية من المخطوط:

قال في «كشف الظنون» لكتاب جلبي: «صحيح» ابن حبان في الحديث وهو أبو عوانة يعقوب بن إسحاق المهرجاني[2].

قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: هو من المؤلفات المعتبرة، لكن فيه بعض تساهل، وتساهله أقل من تساهل الحاكم في «المستدرك»، انتهى.

وأجيب عنه بأنه غير مسلم وإنما غاية تساهله أنه يسمي الحسن صحيحا، وقد أوفى بالتزام شروطه بخلاف الحاكم[3].

---

(1) لم أعثر على ترجمته وإنما له ذكر في «رحلة العياشي» (286/1) و(282/2)، وترجمة مختصرة عند نويهض في «معجم أعلام الجزائر» (398) قال فيها: (الفكون: حيا 1073هـ/1663م. محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفكون، أبو عبد الله: عالم، من فقهاء المالكية. ولي ركب الجزائر في الحج بعد والده. لقيه العياشي وذكره في رحلته وقال: «قدمها (أي طرابلس الغرب) حاجا وهو أمير ركب أهل الجزائر وقسنطينة وتلك النواحي على نهج أبيه وعادته فيما ذلك محافظا على سلوك سيرة والده من التؤدة والوقار، فأحبته القلوب ومالت اليه النفوس، ولم يطلع أميرا إلا في هذه السنة، وقبل ذلك إنما كان يطلع بالركب والده»، وقال أبو القاسم سعد الله في «شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية» (55) و(228): (وقد توفي محمد الفكون هذا سنة 1114هـ).

(2) ينظر: (1075/2).

(3) هذا الكلام مثبت في هامش كتاب «كشف الظنون» (1075/2)، وينظر أيضا عند ابن حجر في «النكت على كتاب ابن الصلاح» (290/1).

قال البقاعي: واختصره سراج الدين الشيخ عمر بن علي ابن الملقن الشافعي المتوفي سنة 804هـ، ورتبه وبوبه علي بن علي الشهير بابن بلبان الجندي المتوفي سنة 836هـ، انتهى[1].

يبتدأ المخطوط عند **ظهر الورقة الثانية**: بسند حديث[2]:

...بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**أخوف ما أخاف عليكم ما أنبتت الأرض أو زهرة الدنيا**»...[3].

وينتهي بقوله: في آخر وجه الورقة الأخيرة برقم: 227 منه:»...**ثم جئتماني، جاءني هذا -يعني: العباس- يبتغي ميراثه من ابن أخيه، وجاءني هذا -يعني: عليا- يسألني**»[4].

اللمحة الثالثة: قيمة المخطوط

أولا: الإجازات والسماعات والمقابلات الواردة في المخطوط:

يظهر جليا ولأول وهلة قيمة هذا المخطوط خاصة لورود اسم الحافظ ابن حجر وكذا لورود جمع من العلماء أيضا ممن سمع وأسمع وأجاز وأُجيز في هذا المخطوط، وهاك بعض من قرأ هذا المخطوط وأُجيز بقراءته:

---

(1) هذا الكلام يشبه قول كاتب جلبي صاحب «كشف الظنون» (1075/2)، والله أعلم.
(2) وفي الحاشية: الحمد لله: في نوبة فقير ربه محمد بن عبد الكريم الفكون غفر له آمين.
(3) وهو الحديث برقم: 6101 (57/7).
(4) (784/7) رقم: 7447.

1. قرأه أبو بكر النشائي على عبد الله بن خليل[1] في ستة وعشرين مجلسا[2]، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته في «الدرر الكامنة»: (أبو بكر بن يوسف النشائي زين الدين المصري، خادم الشيخ بهاء الدين ابن خليل وقد أكثر السماع منه، وسمع أيضا من العرضي، وكان معيدا في الحديث بقبة بيبرس ولم ينجب مات في شهر...سنة 794)[3].

2. قرأه أحمد الكلوتاني[4] في اثنين وأربعين مجلسا بجامع الأقمر[5] على البرهان الشامي[6]، مع سماع جماعة معهم[7].

---

(1) ينظر في ترجمته إلى: «الدرر الكامنة» (291/2 رقم: 2211)، و«إنباء الغمر» (144/1 رقم: 36): ولد سنة 694 وتوفي سنة 777هـ.

قال التقي الفاسي في «ذيل التقييد» في ترجمته (57/2 رقم: 1148): (...وحدث عن الرضي الطبري بـ«**صحيح ابن حبان**» خلا كلام المصنف والتراجم سمع ذلك عليه شيخنا الحافظ العراقي).

(2) ينظر: (ل122/ب).

(3) (561/1 رقم: 1265).

(4) له ترجمة في «المقفى الكبير» (324/1 رقم: 520)، وفي «الدرر الكامنة» (219/1 رقم: 560)، ولد سنة 697هـ وتوفي سنة 735هـ.

(5) يقع في القاهرة عاصمة مصر، وقد بناه بأمر من الخليفة أبي علي منصور سنة 519هـ، الوزير المأمون بن الباطيحي.

(6) له ترجمة في «الدرر الكامنة» (11/1 رقم: 14)، و«ديوان الإسلام» لابن الغزي (220/1 رقم: 336)، ولد سنة 709هـ وتوفي سنة 800هـ.

(7) (ل213/أ).

3. قرأه عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي[1] على شيخه قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة[2]، مع سماع جماعة معه[3].

4. قُرئ على الحافظ ابن حجر[4] في ستة وستين مجلسا بقراءة كاتبه عبد الرحمن بن أحمد بن القلقشندي[5]، وللقلقشندي ترجمة في «ضوء اللامع» للسخاوي[6].

5. قراءة محمد بن أحمد المظفري[7] على البدر بن محمد بن المحب المالكي[8]، مع سماع جماعة معه.

6. محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس[9] بسنده إلى أحمد ابن حجر[10].

---

(1) له ترجمة في «إنباء الغمر» (275/2 رقم: 19)، و«لحظ الألحاظ» (143)، ولد سنة 725هـ، وتوفي سنة 806هـ.

(2) له ترجمة في «ذيل التقييد» (131/2 رقم: 1293)، و«الدرر الكامنة» (378/2 رقم: 2443)، ولد سنة 694هـ وتوفي سنة 768هـ.

(3) (ل202/ب).

(4) أفرد له السخاوي ترجمة حافلة سماها: «الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر»، وهي مطبوعة في مجلدين.

(5) (ل218/ب).

(6) (46/4)، ولد سنة 817هـ.

(7) له ترجمة في «الضوء اللامع» (76/7 رقم: 146)، ولد سنة 879هـ.

(8) له ترجمة في «الضوء اللامع» (49/7 رقم: 103)، ولد سنة 850هـ.

(9) له ترجمة في ولد سنة 671هـ وتوفي سنة 734هـ.

(10) (ل2/ب)، وإن كان هذا خطه غير واضح إلا أنه واضح من خلال تسمية ابن سيد الناس: محمد بن محمد بن محمد كأنه بسنده لابن حجر.

وغيرهم ممن قرأ هذا المخطوط أو قُرئ عليه، والملاحظ أنَّ جميع من وردت أسماؤهم من العلماء والمشايخ مصريون أو عاش بها، أو نزل بها كالبرهان الشامي.

ويضاف له إثبات سماع وقراءة جماعة من العلماء المخطوط على شيخ الإسلام ابن حجر لم نوفق للتعريف بهم واكتشاف أسمائهم، وكذا عند ذِكر محمد بن أحمد المظفري قراءته على الشيخ بدر الدين بن محمد بن المحب، ناهيك على عدم تصريح أحمد الكلوتاني وعبد الرحيم بن الحسين العراقي ممن حضر معهم السماع.

يضاف لهذا أيضا كله ورود التصريح بمقابلة المخطوط على غيره، وقد ورد هذا التصريح بصيغتين مختلفين: «بلغ مقابلة بأصح فصح» و«بلغ مقابلة»، وينظر لذلك مثلا: (ل12) و(ل20) و(ل31) و(132) و(ل140) و(ل142) و(ل152) و(ل162) و(ل172) و(ل182) و(ل186) و(ل199) وغيرها.

كما وردت أيضا بعض الحواشي وقد أشرت إلى بعض منها في الملحق وهي مثلا في: (ل12) و(ل19) و(93) و(176) و(ل250) وغيرها.

يضاف للذي ذكر: خطوط جمع من العلماء عليها قد سبق الإشارة إليهم: كأبي بكر النشائي ومحمد بن أحمد المظفري وأحمد الكلوتاني وعبد الرحمن بن القلقشندي وغيرهم بالإضافة إلى خط شيخ الإسلام الحافظ أحمد ابن حجر.

ثانيا: رحلة المخطوط من الديار المصرية للزاوية العثمانية بطولقة:

لم تذكر المصادر التي بين أيدنا ولم يتناقل أحد فيما أعلم كيف انتقل هذا العِلق النفيس من الديار المصرية إلى الزاوية العثمانية بطولقة، بل ولم أجد حتى في ثنايا المخطوط دليلا واضحا يحدد كيف انتقل، خاصة أنَّ مالكها الأول عثمان الوبراني أو الومراني الشافعي لم نعثر له على ترجمة، بل وحتى الذي آلت إليه فيما بعد محمد بن عبد الكريم الفكون ترجمته قصيرة جدا، وليس فيها إشارة لمكتبته ولا لحياته العلمية والتعليمية، ولكن مع هذا فقد عثرت أثناء ترجمتي لعبد الله بن خليل على أمر لعله يحدد سبب انتقالها من الديار المصرية للديار الجزائرية لتصل إلى الزاوية العثمانية، قال الحافظ ابن حجر في ترجمته من «الدرر الكامنة»:

عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن خليل بن إبراهيم بن يحيى بن أبي عبد الله بن فارس بن أبي عبد الله بن يحيى بن إبراهيم بن سعيد بن طلحة بن موسى بن إسحاق بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبان بن عثمان بن عفان العسقلاني، ثم المكي، نزيل القاهرة، **العثماني**، الشيخ بهاء الدين، ويعرف بالقاهرة باليمني، وعند المحدثين بابن خليل[1].

فهو عثماني والزاوية هي الزاوية العثمانية، لعل هذا السبب كافٍ لانتقالها إليها فامتلكت من طرف جماعة من العلماء حتى وصلت إلى

(1) (291/2 رقم: 2211).

الحافظ العراقي شيخ الحافظ ابن حجر، إلى أن وصلت إلى الحافظ ابن حجر ثم انتقلت بعده إلى تلاميذه كالقلقشندي كاتبه وقارئه وتلاميذ تلاميذه كمحمد بن أحمد المظفري، ثم انتقلت عن طريق الحجيج والمعتمرين من بلاد الكنانة مصر إلى الجزائر[1]، أو أنها بيعت للشيخ عبد الكريم الفكون أو لغيره من العلماء إلى أن وصلت وتملكها محمد بن عبد الكريم الفكون الذي توفي سنة 1114هـ، ومن مدينة قسنطينة شرق الجزائر العاصمة وهي بلدة مالكها الفرعي محمد بن عبد الكريم الفكون انتقلت عن طريق البيع أو الإهداء للزاوية العثمانية بطولقة[2].

(1) ولا أدل على ذلك فقد ذكر في ترجمة والده وابنه أنهما ممن كانا يقودان ركب الحج، ينظر: «معجم أعلام الجزائر» (396)، و«شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية» لأبي القاسم سعد الله (55) و(228).

(2) لمعرفة قيمة مكتبة عائلة الفكون وعدد الكتب التي احتوتها وأنها كانت تضم أكثر من خمسة آلاف مخطوط وأنها بيعت في عهد الاستدمار الفرنسي في المزاد، ينظر في ذلك ما كتبه أبو القاسم سعد الله في «تاريخ الجزائر الثقافي» (305/1و308 و382/5و383و384 و71/6 و311/7).

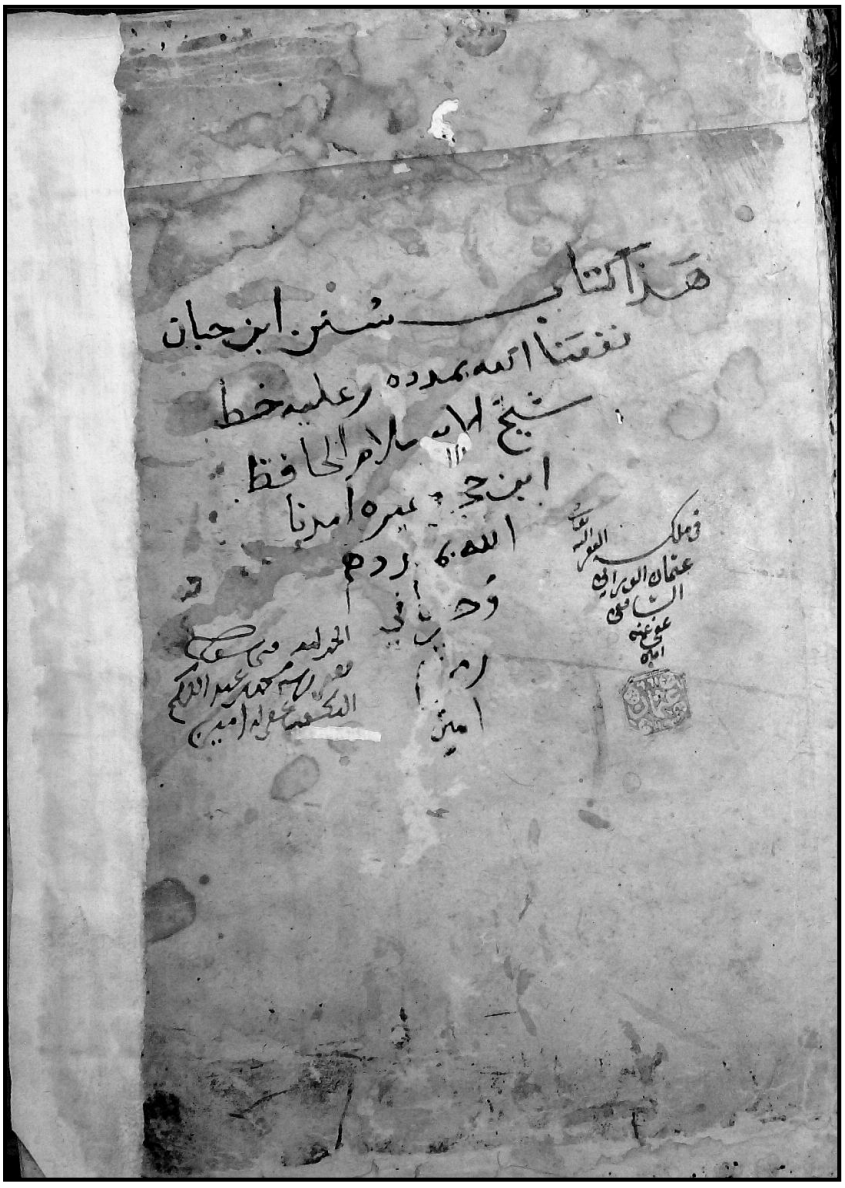

الورقة الأولى من المخطوط ويظهر فيها العنوان

وتمليك وختم: عثمان [الوبراني أو الومراني] الشافعي

ويظهر أيضا: تملك محمد بن عبد الكريم الفكون

يظهر في (ل2/أ) بخط مغاير: قول كاتب جلبي في «كشف الظنون» وابن حجر والبقاعي.

يظهر أيضا في (ل2/ب) منه: الحمد لله في نوبة محمد بن عبد الكريم الفكون غفر له، آمين.

وأيضا: أول قرأه على....اسمه على شيخه الإسناد محمد بن محمد بن محمد ابن سيد الناس بسنده إلى أحمد ابن حجر وأجاز.

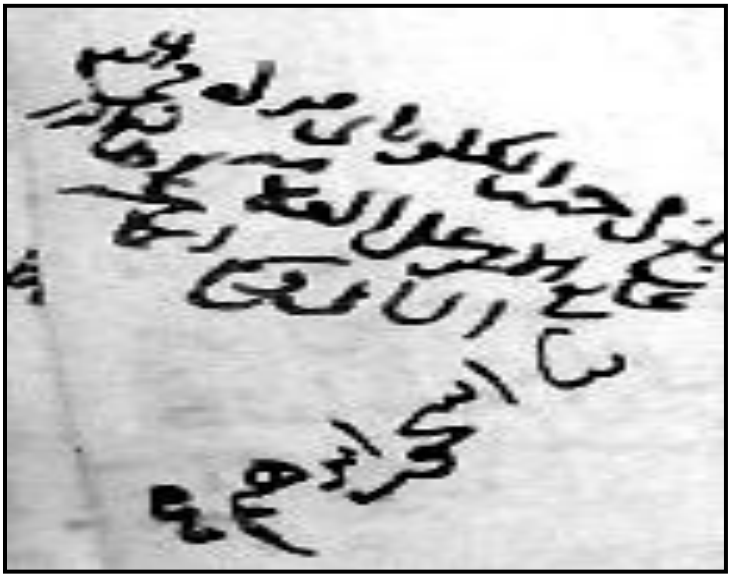

يظهر في (ل9/ب): بلغ أحمد الكلوتاني قرأه بجامع الأقمر على العلامة برهان الشامي، وسمع الجماعة.

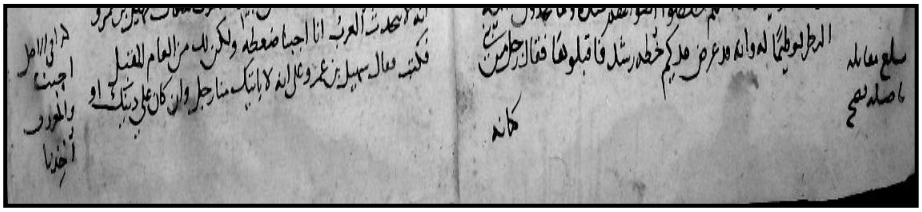

يظهر عن (ل12/أ): بلغ مقابلة بأصلح، فصح.

ويظهر تعليق في الحاشية: في (ل12/ب): كذا في الأصل أجبنا، والمعروف أخذنا.

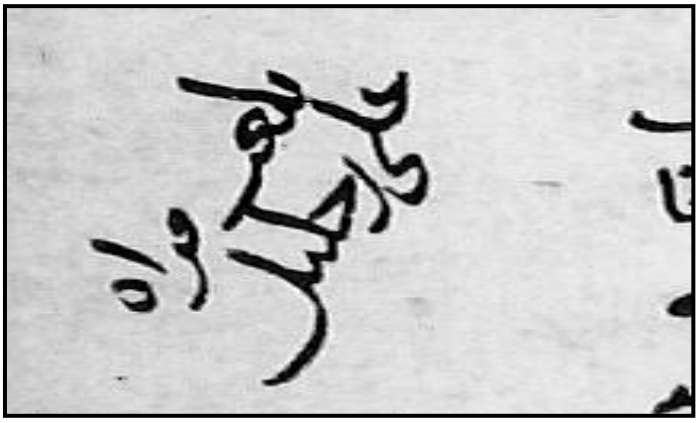

يظهر في (ل14/ب): بلغت قراءته على ابن خليل

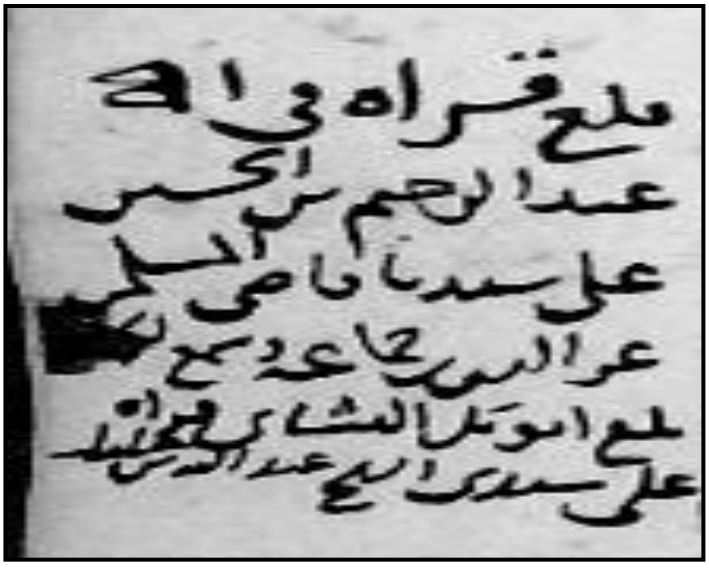

يظهر في (ل18/ب): بلغ قراءة في 41 عبد الرحيم بن الحسين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة، وسمع الجماعة.

وكذا: بلغ أبو بكر النشائي قرأه على سيدي الشيخ عبد الله بن خليل.

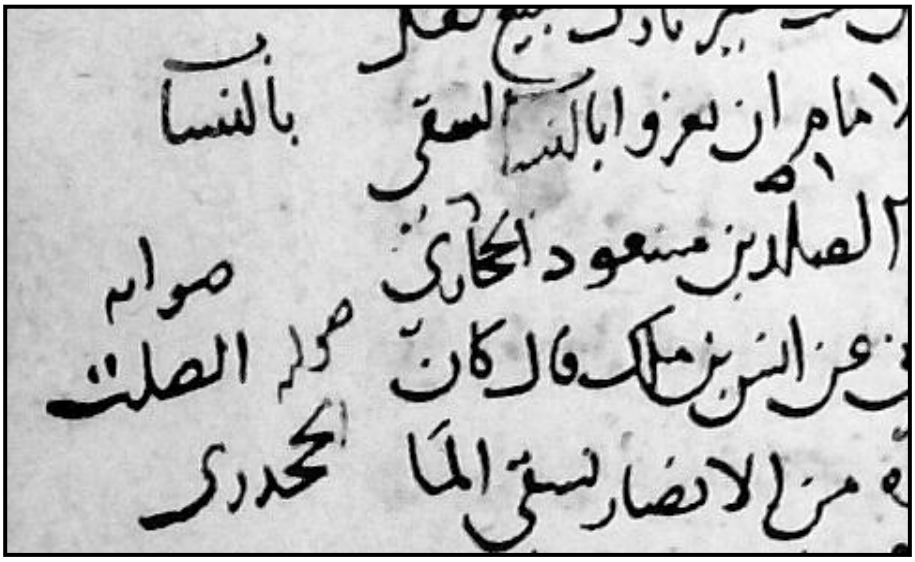

يظهر في حاشية (ل19/ب): تعليق مهم، واستدراك في نسبة: الصلت بن مسعود.

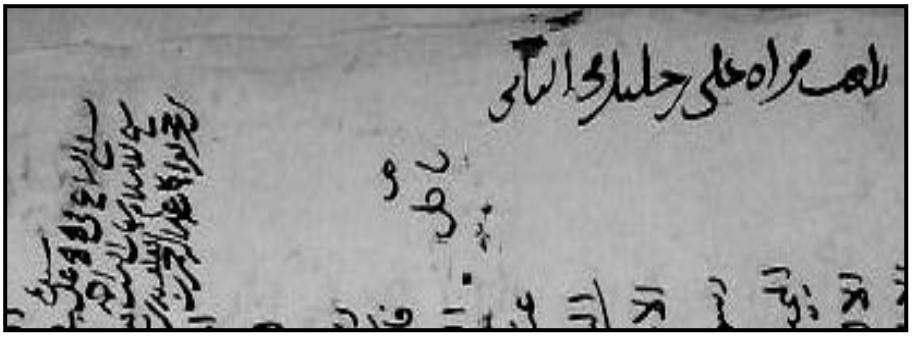

يظهر في (ل23/أ): بلغ السماع في [41] على سيدني شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر قرأه كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي.

وكذا: بلغت قرأه على ابن خليل في الثاني.

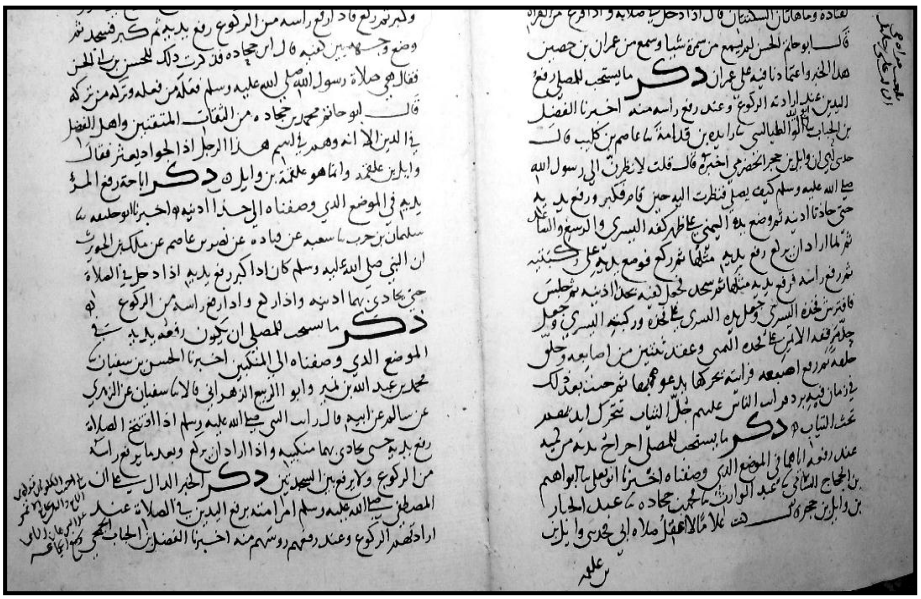

يظهر في (ل29/ب): بلغ أحمد الكلوتاني قراءة على..... بجامع الأقمر على البرهان الشامي وسمع الجماعة.

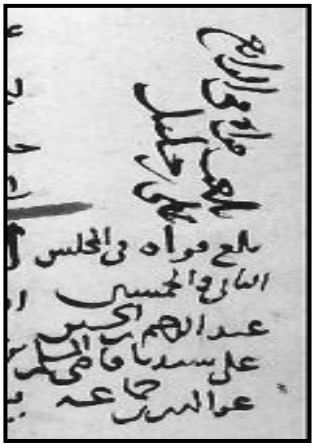

يظهر في (ل35/أ): بلغت قراءته في الرابع على ابن خليل.

وكذا: بلغ قراءة في المجلس الثاني والخمسين عبد الرحيم بن الحسين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة.

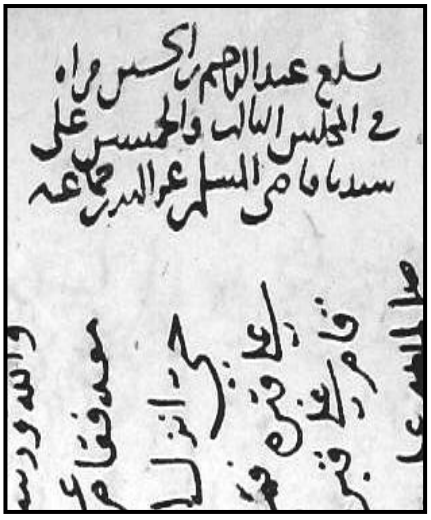

يظهر في (ل37/أ): بلغ عبد الرحيم بن الحسين قراءة في المجلس الثالث والخمسين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة.

يظهر في (ل38/أ): بلغ أبو بكر النشائي قرأه على الشيخ عبد الله بن خليل.

يظهر في (ل42/أ): بلغ السماع في [46] على سيدي شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر، قرأه كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي.

وكذا: بلغ مقابله بأصله، فصح.

يظهر في (ل45/أ): بلغت قرأه في الخامس على ابن خليل.

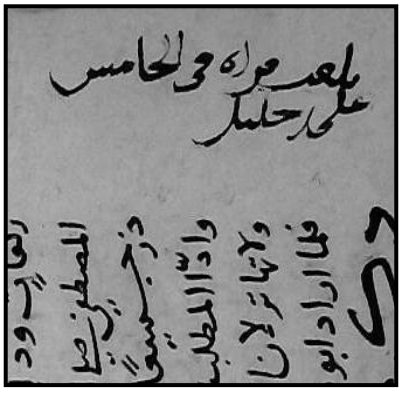

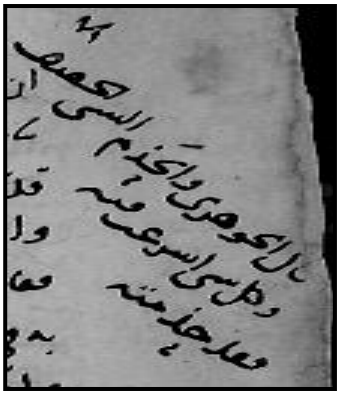

يظهر في (ل47/أ): قال الجوهري: والحَذْمُ: المشي الخفيف. وكل شيء أسرعتَ فيه فقد حَذَمْتَهُ.

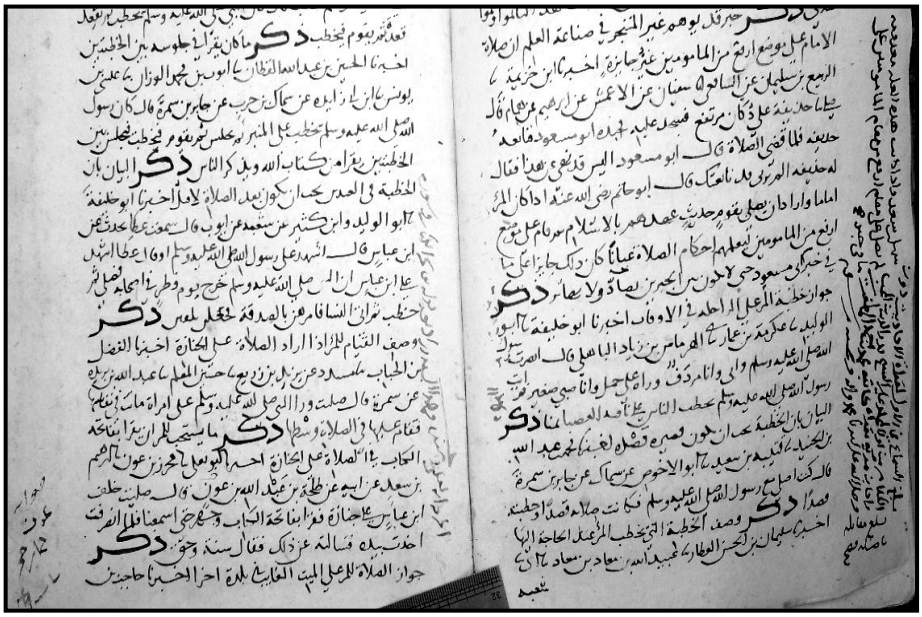

يظهر في (ل52/أ): بلغ السماع في الأول لقراءة الأحاديث دون الكلام من أول المجلد على الشيخ بدر الدين بن المحب، وأجاز مرويه على بقراءة كاتبه محمد بن أحمد المظفري، وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ويظهر أيضا: بلغ مقابله بأصله فصح.

وفي (ل52/ب): صوابه عون، [بخط ابن حجر].

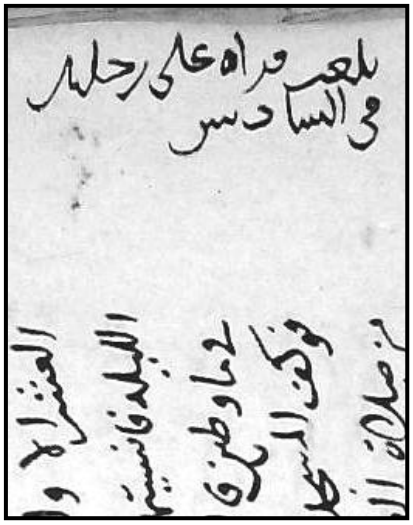

يظهر في (ل54/أ): بلغت قراءته على ابن خليل في السادس.

يظهر في (ل59/ب): بلغ أبو بكر النشائي قرأه على الشيخ عبد الله بن خليل.

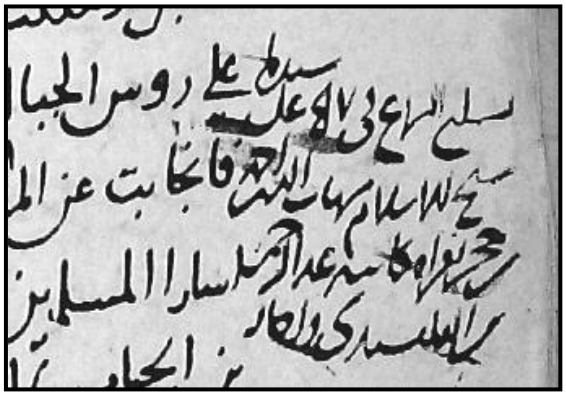

يظهر في (ل42/أ): بلغ السماع في [47] على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر، يقرأه كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي وأجاز.

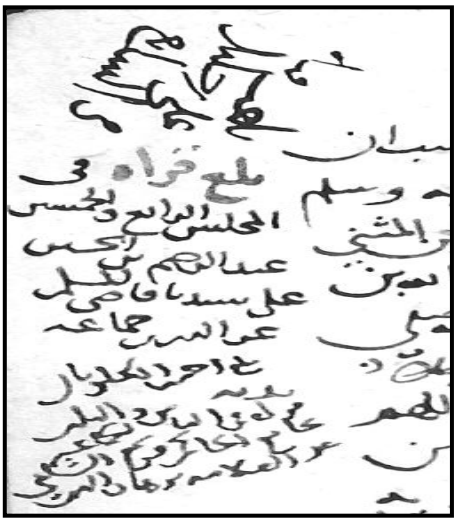

يظهر في (ل63/ب): بلغت قراءة على ابن خليل في السابع.

وكذا: بلغ قراءة في المجلس الرابع والخمسين عبد الرحيم بن الحسين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة.

وكذا: بلغ أحمد الكلوتاني بقراءة [قوله في الثامن والثلث بجامع الحاكم قرأه] الشيخ على العلامة البرهان الشامي.

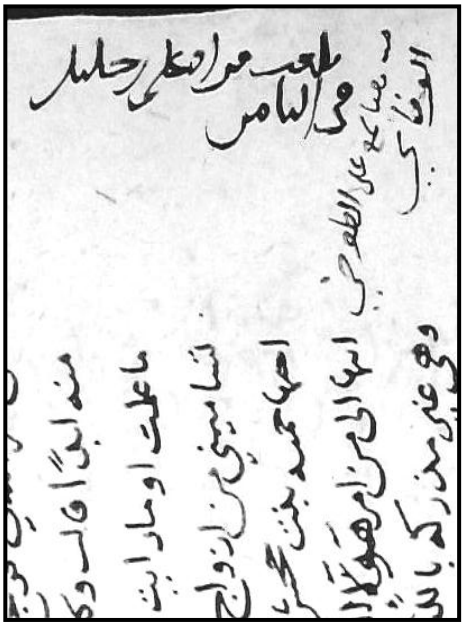

يظهر في (ل73/أ): بلغت قراءة على ابن خليل في الثامن.

وكذا: من هنا سمع على الطوخي [الوفامي].

يظهر في (ل79/ب): بلغ السماع للمجلد الثامن والخمسين المجد وبخط المحدث...عبد الرحمن القلقشندي على الصالحة خديجة بنت سلمة ابنة محب الدين محمد.....بحضورها له في الثامنة على شيخ الإسلام أبي الفضل أحمد بن حجر سند فيه بقراءة الشيخ.... محمد....فسمعه كاتبه.....الحنبلي والشيخ....والشيخ صالح بن أبي الطاهر...المسمع وولده.....في الثانية حضورا.....أبي الخير الحاكم.....الشيخ صالح المذكور والنويري....من موضع اسمه وصح لله وثبت قراءة عشر من شوال سنة.....

وكذا: بلغت قراءة على ابن خليل في التاسع، بلغ عليه أبو بكر النشائي قرأه أبقاه الله.

وكذا: بلغ قراءة في المجلس الخامس والخمسين عبد الرحيم بن الحسين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة.

وكذا: بلغ السماع في 48 على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر، يقرأه كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي.

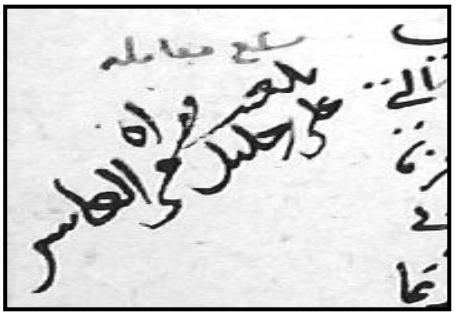

يظهر في (ل85/ب): بلغ مقابلة، بلغت فقرأه على ابن خليل في العاشر.

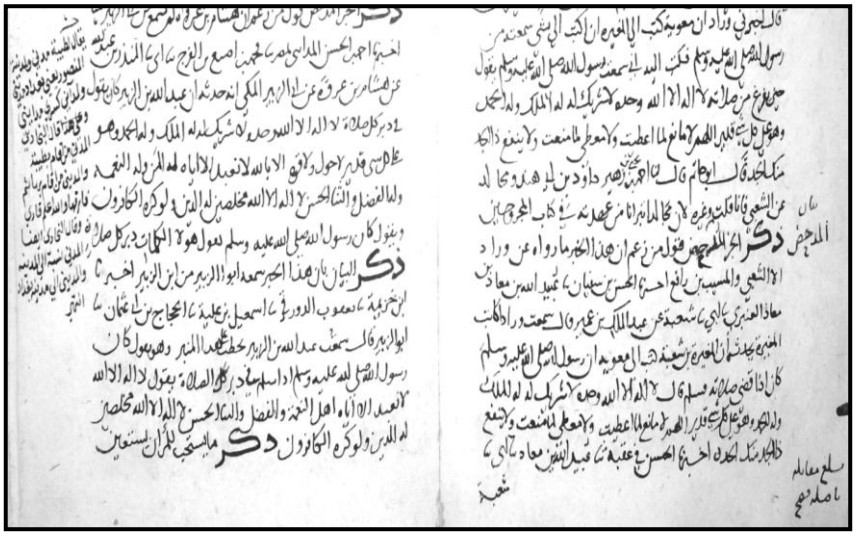

يظهر في (ل92/أ): بلغ مقابله بأصله فصح.

وكذا في (ل92/ب): يقال: الطيبة مدني ولمدينة المنصور يعني بغداد مدني [ولدآني كسرى] مدائني، قال البخاري المدني من أقام بطيبة، والمديني من أقام بهاشم، فأرقها والله أعلم قاري، وقال البخاري:....المدني نسبة إلى المدينة والمديني إلى مدينة بغداد، انتهى.

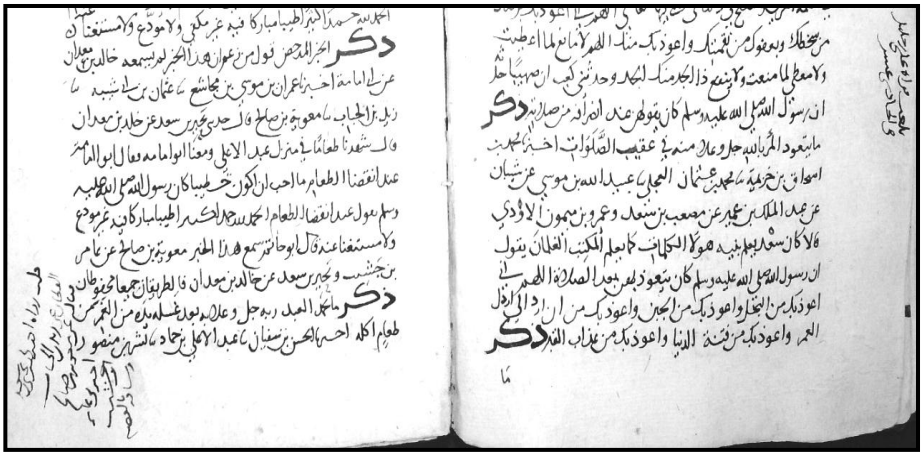

يظهر في (ل93/أ): بلغت قراءة على ابن خليل في الحادي عشر.

في الحاشية (ل93/ب): تعليق مهم لم أستطع قراءته، ورجحت أن يكون بخط ابن حجر، والله أعلم.

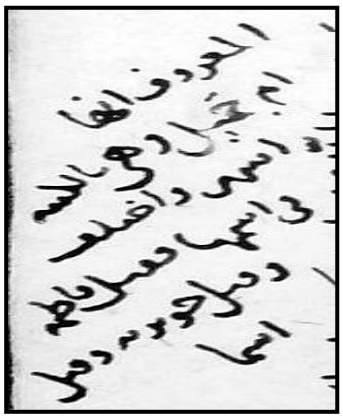

يظهر في (ل95/ب): المعروف أنها أم جميل وهي بالكنية، انتهى، واختلف في اسمها فقيل: فاطمة، وقيل: جويرية، وقيل: أسماء.

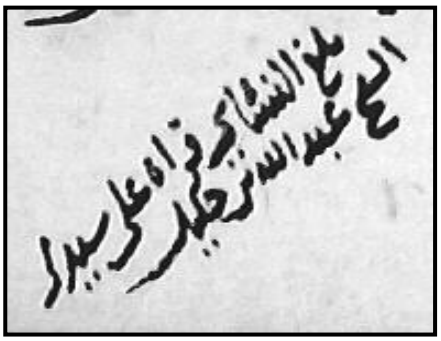

يظهر في (ل98/ب): بلغ النشائي قرأه على سيدي عبد الله بن خليل.

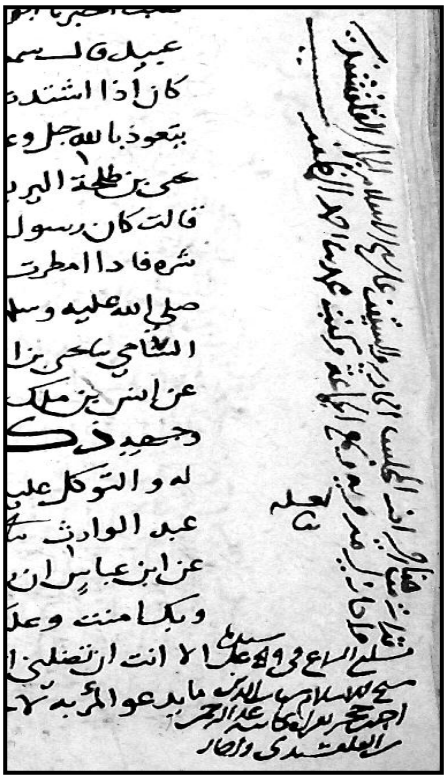

في (ل99/أ): بلغ السماع في 49 على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر، يقرأه كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي، وأجاز.

وكذا: قرأت من هنا وفي آخر المجلس الحادي والستين على شيخ الإسلام أحمد ابن حجر القلقشندي فأجاز لي مرويه وسمع الجماعة وكتبه محمد بن أحمد المظفري.

يظهر في (ل101/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في الثاني عشر.

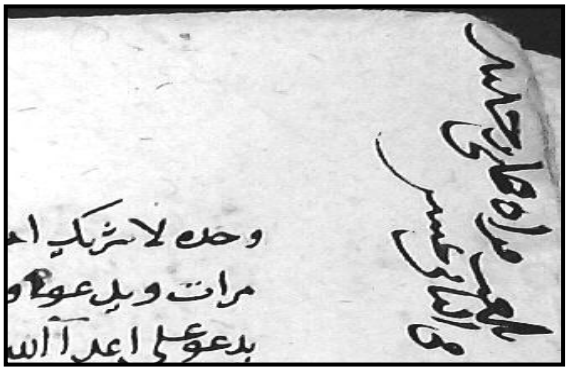

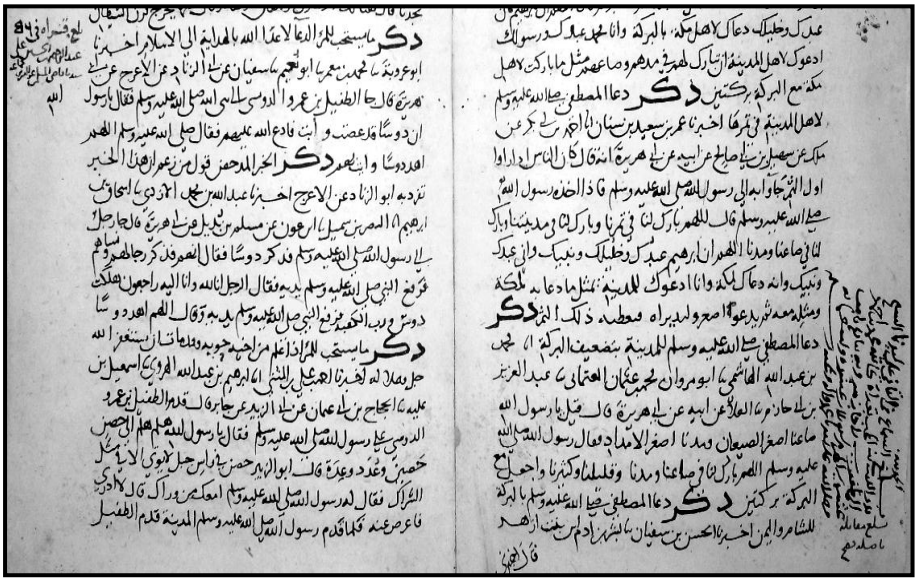

يظهر في (ل102/أ): الحمد لله بلغ السماع في الثاني على سيدنا الشيخ بدر الدين المحب بقراءة كاتبه محمد بن أحمد المظفري وأجاز مرويه بتاريخ.....المحرم سبع...عشرة وتسعمائة، وصلاته على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بلغ المقابلة بأصله فصح.

وفي (ل102/ب): بلغ قراءة في 46 عبد الرحيم بن الحسين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة.

يظهر في (ل**103**/ب): بلغ أحمد الكلوتاني قرأه [في التاسع والثلاثين] بجامع الأقمر على البرهان الشامي، وسمع الجماعة.

وفي (ل**103**/أ): بلغ المقابلة.

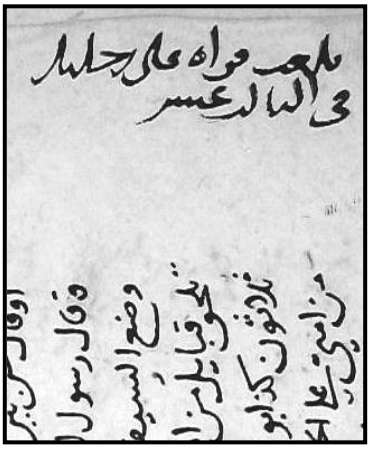

يظهر في (ل**111**/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في الثالث عشر.

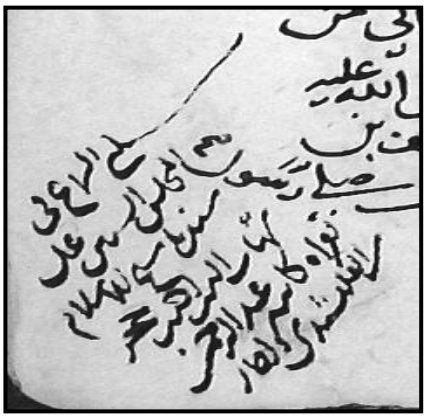

يظهر في (ل**117**/ب): بلغ السماع في المجلس الستين على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين ابن حجر بقراءة كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي وأجاز.

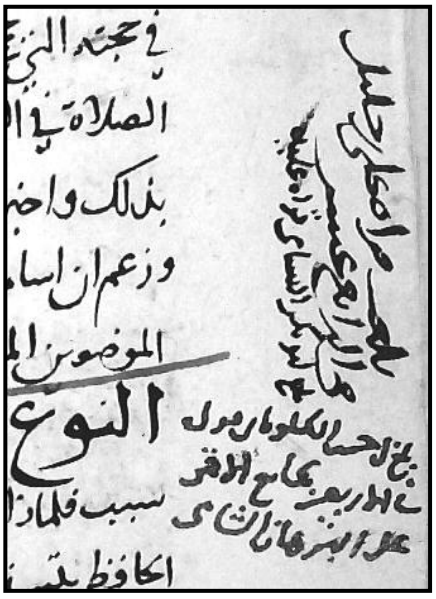

يظهر في (ل**119**/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في الرابع عشر، بلغ أبو بكر النشائي قرأه عليه.

وكذا: بلغ أحمد الكلوتاني قرأه في الأربعين جامع الأقمر على البرهان الشامي.

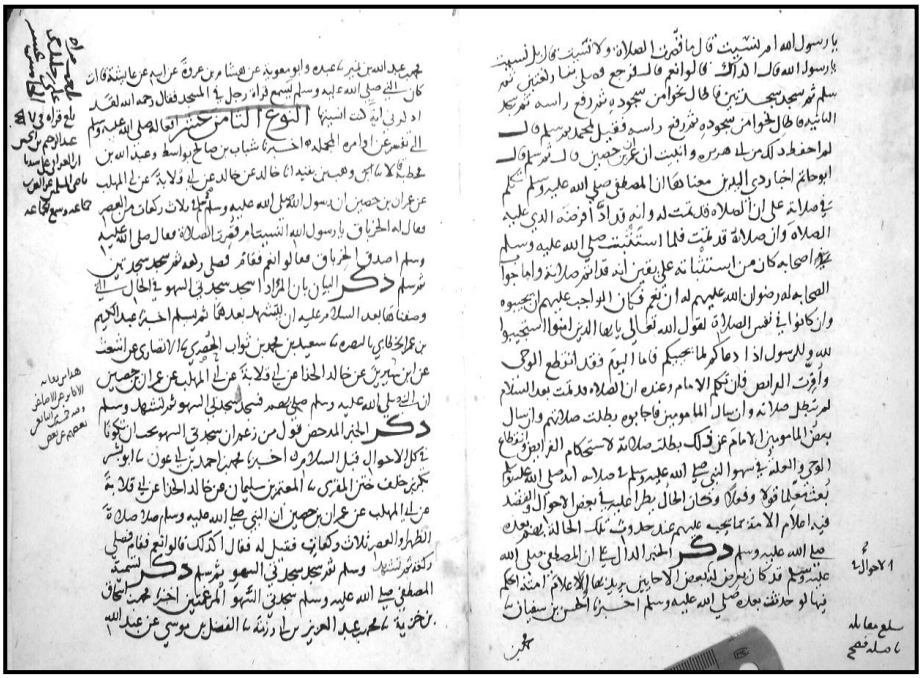

في (ل122/ب): بلغ قراءة في 47 عبد الرحيم بن الحسين ابن العراقي على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة وسمع الجماعة.

وكذا: بلغت قرأه على ابن خليل في الخامس عشر.

وفي (ل122/أ): بلغ مقابلة بأصله فصح.

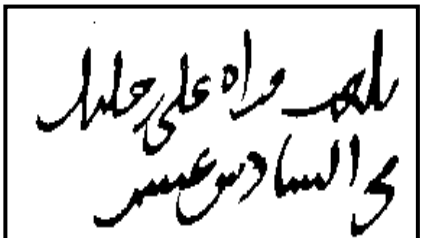

يظهر في (ل119/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في السادس عشر.

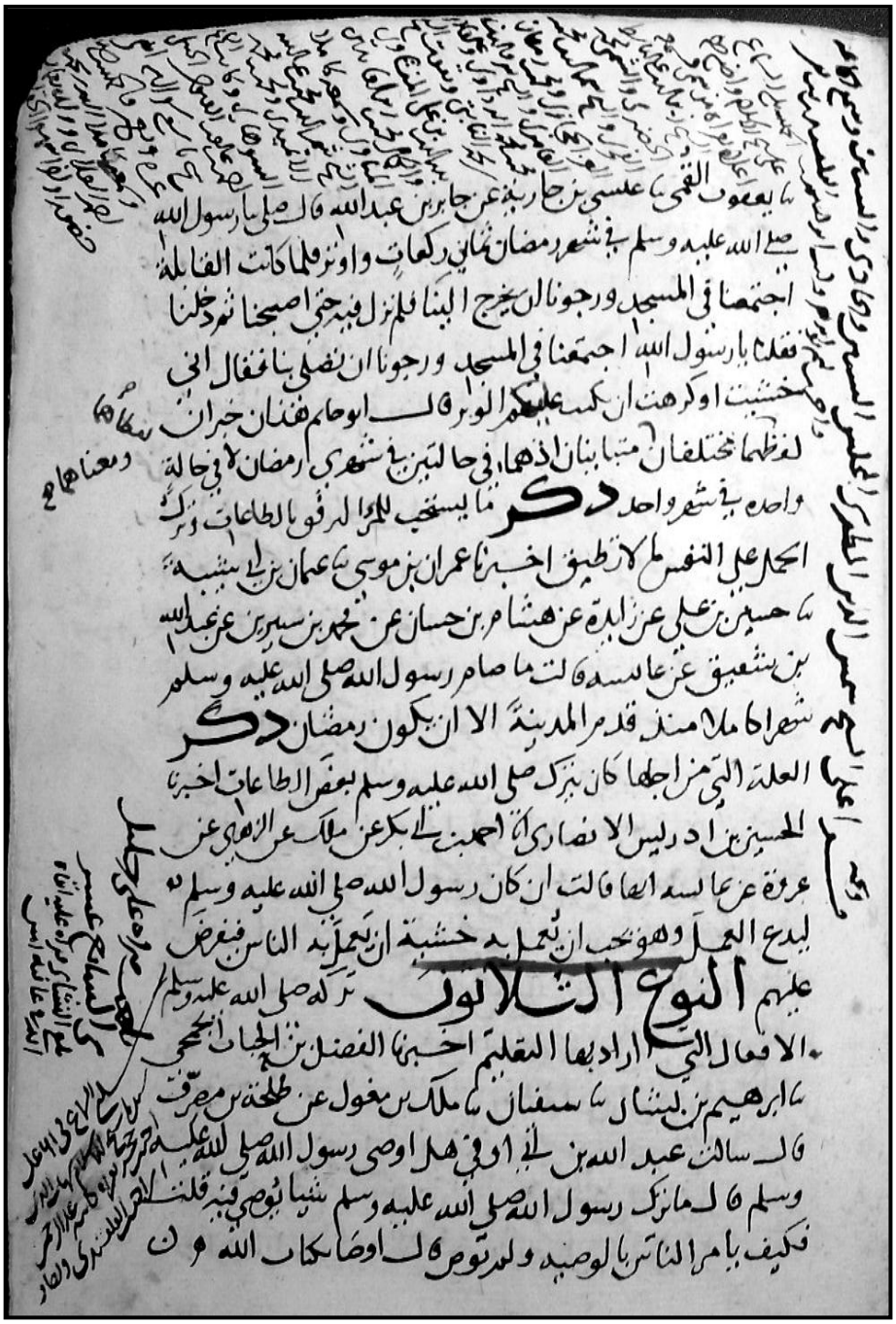

يظهر في (ل137/ب): قرأه على الشيخ شمس الدين المظفري

المجلس الستين والحادي والستين وسمع الجماعة.....الحمد لله بلغ السماع على شيخ الإسلام ابن حجر.....

وكذا: بلغت قرأه على ابن خليل في السابع عشر بلغ النشائي قرأه عليه أبقاه الله في عافية آمين.

وكذا: بلغ السماع في **61** على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين ابن حجر فقرأه كاتبه عبد الرحمن بن أحمد بن القلقشندي وأجاز.

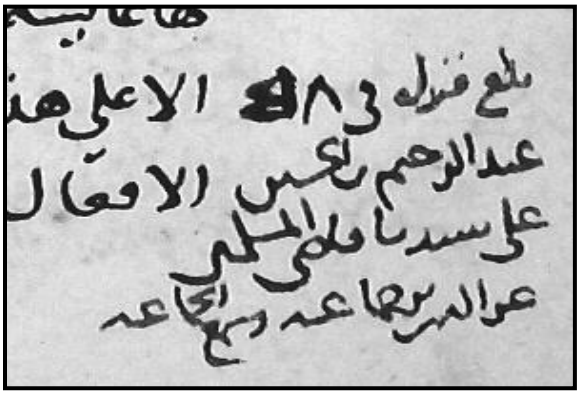

في (ل**141**/أ): بلغ قراءة في **48** عبد الرحيم بن الحسين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة وسمع الجماعة

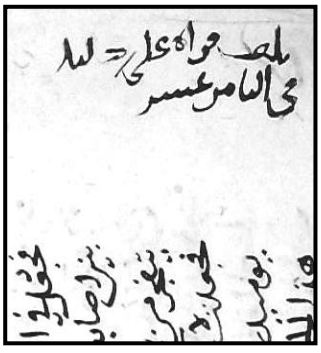

يظهر في (ل**145**/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في الثامن عشر.

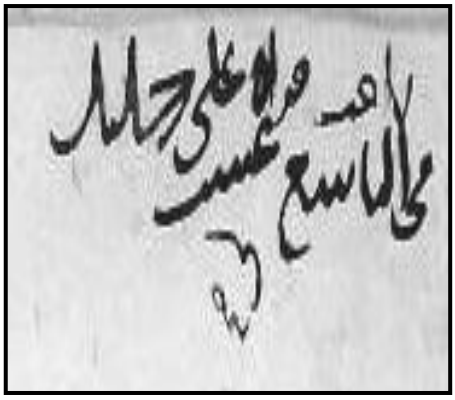

يظهر في (ل150/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في التاسع عشر.

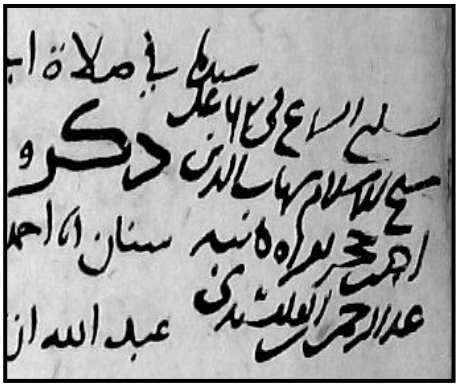

في (156/أ): بلغ السماع في 62 على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين ابن حجر فقرأه كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي.

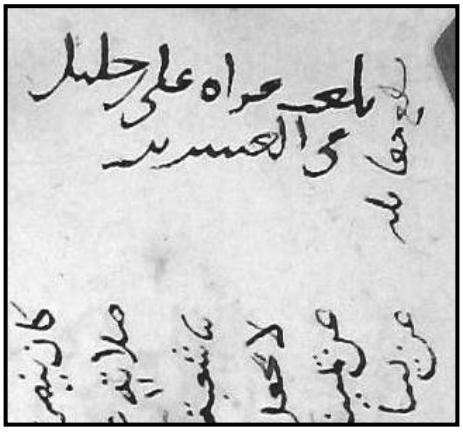

يظهر في (ل157/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في العشرين. يصح مقابله.

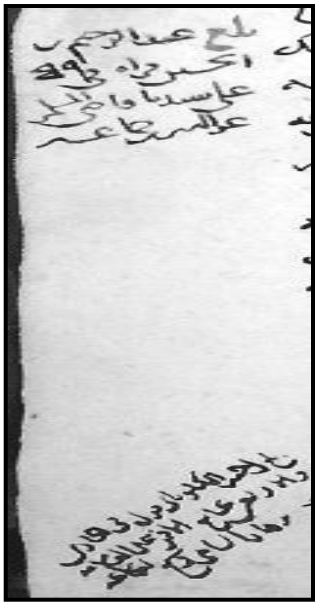

يظهر في (ل161/ب): بلغ عبد الرحيم بن الحسين قرأه في 49 على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة.

وكذا: بلغ أحمد الكلوتاني قرأه في الحادي والأربعين بجامع الأقمر على العلامة برهان الشامي، وسمع الجماعة.

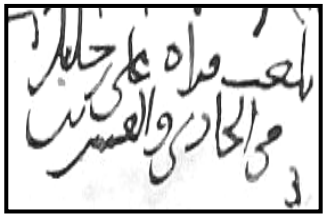

يظهر في (ل165/ب): بلغت قرأه على ابن خليل في الحادي والعشرين.

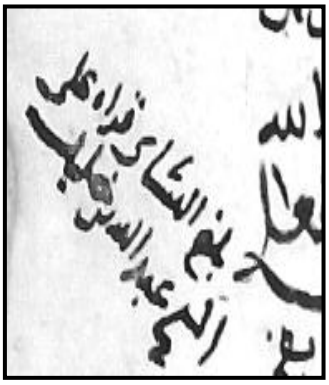

يظهر في (ل170/ب): بلغ النشائي قرأه على الشيخ عبد الله بن خليل.

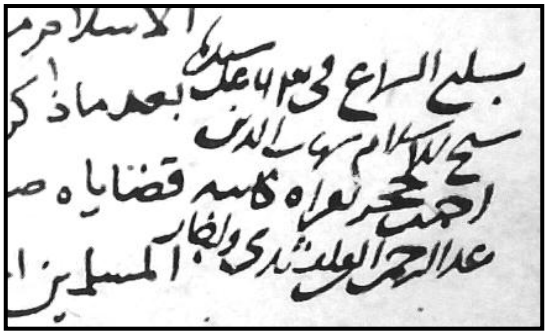

في (172/أ): بلغ السماع في 63 على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين ابن حجر فقرأه كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي وأجاز.

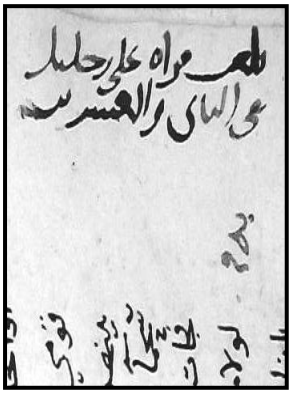

يظهر في (ل174/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في الثاني والعشرين.

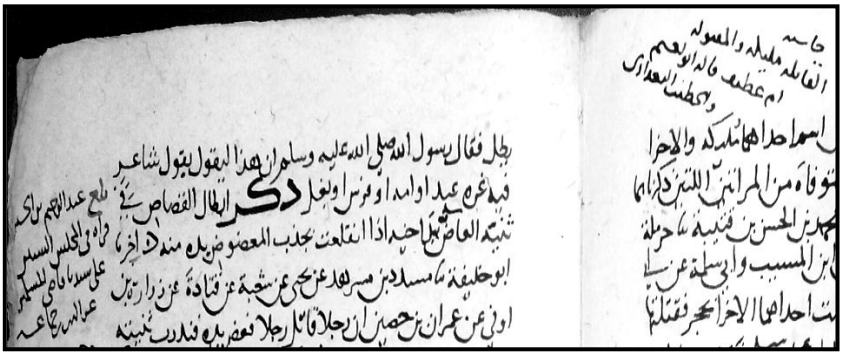

في (ل176/ب): بلغ عبد الرحيم ين الحسين قرأه في الستين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة.

وفي (ل176/أ): حاشية: [القابلة] مليكة والمعمولة أم غطيف، قاله أبو نعيم والخطيب البغدادي.

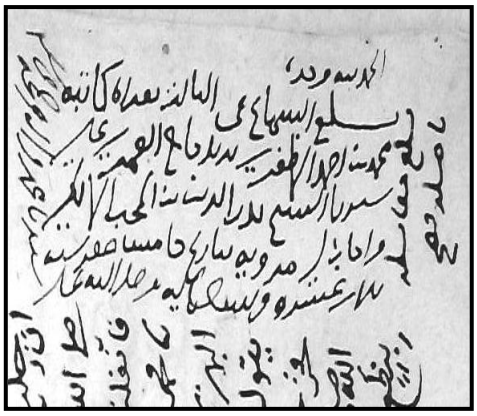

في (ل182/أ): الحمد لله وحده بلغ السماع [في الثالث] تغمده كاتبه محمد بن أحمد المظفري... سيدنا الشيخ بدر الدين بن المحب المالكي.... وأجاز لي مرويه بتاريخ خامس صفر سنة ثلاث عشر وتسعمائة وصل الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم. بلغ مقابلة بأصله فصح.

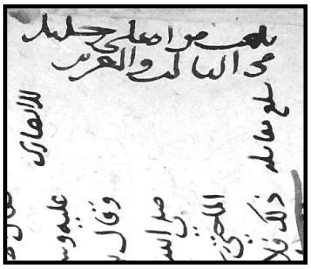

يظهر في (ل183/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في الثالث والعشرين. بلغ مقابله.

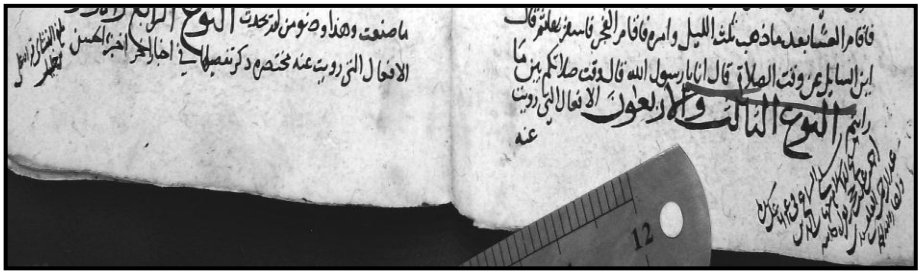

في (ل189/أ): بلغ السماع في [64] على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين ابن حجر فقرأه كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي وأجاز ولله الحمد.

في (189/ل): بلغ النشائي قرأه على ابن خليل.

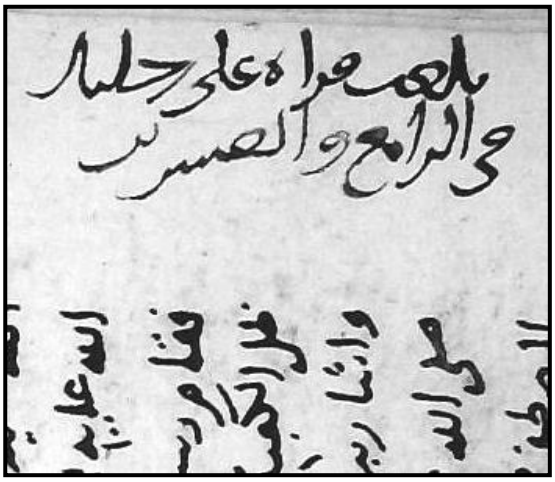

يظهر في (ل194/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في الرابع والعشرين.

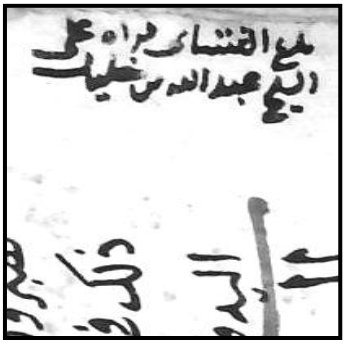

يظهر في (ل197/أ): بلغ النشائي قرأه على الشيخ عبد الله بن خليل.

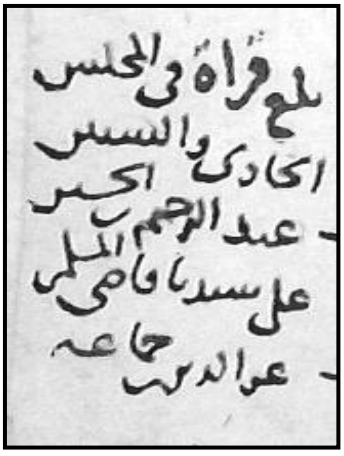

يظهر في (ل202/ب): بلغ قراءة في المجلس الحادي والستين عبد الرحيم بن الحسين على سيدنا قاضي المسلمين عز الدين بن جماعة.

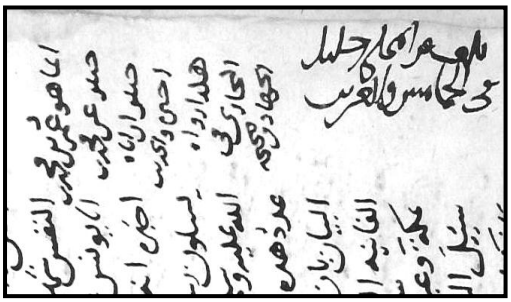

يظهر في (ل205/أ): بلغت قرأه على ابن خليل في الخامس والعشرين.

الحاشية: إنما هو عُمر بن محمد بن جبير عن محمد بن جبير أن أباه أخبره، والحديث هكذا رواه البخاري في الجهاد وصححه.

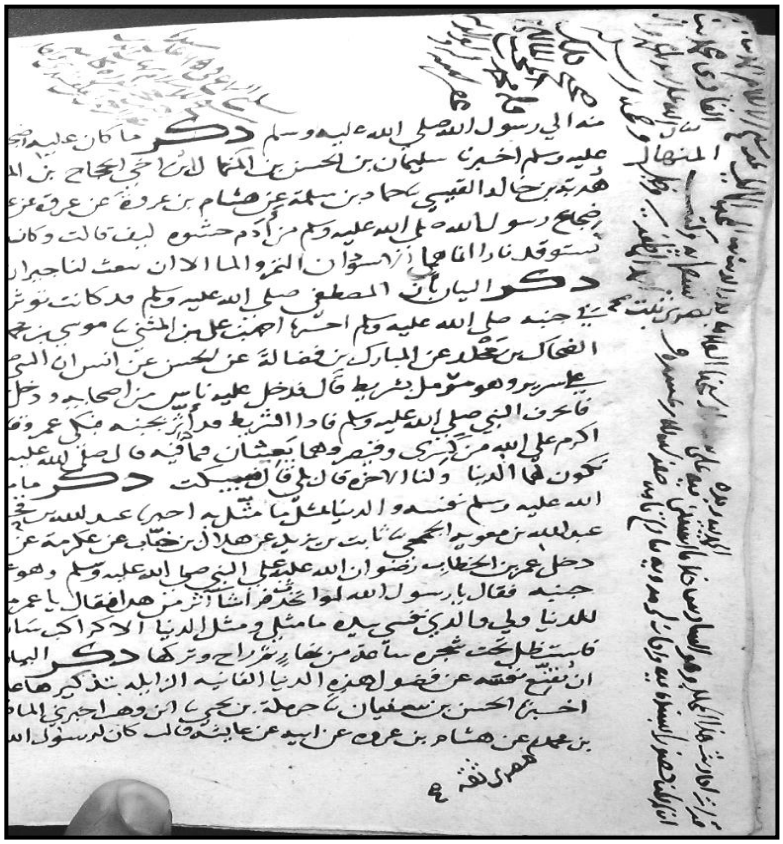

يظهر في (ل206/أ): الحمد لله وحده قرأت أحاديث هذا المجلد وهو السادس خلا ما استثني فيه على سيدنا وشيخنا العلامة بدر الدين بن

المحب المالكي عند الشيخ.....إن لم يكن حضورا بسنده فيه وأجاز لي مرويه بتاريخ ثامن صفر....عشرة وتسعمائة أحمد المظفري..... صحح ذلك محمد بن المحب المالكي غفر الله له ولوالديه.

بلغ السماع في **64** على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر يقرأه عبد الرحمن بن القلقشندي وأجاز.

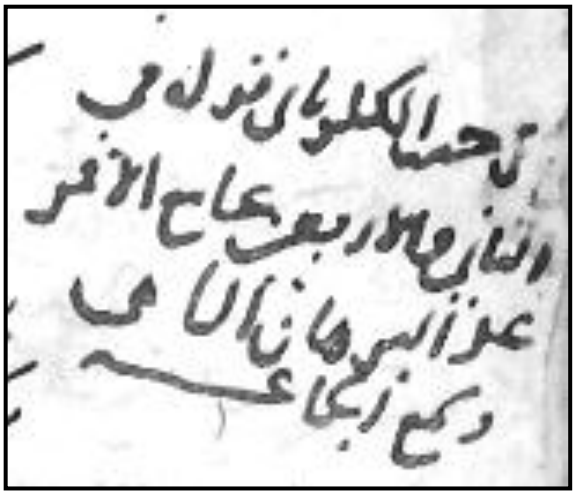

في (ل**213**/أ): بلغ أحمد الكلوتاني قرأه في الثاني والأربعين بجامع [الأقمر] على البرهان الشامي، وسمع الجماعة.

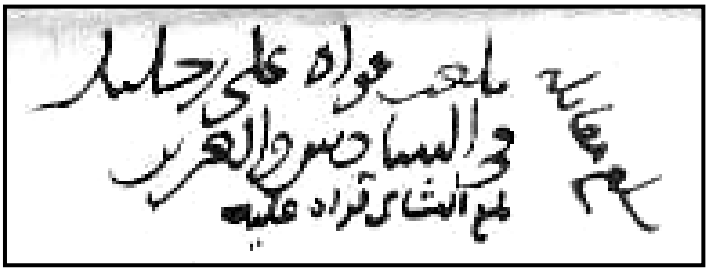

يظهر في (ل**218**/ب): بلغت قرأه على ابن خليل في السادس والعشرين، بلغ أبو بكر النشائي قرأه عليه. بلغ مقابلة.

يظهر في (ل222/ب): الحمد لله وحده بلغ السماع للمجلس السادس والستين من المجالس المحدث بخط المحدث [تقي الدين] عبد الرحمن ابن القلقشندي على الصالحة....مجالس.....[التاوزي] بحضورها له في [الثانية] على شيخ الإسلام أبي الفضل أحمد ابن حجر قرأه الشيخ.....المطفري.....

بلغ السماع في 66 على سيدنا شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد ابن حجر بقراءة كاتبه عبد الرحمن بن القلقشندي وأجاز.

المصادر والمراجع

1. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ)، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت 739هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط1، 1408هـ–1988م.
2. اختصار علوم الحديث، أبو الفداء سماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774ه)، تحقيق: د. ماهر ياسين الفحل، دار الميمان، الرياض–المملكة العربية السعودية، ط1، 1434ه–2013م.
3. أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، شهاب الدين أحمد بن محمد أبو العباس المقري التلمساني (ت 1041هـ)، تحقيق: سعيد أحمد عراب ود. عبد السلام الهراس، أعيد طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، 1400ه–1980م.
4. إنباء الغمر بأبناء العمر، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، مصر، 1389هـ–1969م.
5. الأنساب، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي، أبو سعد (ت 562هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني وغيره، دار الفاروق الحديثة، القاهرة–مصر.

6. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط1، 2003م.

7. تاريخ الجزائر الثقافي، د. أبو القاسم سعد الله (ت 1435 هـ)، عالم المعرفة، الجزائر، طبعة خاصة، 2011م.

8. تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اختار بنواحيها من واريها وأهلها، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (ت 571هـ)، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر، دمشق-سوريا، 1415هـ-1995م.

9. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، حققه: أبو قتيبة نظر محمد الفريابي، مكتبة الكوثر، الرياض-المملكة العربية السعودية، ط2، 1415هـ.

10. التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان وتمييز سقيمه من صحيحه، وشاذه من محفوظه، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم الأشقودري الألباني (ت 1420هـ)، دار با وزير، جدة-المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ-2003م.

11. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر النمري القرطبي (ت 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة قرطبة.

12. جمع الجوامع المعروف بـ «الجامع الكبير»، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، تحقيق: مختار إبراهيم الهائج وعبد الحميد محمد ندا وحسن عيسى عبد الظاهر، الأزهر الشريف، القاهرة-جمهورية مصر العربية، ط2، 1426هـ-2005م.

13. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، دار الجيل، بيروت-لبنان.

14. ديوان الإسلام، شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (ت 1167هـ)، وبحاشيته: أسماء كتب الأعلام، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1411هـ-1990م.

15. ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد، محمد بن أحمد بن علي، تقي الدين، أبو الطيب المكي الحسني الفاسي (ت 832هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1410هـ-1990م.

16. الرحلة العياشية (1661م-1663م)، عبد الله بن محمد العياشي، تحقيق وتقديم: د. سعيد الفاضلي ود. سليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي-الإمارات، الكتاب الحائز على جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي 2005م.

17. سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف: الشيخ

شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت–لبنان، ط3، 1405هـ–1985م.

18. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد العَكري الحنبلي، أبو الفلاح (ت 1089هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق–بيروت، ط1، 1406هـ–1986م.

19. شرح التبصرة والتذكرة المؤلف، أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي (ت 806هـ)، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين فحل، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1423هـ–2002م.

20. شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، د. أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، بيروت–لبنان، ط1، 1406هـ–1986.

21. صحيح ابن حبان (ت 354هـ)، بترتيب: الأمير علاء الدين الفارسي (ت 739هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة المعارف، مصر.

22. الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت–لبنان.

23. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت 1067هـ)، مكتبة المثنى، بغداد–العراق، 1941م.

24. لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، محمد بن محمد بن محمد، أبو الفضل تقي الدين ابن فهد الهاشمي الشافعي (ت 871هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط1، 1419هـ - 1998م.

25. لسان الميزان، أبو الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، دار البشائر الإسلامية، بيروت–لبنان، ط1، 2002م.

26. المسند الصحيح على التقاسيم والأنواع من غير وجود قطع في سندها ولا ثبوت جرح في ناقليها، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354 هـ)، تحقيق: د. محمد علي سونمز، ود. خالص آي دمير، دار ابن حزم، بيروت–لبنان، ط1، 1433هـ–2013م.

27. معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، دار الوعي، الجزائر، ط1، 1436هـ–2015م.

28. معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، دار صادر، بيروت–لبنان، ط2، 1995م.

29. المقفى الكبير، تقي الدين المقريزي (ت 845هـ)، تحقيق: محمد اليعلاوي، دار الغرب الاسلامي، بيروت–لبنان، ط2، 1427هـ–2006م.

30. ميزان الاعتدال في نقد الرجال، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: محمد رضوان عرقسوسي ومحمد بركات وعمار ريحاوي وغياث الحاج محمد وفادي المغربي، دار الرسالة العالمية، بيروت-لبنان، ط1، 1430هـ-2009م.

31. النكت على كتاب ابن الصلاح، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1404هـ-1984م.

32. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت-لبنان، 1420هـ-2000م.

❊ ❊ ❊ ❊

من أعلام الرواية والحديث بمراكش الحمراء:

الحافظ الرُّحَلة أبو عبد الله محمد بن علي ابن قُطْرَالّ المراكشي (تـ:710هـ)

– حياته ووصف لجزئه في عوالي المرويات –

د. نورالدين الحميدي

أستاذ جامعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه.

أما بعد؛

يبقى قَفْوُ أثر علم الحديث ونهضته بحواضر المغرب الإسلامي محفوفا بالعسر والندرة، ولعل تتبع مساره بإفريقية – تونس – والأندلس أقرب وأيسر، لكن حواضر المغربين الأوسط والأقصى، لا تُنيل المصادر بكبير إفادة عن نشأة رواية الحديث وعلومه بها، وأَقْصِرُ عنانَ البحث على حاضرة مراكش، لاختصاص هذا البحث بعَلَمٍ من أهلها وبَنِيها، فمراكش اخْتطَّها المرابطون حوالي سنة: 554هـ، فالحديث عن بدأة علم الحديث وروايته بهذه الحاضرة مقترن بنشأتها، وهي نشأة متأخرة، كانت بعد انتشار رواية الحديث بالمغرب الإسلامي وذيوع الاعتناء به، فمن حواضر المغرب الأقصى التي سبق فيها للحديث نفوق واشتهار؛ فاس وسبتة.

وحظيت إحدى المدن المجاورة لمراكش والمتقدمة عليها في الوجود والتأسيس. وهي مدينة أغمات أوريكة[1] حاضرة الحوز وتانسيفت – قبل اختطاط مراكش–، بقبس من الإشعاع الحديثي، حيث تولى قضاءها الحافظ المسند أبو محمد اللخمي الشاطبي (تـ:533هـ)[2]، وهو سبطُ الحافظ أبي عمر ابن عبد البر (تـ:463هـ)، وعلى الأرجح أن انتصابه للقضاء كان بعد سنة 500هـ[3]، وهو آخر من روى عن ابن عبد البر بالسماع والإجازة، ويُتَحَصَّلُ من جهته علوٌّ لم يشاركه فيه أحد، فلأجل هذا صارت أغمات أوريكة مقصدا لنقلة السنة، ومَأمًّا لحفظة الحديث وطلاب الأسانيد[4]، حتى يرووا من طريق الحافظ ابنِ عبد البر بعلو، وممن عاصره

(1) هناك أغمات إيلان أو هيلانة، وهي المشهورة اليوم بأغمات حيث مدفن المعتمد بن عباد، وأغمات أوريكة، تشتهر اليوم بأوريكة فقط، وهو منتجع مشهور مقصود بالارتياد والإقامة، وكانت مدينة مشهورة الذكر، كثيرة السكان، لكن مراكش غَيَّبَتْها وغلبتْ عليها، فصارت مسكنا خاصا بأهل اليسار والثراء لكثرة مائها ووفرة غَلاَّتها.

(2) هناك أغمات إيلان أو هيلانة، وهي المشهورة اليوم بأغمات حيث مدفن المعتمد بن عباد، وأغمات أوريكة، تشتهر اليوم بأوريكة فقط، وهو منتجع مشهور مقصود بالارتياد والإقامة، وكانت مدينة مشهورة الذكر، كثيرة السكان، لكن مراكش غَيَّبَتْها وغلبتْ عليها، فصارت مسكنا خاصا بأهل اليسار والثراء لكثرة مائها ووفرة غَلاَّتها.

(3) أخبر ابنُ عبد الملك بذلك في (الذيل والتكملة، 433/4).

(4) ممن روى عنه الإمام القاضي الحافظ أبو العباس ابن الصقر (تـ: 569هـ)، وابنه أبو عبد الله ابن الصقر (تـ:590هـ)، وأبو الحسن ابن يعيش الزهري الإشبيلي (تـ:567هـ)، ورحل إليه بوريكة الحافظ أبو محمد عيسى ابن المجلوم (تـ:543هـ) للسماع عليه، وكذا أبو إسحاق ابن الحاج الأنصاري الغرناطي (تـ:579 هـ)، سمع عليه سنة: 526هـ بوريكة، واستجازه أبو العباس البلنسي (تـ:547هـ)، والحافظ =

ونفَّق رواية الحديث وعلومه بوريكة؛ الحافظ الأديب أبو بكر ابن أبي الدوس المرسي (ت:511هـ)[1]، والحافظ أبو عبد الله الرندي (ت:514هـ)، وأبو القاسم الباجي[2] (بعد سنة: 500هـ)، ولا أنكر وجود من سبقهم إلى بث الحديث وروايته بوريكة، ولكن من نصصت على اسمه ذِكرُهُ أشهر وخَبَرُه أسير، خاصة سبطُ الحافظ ابنِ عبد البر.

فبأبي محمد اللخمي الشاطبي وبمن معه، صارت وريكة دار رواية وإسناد، ومراكش حينها طرية العود، حديثة البدو والنشوء، لا نعرف لأعلام الحديث وجِلته تصدر بها وحلول بربعها، وأول محدث تنص عليه المصادر استقر بمراكش وتولى قضاء الجماعة بها في عهد الأمير يوسف بن تاشفين اللمتوني؛ الإمام المحدث الحافظ أبو الحجاج ابن الملجوم الفاسي (ت:492هـ)[3]، وهو صاحب رواية عالية ومشيخة واسعة، وشاركه في جلالة القدر ونشر الحديث بمراكش الإمام المحدث القاضي أبو عبد الله ابن سعدون القيرواني (ت: 486هـ)[4]، وهو ممن رحل إلى المشرق وأخذ عن أعيان الحفاظ بحواضره، وحين عودته كان مقصدا للطلاب والشيوخ

= أبو مروان ابن البيطار المالقي (ت:587هـ)، وأبو عبد الله ابن الشبوقي الظاهري كان حيا سنة: 529هـ، وأبو محمد الجذامي الإشبيلي كان حيا سنة: 529هـ، وأبو عبد الله ابن الفرس الغرناطي (ت:567هـ)، وأبو محمد ابن سهل الضرير الغرناطي (ت:571هـ)، وغيرهم من العُدْوِيين والأندلسيين.

(1) تُنظر ترجمته في (الذيل والتكملة، 147/4).

(2) تُنظر ترجمته في (التكملة، 244/1).

(3) تُنظر ترجمته في (الذيل والتكملة، 347/5).

(4) تُنظر ترجمته في (ترتيب المدارك، 113/8).

يستمدون علمه ويعتمدون سنده، ويكفي أن من تلاميذه؛ أَبَوَا علي الصدفي والجياني وأبو بحر الأسدي وأبو الحسن ابن مفوز وغيرهم من أركان الرواية بالأندلس.

فهذان العَلَمان قَدَحَا زَند مجالس الإملاء والتحديث وكَتْب الإجازات بمراكش في بدأتها، ثم أعقبهم من العُدويين والأندلسيين عدد صيَّروها دار رواية وحديث، ومن مشاهيرهم؛ أبو عمران ابن أبي تليد (تـ:517هـ) - راوية ابن عبد البر -، والحافظ الأمير ميمون بن ياسين اللمتوني (تـ:530هـ)، وأبو بكر ابن العربي المعافري (تـ:543هـ)، وأبو عبد الله ابن أبي الخصال (تـ:540هـ)، وابن عبيد الله الحجري (تـ:591هـ)، وأبو القاسم ابن حبيش (تـ:583هـ)، وأبو القاسم السهيلي (تـ:581هـ)، وأبو محمد ابن حوط الله (تـ:612هـ)، وأبو عبد الله ابن الفخار (تـ:590هـ)، وأبو مروان ابن البيطار (تـ:587هـ) وغيرهم كثير.

وأطوي مُددا يحوجُ الوقوفُ عليها طولَ إيراد وبسطَ مقال، ولكني أعرض لعصر المترجَم له فهو المقصود بالتصدير والمُحاط بالعناية، فهو عاش أواخر القرن السابع الهجري إذ مولده سنة: 655هـ، وسيأتي ذكر جده - أحد أعلام الرواية والحديث بالمغرب الإسلامي في زمنه -. وتاريخ نشأة المؤلف ومدة مكثه بمراكش والمغرب إلى حين نُقلته إلى المشرق سنة: 703هـ، اتسمتْ بابتداء خفوت تحصيل الحديث وعلومه، وبوادر انحساره وإقلاله، وممن أبْقَوا للحديث أثرا وذكرا بحاضرة مراكش؛ شيوخ المؤلف ومن في طبقتهم مثل: الحافظ المؤرخ ابن عبد الملك المراكشي (تـ: 703هـ)، والحافظ الرُّحَلة أبو عبد الله العبدري الحيحي ثم المراكشي (ت نحو:720هـ)، والحافظ الرحالة أبو عبد الله ابنُ رُشيد السبتي

(تـ:723هـ) إبـان اسـتقراره بمـراكش متوليـا بعـض الخِطـط والوظـائف، والقاضي أبـو إسـحاق ابـن القَشـاش المراكشـي، وأبـو عبـد الله ابـن عيـاش المراكشي، فهؤلاء وغيرهم من المراكشيين والوافدين عليها، كان لهم فضل في إبقاء رسوم الحديث وروايته بمعاقلها ومدارسها.

ولو لم تكن لدراسة هذا الجزء اللطيف مزية، سوى التعريـف بـبعض المرويات والمسموعات المنتشرة والشائعة بمراكش، لكـان حريـا بـالتحقيق والنشـر، إذ الوقـوف علـى مرويـاتٍ ومُسـنداتٍ ومُنشـداتٍ مُصَـدَّرَةٍّ بأسـانيد مراكشية، مما يعز وجوده ويندر التَّهَدِّي إليـه، فهـذا علـق حـديثي لعَلَـم مـن أعلام مراكش، يبدي إسهام محـدثي مـراكش وحفاظهـا فـي روايـة الحـديث والتأليف فيه، والحمد لله تعالى بدءا وختما على توفيقه للعناية به وتحقيقه، وأختم بالصلاة السلام على خير المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

ترجمة ابن قطرال المراكشي:[1]

كان جد المؤلف الأعلى؛ أبـو الحسـن ابـن قُطْـرال الفاسـي المولـد، القرطبي النشأة، ثم المراكشي (تـ:651هـ)، من مفاريد الدهر سعة مشيخة، وكثرة رواية، وانفساح رحلة؛، وهو ممن زاد مراكش علـوا وفخـارا، حيـث اتخذها وطنا وقرارا، ونسبه على التمام كالتالي:

(1) مصادر ترجمته: (معجم الشيوخ، ص:166) للذهبي، و(أعيان العصر وأعوان النصـر، 361/2) للصفدي، و(الإحاطة، 153/3) لابن الخطيب، و(العقـد الثمـين، 106/2) للتقي الفاسي، و(الدرر الكامنة، 338/5) لابن حجر.

علي بن عبد الله بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري.[1]

وكان لعليٍّ هذا، ولدان لم يبلغا مبلغه في العلم والرواية، هما: أبو عبد الله محمد؛ وأبو محمد عبد الله.

والذي يعنينا منهما، الجد المباشر للمؤلف؛ أبو عبد الله محمد بن علي.

وكان لأبي عبد الله ابنٌ اسمه؛ علي. وعليٌّ هذا هو والد المؤلف، وقد كانت له رواية عن جدِّه أبي الحسن.

ومما يُستغرب منه قرب سنة وفاة أبي الحسن - الجد الأعلى - من سنة ولادة المؤلف، فالأول توفي سنة: 651هـ، والمؤلف وُلد سنة: 655هـ.

(1) ذكره ابنُ عبد الملك في (الذيل والتكملة، 5/5)، ثم قال: كذا نقلت نسبه من خطه. وتُنظر ترجمته في (التكملة، 241/3)، و(تاريخ الإسلام، 713/14)، و(الإحاطة، 160/4).

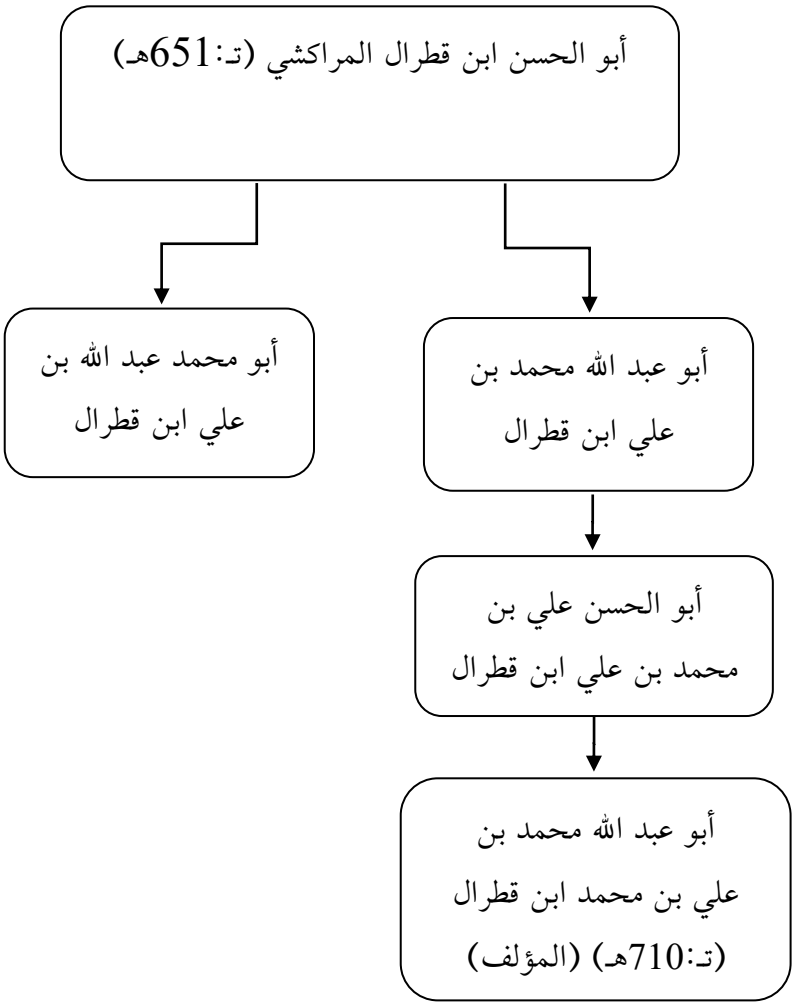

هكذا انبعث المُتَرْجَمُ له من أسرة علم وإمامة، فسلك جادة سلفه في طلب العلم وتحصيل الرواية، وبكَّر بالأخذ عن مشيخة العلم والحديث بمراكش، ثم تشوفت نفسه للأخذ عن أعلام حواضر العدوة، فجابها واجتاب فوائدها، وممن وقفنا عليه من شيوخه بمراكش الأَوَّلِ، ابن عياش المراكشي، فقد سمع عليه الحديث المسلسل بالعيدين وهو ابن ثلاثة وعشرين سنة، قال: حدثنا الفقيه المقرئ أبو عبد الله محمد بن محمد بن

عيسى بن عياش القيني المالقي، بمراكش في يوم عيد فطر وأضحى بعد الصلاة والخطبة عام أربعة وسبعين[1].

وابن عياش هذا يروي عنه في هذا الجزء روايتين.

ومن مشيخته المراكشية الذين أخذ عنهم في سن صغيرة بلا ريب، القاضي أبو إسحاق ابن القشاش المراكشي، والحافظ ابن عبد الملك المراكشي، وأما الحافظ ابنُ رشيد السبتي، فلا ندري هل أخذ عنه حين مقامه بمراكش أو بفاس.

ومن شيوخه العُدويين؛ الذين أخذ عنهم في ترحاله أبو محمد ابن عبيد الله القرطبي، فقد التقاه بسبتة، وروى عنه المسلسل بالأخذ باليد[2]، ومما يفيد طول لبثه بسبتة؛ سماعه على أبي الحسين ابن أبي الربيع الإشبيلي ثم السبتي (تـ:688هـ)، وأبي إسحاق البُرِّي التلمساني ثم السبتي (تـ:695هـ)، وأبو عبد الله ابن الخضار السبتي (تـ:697هـ)[3]، وأبو عبد الله ابن خميس السبتي (تـ:688هـ)، وأبو فارس الجزيري السبتي (تـ:701هـ) وغيرهم من صدور سبتة.

وألمَّ بأعلام بقية الأندلس ورواتها؛ فطاف بربوعها المنحسرة بعد اتساع، فالتأم له جمع من عِليتها بين سماع وإجازة، وممن ثافنهم وأفاد منهم؛ أبو القاسم بن السكوت المالقي التقاه بمالقة، والولي الزاهد أبو

(1) (جزء في الحديث،) لأبي عبد الله ابن غريون البجائي.
(2) (جزء في الحديث،).
(3) (الذيل والتكملة، 521/5).

الحسن ابن فضيلة (تـ:699هـ) التقاه بأوريولة، والحافظ الناقد أبو جعفر ابن الزبير الغرناطي (تـ:708هـ) جالسه بغرناطة وأخذ عنه، وغيرهم ممن لم نقف على ذكر لهم.

وأما من استبق فواتهم باستدعاء إجازتهم، فجماعة من المغربيين والمشرقيين، وقد أفردهم ابنُ الخطيب الغرناطي بالإيراد، فقال: كالقاضي أبي علي بن الأحوص (تـ:679هـ)، وأبي القاسم العزفي (حوالي:677هـ)، وأبي جعفر الطنجالي (تـ:679هـ)، وصالح بن شريف (تـ:684هـ)، وأبي عمرو الداري، وأبي محمد ابن الحجام، وأبي بكر ابن حَبِيش (حوالي سنة:679هـ)، وأبي يعقوب ابن عقاب (تـ:692هـ)، وعز الدين الجداي، وفخر الدين بن البخاري، وابن طرخان، وابن البواب، وأمين الدين بن عساكر، وقطب الدين بن القسطلاني، وغيرهم[1].

وكل المشارقة الذين روى عنهم ابنُ قطرال في هذا الجزء، إنما تأتَّى له ذلك عن طريق استدعاء إجازاتهم، فجلهم ممن أجازوه قبل رحلته إلى المشرق سنة: 703هـ، وأغلبهم ممن قضى نحبه قبل انتقاله للمشرق.

وأختم سيل الخوض في شيوخ ابنِ قطرال وتطوافه في الحمل عنهم، بمسرد لأسماء مشيخته في الجزء المدروس، حسب حروف المعجم:

1- أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن إبراهيم الثقفي العاصمي الغرناطي النحوي (تـ:708هـ).

---

(1) (الإحاطة، 153/3).

الرواية: (15)

2- القاضي أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد ابن القَشَّاش الأوسي المراكشي.[1]

الرواية: (13)

3- أبو العباس أحمد بن محمد الهَمْداني - نسبة إلر قرية قرب غرناطة - (تـ:هـ).

الرواية: (9)

4- شرف الدين أبو الفضل أحمد بن هبة الله ابن تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن ابن عساكر (تـ:699 هـ).[2]

الرواية: (2).

5- أبو علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص القرشي الفهري، الغرناطي، ويعرف بابن الناظر (تـ:679هـ).[3]

الرواية: (9)

6- أبو الفرج شمس الدين عبد الرحمن ابن الزين أحمد بن عبد الملك بن عثمان، المقدسي، الحنبلي (تـ:689 هـ).[4]

---

(1) تُنظر ترجمته في (التكملة، 255/2) لابن الأبار، و(تاريخ الإسلام، 596/11) للذهبي.
(2) (تاريخ الإسلام، 897/15).
(3) (الإحاطة، 259/1)، وأفردته بدراسة موسعة.
(4) (تاريخ الإسلام، 634/15).

الرواية (1).

7- أمين الدين أبو اليمن عبد الصمد بن عبد الوهاب ابن زين الأمناء ابن عساكر الدمشقي، الشافعي (تـ:686 هـ)، نزيل الحرم.[1]

الرواية: (2).

8- عز الدين أبو محمد عبد العزيز ابن قاضي القضاة محيي الدين يحيى القرشي، الدمشقي، الشافعي (تـ:699 هـ).[2]

الرواية: (5)

9- أبو العز عز الدين عبد العزيز بن عبد المنعم بن علي بن الصيقل الحراني (تـ:686 هـ)،

مسند الديار المصرية بعد أخيه.[3]

الرواية: (3).

10- فخر الدين أبو محمد عبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي ابن السكري، المصري، القاضي (تـ:687 هـ).[4]

الرواية: (1).

11- شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبي الحسن بن شرف الدمياطي، التوني، الشافعي (تـ:705هـ).[5]

---

(1) (تاريخ الإسلام، 572/15).

(2) (تاريخ الإسلام، 917/15).

(3) (تاريخ الإسلام، 574/15).

(4) (تاريخ الإسلام، 595/15).

(5) (تاريخ الإسلام، 857/15).

الرواية: (6)

12- فخر الدين أبو الحسن علي بن أحمد بن عبد الواحد بن أحمد، ابن العلامة شمس الدين أبي العباس المقدسي، الصالحي، الحنبلي (ت:690 هـ)، اشتهر بابن البخاري.[1]

الرواية: (1)

13- كمال الدين وجمال الدين أبو حفص عمر بن إبراهيم بن حسين بن سلامة بن الحسين، الأنصاري، العقيمي، الرَّسْعَني (ت:699هـ).[2]

الرواية: (1).

14- ناصر الدين أبو حفص عمر بن عبد المنعم بن عمر بن عبد الله بن غدير الطائي، الدمشقي ابن القواس، مسند الشام (ت:698هـ).[3]

الرواية: (1)

15- زين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن ابن الحافظ أبي الطاهر ابن الأنماطي، المصري، ثم الدمشقي (ت:684 هـ)، نزيل القاهرة.[4]

---

(1) (تاريخ الإسلام، 665/15).
(2) (تاريخ الإسلام، 921/15).
(3) (تاريخ الإسلام، 877/15).
(4) (تاريخ الإسلام، 526/15).

الرواية: (1).

16- أبو عبد الله محمد بن محمد بن عيسى بن عياش القيني، المالقي، المراكشي (كان حيا سنة: 674هـ).[1]

الرواية: (11)

هذا العَلَم مما اضطرب في تعيينه شيخنا العلامة محمد بنشريفة رحمه الله تعالى[2]، إلا أنه قارب الصواب في ذكره احتمال التفريق بين عَلَمَين بهذه النسبة، بناءًا على ما ورد عند ابن جابر الوادياشي، فمترجمنا هو الذي ترجم له ابنُ جابر الوادي آشي برقم: 177، ونصُّ ترجمته المقتضبة: محمد بن عياش بن محمد بن عياش القرطبي نزيل مالقة.

أخذ عن أبيه، وصهريه أبي جعفر وأبي القاسم ابني الطيلسان، وأبي عبد الله اللوشي وأجازه سهل بن مالك وابن بقي وغيرهما.[3]

ولابن قطرال شيخ آخر يشترك معه في الاسم والنسبة، وهو الذي ترجم له ابن جابر الوادياشي برقم: (150)، ونص ترجمته المقتضبة: محمد بن محمد بن عياش المالقي المراكشي. يروي عن إبراهيم بن محمد بن عبيد الله وعن أبي القاسم ابن الطيلسان وغيرهما.[4]

---

(1) (البرنامج، ص:137) للوادياشي.

(2) (الذيل والتكملة، 63/1).

(3) (البرنامج، ص:137).

(4) (البرنامج، ص:128).

فهذا ابن عياش المراكشي، وابن قطرال لم يخرج في هذا الجزء إلا عن الأول، لأنه ينسبه الخزرجي حين الرواية عنه، وهذا ما لا يصنع حين الرواية عن ابن عياش المراكشي، وقد ألفينا ابنَ قُطرال يروي عنه في موطن آخر من طريق اللوشي، وعيَّن اسم ابن عياش المالقي بأطول مما سبق[1]، وقد التقاه ابن قطرال في رحلته إلى مالقة وسمع عليه بها.

وأما ابن عياش المراكشي، فهو الذي روى عنه ابنُ عبد الملك بمراكش وجالسه وحلاه بـ«شيخنا»، فقد ألفينا ابنَ قطرال يسرد نسبه على نحو لم أجده عند غيره وعيَّن مكان السماع، فقال: حدثنا الفقيه المقرئ أبو عبد الله محمد بن محمد ابن عيسى بن عياش القيني المالقي، بمراكش في يوم عيد فطر وأضحى بعد الصلاة والخطبة عام أربعة وسبعين.[2]

وهذه الرواية أوردها ابنُ غريون البجائي عن ابنِ قطرال.

تنبيه: وأما ابن عياش القرطبي، ثم المالقي، الذي ترجم له ابنُ جابر الوادياشي برقم: (150)، فهذا لم ينزل مراكش ولم يعرج عليها، ولم يروِ عنه ابنُ عبد الملك إلا مكاتبة، مما يدل على أنه لم يَلْقَه، بخلاف ابن عياش المراكشي، فهو يروي عنه بالقراءة والسماع، وهذا الفرق اللطيف لم ينتبه له أستاذنا بنشريفة رحمه الله تعالى.

---

(1) (الفهرسة، ص:137) للمنتوري، حيث قال: عن المقرئ الصالح أبي عبد الله محمد بن عياش بن محمد بن عياش الأنصاري الخزرجي القرطبي، عن أبي عبد الله محمد بن سعيد اللوشي.

(2) (جزء في الحديث،) لأبي عبد الله ابن غريون البجائي.

17 – أم أحمد زينب بنت مكي بن علي بن كامل الحراني الزاهدة، العابدة، المسندة (تـ:688 هـ).[1]

الرواية: (1).

18– أم أحمد عائشة بنت المجد عيسى ابن الإمام موفق الدين عبد الله ابن قدامة، الصالحة، العابدة، المسندة، المعمرة، المقدسية، الصالحية (تـ:697 هـ).[2]

الرواية: (6)

19– أبو محمد ابن عبيد الله.

هكذا أورد اسمه ابنُ قطرال في الرواية: (7)، بينما في إسناد آخر أخرجه ابنُ غريون البجائي عن ابنِ قطرال، أبان عن نسبه ونسبته، فقال: أخذ بيدي المسند العدل أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبيد الله القرطبي بسبتة.[3]

فاستفدنا من هذه الرواية أنه قرطبي نزل سبتة، ولعله استقر بها. فهذا غاية ما نعرفه عن هذا العَلَم.

20– أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي (تـ:704 هـ).[4]

---

(1) (تاريخ الإسلام، 606/15).

(2) (تاريخ الإسلام، 857/15).

(3) (جزء في الحديث،) لابن غريون.

(4) تُنظر الدراسة التي عقدها العلامة محمد بنشريفة رحمه الله تعالى في مقدمة تحقيقه =

الرواية رقم: (14)

21- أبو عبد الله محمد بن عمر بن محمد بن عمر ابن رُشيد الفهري السبتي (تـ:721هـ).[1]

الرواية رقم: (16)

وأخبر عنه الذهبي لما التقاه بدمشق وسمع منه: كهل كبير القدر، قدم علينا سنة خمس وسبعمائة، فسمع معنا من جماعة أخذت عن الموازيني وغيره، وحدث بجزء التحية، عن مشيخته بالأندلس، جالسته وذاكرته، وله نظم رائق أجاز لي مروياته.[2]

قال الصفدي عن رحلته بالمشرق: سمع كثيرًا بالمغرب، ودخل مصر والشام، وسمع، وحج غير مرة، وجاور.[3]

وقال الصفدي عن وفاته: وتوفي رحمه الله تعالى بمكة برباط الجزري عند باب إبراهيم عليه السلام في رابع جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة، غسل ثوبه وطلع إلى سطح الرباط لينشره فوقع من أعلاه فمات، ودفن بباب المعلى.[4]

= للسفر الثامن من (الذيل والتكملة)، وأثبتت في مقدمة الكتاب في [ط: دار الغرب الإسلامي].

(1) تُنظر ترجمته في (الإحاطة، 108/3).

(2) (معجم الشيوخ، ص:167).

(3) (أعيان العصر، 361/2).

(4) (أعيان العصر، 361/2).

أهمية الجزء ومُخَرِّجُه ووصف نسخته:

الكشف عن جزء حديثي مراكشي مما يندر وجوده أو يستحيل، لقلة اعتناء محدثي مراكش وحفاظها بهذا الشأن، وهذا الجزء اللطيف يمكننا من الوقوف على الأحاديث والإنشادات المبتدأة بأسانيد مراكشية، ومما يدعو لنوع افتخار؛ أن تقف على حفاظ المشرق وأعلامه يسندون من خلال هذا الجزء عن طريق أسانيد مراكشية، فهذا يبدي طرفا من أهميته وعلو مكانته، إذ راوي هذا الجزء عن مؤلفه، الحافظ الرُّحَلَة جلال الدين ابن أمين الأَقْشَهْري (ت:731هـ)، وعنه قاضي القضاة بمكة كمال الدين النويري (ت:786هـ)، وعنه الحافظ المؤرخ تقي الدين المقريزي (ت:845هـ)، بل صار هذا الجزء المراكشي معقدا لمجالس السماع والإملاء، حيث عقدت له المجالس لإسماعه والتحديث به، في مكة المكرمة ثم في القاهرة المُعِزِّية، كما في تقييدات السماع التي سيأتي طرف منها.

ومن جليل إفادات هذا الجزء؛ تصرف حديثي لطيف درج عليه الحافظ ابنُ قطرال، وهو بيان علو أسانيده في بعض الأحاديث بالنسبة إلى أسانيد حفاظ الأندلس ومحدثيها، مثل الحافظ ابن عبد البر والباجي وابن فرج الطلاع وغيرهم، وهذا الصنيعُ المُسْتَمْلَحُ المستجاد، مما يبدي بذاخة وجلالة أسانيد المؤلف، وأنه يعلو فيها علوا يفوق فيها جِلةَّ محدِّثي الأندلس وصدورهم، ويكشف بذلك عن النزول الغالب على أسانيد المغاربة، لترجيحهم الصحة مع النزول، على العلو المشوب بالضعف، ويحصر بذلك أسانيد أعلام الأندلس في دواوين السنة المعتمدة، وأسوق أنموذجا على ذلك، حتى يستقيم الإدراك.

قال ابنُ قطرال: أخبرنا الأئمة شمس الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد المقدسي، أخبرنا ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي الصوفي[1] (ح)، وأخبرنا عز الدين أبو العز الحراني، أخبرنا جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزي[2]، وأخبرنا زين الدين أبو بكر الأنماطي[3]، أخبرنا تاج الدين أبو اليمن الكِنْدي، قالوا: أخبرنا أبو المعالي عبد الخالق بن عبد الصمد المعروف بابن البُدْن[4]، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الخطيب[5]، أخبرنا أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن إسحاق بن [حَبابة][6]، أخبرنا عبد الله بن محمد بن عبد العزيز أبو القاسم ابن بنت

---

(1) هو: ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب ابن الأمين أبي منصور علي بن علي بن عبيد الله، الإمام المحدث العالم، مسند العراق وشيخها، البغدادي، الصوفي، الشافعي، الأمين، المعروف بابن سكينة (ت:607 هـ)، وسكينة هي جدته أم أبيه، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 163/13).

(2) إمام مشهور، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 1100/12).

(3) توفي سنة: 684هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 526/10).

(4) علق المقريزي في الحاشية: إنما هو البَدَن بفتح الموحدة والدال المهملة، لا كما ترى.
وهو: أبو المعالي عبد الخالق بن عبد الصمد بن علي بن الحسين بن عثمان ابن البدن الصفار (ت:538 هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 684/11).

(5) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عمر بن أحمد بن مجيب الصريفيني (ت:469 هـ)، خطيب صريفين، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 279/10).

(6) ظننته بداية: أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن مخلد النوري (ت:380 هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 482/8)، وله رواية عن أبي القاسم البغوي.
ولكن المشهور برواية الصريفيني عنه، وكذا المشهور بالرواية عن البغوي، هو ابن حَبَابة، بل هو الذي تفرد برواية الجعديات عنه، وهذا الحديث منها، فهو يقينا =

مَنِيع[1]، حدثنا علي - يعني بن الجعد بن عُبيد الجوهري -، أخبرنا شعبة، حدثنا إسماعيل بن رجاء، قال: سمعت أوسا يقول: حدثنا أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤُمُّ القوم أقرؤهم لكتاب الله عز وجل، وأقومهم قراءة، فإن كانت قراءتهم سواء، فأقدمهم هجرة، فإن كانت هجرتهم سواء، فليؤمهم أكبرهم سنا، ولا يؤم رجل في سلطانه، ولا في أهله، ولا تجلس على تكرمته إلا بإذنه أو يأذن لك».[2]

متفق على صحته[3]، عزيز الوجود، كان شعبة - رحمه الله - يقول: هذا الحديث ثلث رأس مالي.[4] لمشاركته فيه أشياخه، ورواية أقرانه له عنه.

= وما بالأصل الخطي تصحيف فاحش، توفي سنة: 389هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 650/8).

(1) هو: أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز بن المرزبان بن سابور البغوي الأصل البغدادي (ت:317 هـ)، مسند الدنيا وبقية الحفاظ ابن بنت أحمد بن منيع، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 323/7).

(2) أبو القاسم ابن بنت منيع البغوي ومن طريقه المؤلف في (مسند ابن الجعد، 134)، رقم: (857).

أخرجه بنحوه مسلم في (صحيحه، 133/2) رقم: (1564).

(3) الحديث من مسند أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه، من أفراد مسلم كما في (الجمع بين الصحيحين، 496/1) للحميدي، ولا أدري كيف جرى عليه الوهم في نسبته لـ«صحيح» البخاري، والحديث خرجه البخاري في كتابه «التفسير» وهو في حكم المفقود، ويُنظر التعليق الآتي.

(4) أخرجه الخطيب البغدادي في (الجامع، 121/2).

أخرجه البخاري[1] – رحمه الله –، في التفسير، عن سعيد بن مروان، عن محمد بن عبد العزيز، عن عبدان، عن عثمان، عن أبيه، عن سفيان الثوري، عن أبي إسحاق، عن إسماعيل بن رجاء، عن أوس.

فكأن أشياخنا صافحوا به الإمام أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وتوفي البخاري ليلة الفطر من سنة ست وخمسين ومائتين، وولد الأنماطي سنة تسع وستمائة، وبين الوفاة والمولد ثلاثمائة وثلاثة وخمسون سنة.

وكأني أخذته عن أبي عبد الله [ق2/ب] الفربري، وبين وفاته ومولدي ثلاثمائة ونيف وثلاثون سنة.

وباعتبار الطرق الأندلسية؛ كأن الأئمة أبا عمر ابن عبد البر[2]، وأبا الوليد الباجي[3]، وأبا عبد الله ابن فرج[4]، يروونه عن رجل عني.

---

(1) في الحاشية بخط المقريزي: قال ابنُ رُشيد: لم يخرجه في «جامعه».

قلت: صنيع المؤلف موهم، والصحيح أن البخاري خرج الحديث في «التفسير» خارج كتابه «الصحيح»، قال شيخ المؤلف ابن البخاري في (مشيخته، 519/1): ورواه البخاري في تفسير سورة اقرأ باسم ربك، خارج الصحيح، عن أبي عثمان سعيد بن مروان البخاري البغدادي، ...

وقد أكديت وُسعي في تكشف حقيقة هذا العزو.

(2) توفي سنة: 463هـ، تُنظر ترجمته في (الصلة، 641) لابن بشكوال.

(3) توفي سنة: 474هـ، تُنظر ترجمته في (الصلة، 198).

(4) توفي سنة: 497هـ، تُنظر ترجمته في (الصلة، 534).

لأن ابنَ عبد البر يرويه، عن ابنِ أسد[1]، عن ابنِ السكن[2]، عن الفِرَبْرِي.

والباجي، عن أبي ذر[3]، عن الحَمُّوِي[4] والمُسْتَمْلي[5] والكُشْمِيهَني[6]، عن الفربري.

وابن فرج، عن الأصيلي[7]، عن المروزي[8]، عن الفِرَبْرِي.

وهذا هو علو التنزيل.[9]

---

(1) هو: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني، الطليطلي، الأندلسي (ت:395 هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 751/8).

(2) هو: أبو علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السكن البغدادي ثم المصري البزاز الحافظ (ت:353 هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 55/8).

(3) هو: أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله الأنصاري، الخراساني، الهروي، المالكي (ت:434هـ)، تُنظر ترجمته في (السير، 555/17).

(4) توفي سنة:371هـ، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 520/8).

(5) هو: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن داود البلخي، المستملي (ت:376 هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 424/8)..

(6) هو: أبو الهيثم محمد بن مكي بن محمد بن مكي بن زراع بن هارون الكُشْمِيهَني، المروزي (ت:389 هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 653/8)..

(7) هو: أبو محمد عبد الله بن إبراهيم بن محمد الأصيلي (ت:392 هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 712/8).

(8) هو: أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي، الشافعي (ت:371 هـ)، تُنظر ترجمته في (تاريخ الإسلام، 363/8).

(9) هو ما يُصطلح عليه بالعلو النسبي، والذي يُقصد به القرب من أئمة السنة وأعلامها.

ومما يُحْوِجُه فضل نظر وأثارة علم؛ تعيينُ مُخَرِّجِ هذا الجزء، إذ المقدمة التي صُدِّر بها الجزء، ونصها: «فهذا جزء من عوالي أحاديث؛ رواها الفقيه المحدث الزاهد أبو عبد الله محمد بن القاضي أبي الحسن علي بن عبد الله بن قطرال – رحمه الله – عزيزة الوجود، سيما مع صحة المتن، ونظافة السند، وفقنا الله لطاعته».

والعبارات التي ابْتُدِئَتْ بها المرويات، تكاد تقطع بأن الجزء ليس من تخريج ابنِ قطرال لنفسه، بل هو مما خرَّجه له غيره، إلا أننا لا نقف على تعيين هذا المخرِّج، هل هو راويه ابنُ أمين الأقشهري، فهذا ليس بعيدا، ولكن جرت العادة غالبا أن المشيخات والأجزاء تُروى من غير طريق مُخَرِّجِيها، وهذا الأمر أورده على سبيل الاحتمال، مرتقبا الوقوف على نص أو نسخة يتضمنان التصريح بمُخرِّج هذا الجزء هل هو المؤلف أو غيره.

وأما عن نسخة الجزء الخطية، فمما يؤسف له أن نسخة الجزء مبتورة الآخر، مما حال دون العلم بكل مادته وبعض تقييدات السماع وغيرها التي بآخره، وهي نسخة بخط الحافظ المقريزي، وهو خط متوسط مقروء، يحرص صاحبه على ضبط المشكلات بالشكل، ويغلب عليه الإعجام، وهو في صدر المجموع يحتل منه خمسة ورقات، والنسخة من محفوظات مكتبة لايدن بهولندا تحت رقم: 1366.

وقد اعْتُنِيَ بهذه النسخة لنفاستها وعلو قدرها نسخا وتصحيحا وتملكا، فممن تملك هذا المجموع كله:

الفقيه العلامة شهاب الدين الفتوحي الحنبلي (تـ:949هـ)، وهذا نص تقييده: قرأه مالكه؛ أحمد الفتوحي الحنبلي.

ثم تملكه محمد المظفري (تـ:981هـ)، وهو صاحب تملكات كثيرة على جملة من نوادر المخطوطات ونفيسها، وقد طال المحو والطمس جزءا من تقييد تملكه.

ومما أثبت على ورقة العنوان من تقييدات السماع والقراءة؛ سماع على راويها وناسخها المؤرخ تقي الدين المقريزي، سنة: 839هـ، تجاه الميزاب من الكعبة المعظمة من المسجد الحرام، وحضر المجلس جماعة من الأعلام والطلبة.

ثم هناك تقييد آخر؛ بقراءة هذا الجزء عليه بالقاهرة سنة: 841هـ، وحضر المجلس جملة من الأشياخ والطلاب.

ثم يعقبه تقييد قراءة آخر بخط الحافظ البقاعي (تـ:885هـ) على المقريزي، بحضور جملة من الأعيان والحفاظ في سنة: 841هـ. ولو تهيأ الوقوف على الأوراق الأخيرة المبتورة من النسخة، لكان متضمنة لسماعات وتقييدات أخرى تفيد بمدى اشتهار هذا الجزء في المجالس التحديث والإملاء، وحرص العلماء والمحدثين على سماعه وإسماعه.

صورة ورقة العنوان، هي متضمنة لتقييدات القراءة والتملك

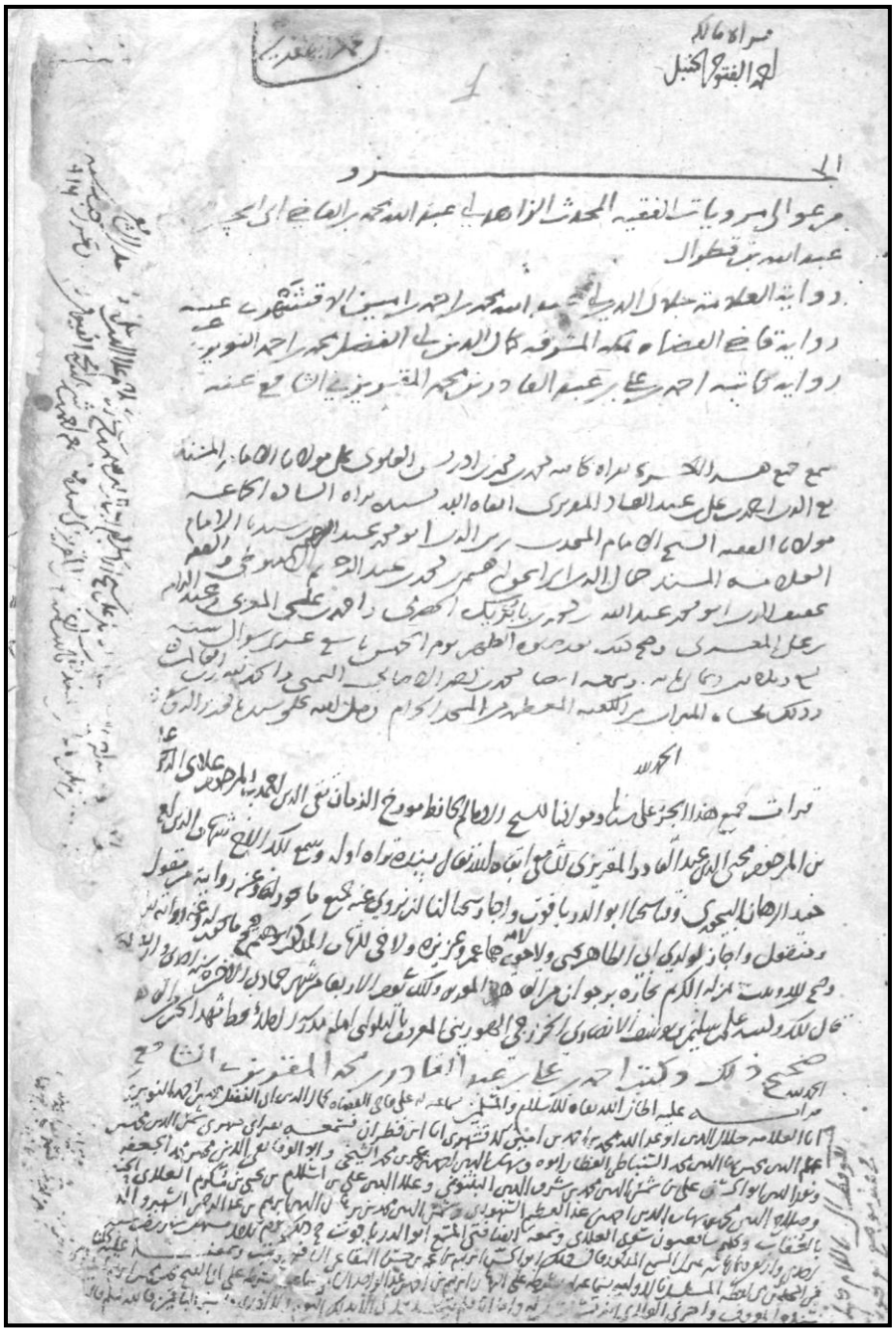

فهرس المصادر والمراجع

1- (الإحاطة في أخبار غرناطة) للسان الدين ابن الخطيب، ط: دار الكتب العلمية، سنة: 1424هـ.

2- (أعيان العصر وأعوان النصر) لصلاح الدين الصفدي، مجموعة من المحققين، ط: دار الفكر المعاصر، سنة: 1418هـ.

3- (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) لجلال الدين السيوطي، تـ: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط: المكتبة العصرية.

4- (تاريخ الإسلام) لأبي عبد الله الذهبي، تـ: بشار عواد معروف، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: 2003م.

5- (تاريخ قضاة الأندلس) لأبي الحسن البناهي، ط: دار الآفاق الجديدة، سنة: 1403هـ، الطبعة الخامسة.

6- (التكلمة لكتاب الصلة) لأبي عبد الله ابن الأبار، تـ: عبد السلام هراس، ط: دار الفكر.

7- (الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة) لابن حجر العسقلاني، تـ: محمد عبد المعيد ضان، ط: دائرة المعارف العثمانية، سنة: 1392هـ.

8- (الذيل والتكملة) لابن عبد الملك المراكشي، تـ: إحسان عباس ومن معه، ط: دار الغرب الإسلامي، سنة: 2012م.

9- (العقد الثمين بتاريخ البلد الأمين) للتقي الفاسي، مجموعة من المحققين، ط: مؤسسة الرسالة، سنة: 1986م.

10- (غاية النهاية) لشمس الدين ابن الجزري، ط: مكتبة ابن تيمية، مصورة عن طبعة: برجستراسر، سنة: 1351هـ.

11- (طبقات المفسرين) للداودي، ط: دار الكتب العلمية.

12- (الطيوريات) لأبي الحسين ابن الطيوري، تـ: دسمان معالي ومن معه، ط: دار أضواء السلف، سنة: 2004م.

13- (صلة الصلة) لابن الزبير الغرناطي، ط: مكتبة الثقافة الدينية، سنة: 2008م.

14- (الصلة) لأبي القاسم ابن بشكوال، تـ: السيد عزت العطار، ط: مكتبة الخانجي، سنة: 1955م.

15- (الفهرسة) لأبي زكريا السراج، تـ: نعيمة بنيس، ط: دار الحديث الكتانية، سنة: 2013م.

16- (الفهرسة) لأبي عبد الله المنتوري، تـ: محمد بنشريفة، ط: مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث التابع للرابطة المحمدية، سنة: 1432هـ.

17- (معجم الشيوخ) لأبي عبد الله الذهبي، تـ: روحية السويفي، ط: دار الكتب العلمية، سنة: 1993م.

18- (معرفة القراء الكبار) لأبي عبد الله الذهبي، تـ: طيار قولاج، طبع باستانبول سنة: 1995م.

19- (ملء العيبة، الرحلة الحجازية) لأبي عبد الله ابن رشيد السبتي، تـ: محمد الحبيب الهيلة، ط: الدار التونسية للنشر، سنة: 1982م.

20- (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) لأبي العباس المقري، تـ: إحسان عباس، ط: دار صادر.

21- (الوافي بالوفيات) للصلاح الصفدي، تـ: أحمد الأرنؤوط، ط: دار إحياء التراث، سنة: 2000م.

22- (وفيات الأعيان) لأبي العباس ابن خلكان، تـ: إحسان عباس، ط: دار صادر.

❊ ❊ ❊ ❊

التعريف بمخطوط سوسي: «شرح كتاب التلقين»

للإمام القاضي أبي علي حسين بن داود الرسموكي التاغاتيني (ت914هـ)

محمد علوان

باحث في التراث الإسلامي المخطوط

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على النبي المصطفى الكريم، وعلى آله وصحابته أجمعين.

وبعد؛ فهذه المقالة الثانية[1] في التعريف بمخطوط من نوادر ما تحتفظ به الخزائن السوسية الخاصة، التي نشارك بها تلبية لدعوة الكتابة ضمن أبحاث الكتاب العلمي لجائزة الحسن الثاني للمخطوطات «أبحاث في الكتاب العربي المخطوط»، فاخترت مخطوطًا من نوادر التراث السوسي الفقهي، الذي كان يعد إلى عهد قريب مفقودًا عند الباحثين، وهو شرح لكتاب «التلقين» للإمام القاضي عبد الوهاب البغدادي (ت422هـ).

وهذا المخطوط من النوادر السوسية التي وقفنا عليها، ولله الحمد، ويندرج ضمن حلقة من التأليف المغربي الذي يكشف عن إسهامات علمائه

(1) المقالة الأولى ضمن العدد السابق بعنوان «التعريف بنسخة خطية عتيقة لصحيح مسلم».

في إثراء التراث الفقهي المالكي، ومن إبداعات أحد أعلامه بالقرن العاشر بسوس، الذي لم تر كتبه النور بعد، وهو العلامة القاضي أبو علي حسين بن داود التغاتيني الرسموكي(ت914هـ).

لذا تأتي هذه النبذة اليسيرة لتحقيق أمرين:

التعريف بهذا العلم الفذ، وبيان منزلته العلمية، والتعريف بهذا المخطوط النادر والفريد في بابه.

أولا: في التعريف بالمؤَلِّف:

✓ **اسمه ونسبته**[1]:

مصنف المخطوط هو:

الإمام العلامة القاضي حسين بن داود بن بلقاسم بن الحاج محمد بن يحيى التاغاتيني الرسموكي.

✓ **شيوخه:**

ذكر الحضيكي أحد شيوخه؛ وهو داود بن محمد بن عبد الحق التملي التونلي الجزولي(ت899هـ)[2].

---

(1) تنظر ترجمته في: «الوفيات» (ص:39) للرسموكي، و«الطبقات» (188/1) للحضيكي، و«المناقب» (ص:18) للبعقيلي، و«بشارة الزائرين» (ص:97) للكرامي السوسي، و«النبوغ المغربي» (257/1) لعبد الله كنون، و«المعسول» (279/18) «رجالات العلم العربي بسوس» (ص:19) «سوس العالمة» (ص:179) للمختار السوسي.

(2) ينظر ترجمته في: «طبقات الحضيكي» (224/1، برقم:264).

✓ **تلامذته:**

ذكر له الحضيكي الشيخ إبراهيم الجريفي السملالي[1].

✓ **آثاره العلمية:**

هذه بعض المصنفات التي ذكرتها له كتب التراجم:

– «خلاصة التبيين لهدية المسكين»، وهو شرح على بيوع ابن جماعة.

– شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني.

– «مدرج الراغب في شرح مختصر ابن الحاجب»، شرح على مختصر ابن الحاجب

– «مسلك التبيين لمعاني التلقين» كتابنا هذا.

– نظم في تصريف الأفعال.

– «وسيلة الأحلام إلى نيل الافهام لنتيجة الإلهام في وصف دار السَّلام» وهو شرح كبير للقصيدة الموشحة للشيخ خالد بن يحيى الكرسيفي المسماة: «نتيجة الإلهام في دار السلام».

قال في آخره: «...فإني لما أردت الاشتغال به أحضرت كتبًا عديدةً من التفسير والحديث، وكتب الرقائق والفقه واللغة، فقلَّ كتاب لم أنقل منه، سميت البعض وتركت البعض، وخليت كثيرًا من أسانيد الحديث، قصد الاختصار وفرارًا من التطويل، سميت كتابي هذا بما تقدم، وهو:

---

(1) ينظر «طبقات الحضيكي» (127/1).

«وسيلة الأحلام إلى نيل الإفهام لنتيجة الإلهام في وصف دار السَّلام»، وصل الله على سيدنا محمد وأزواجه وذرياته...».

✓ **كلام العلماء فيه:**

نال الإمام أبو علي حسين بن داود الرسموكي- رحمه الله- ثناء حسنا من جلة من العلماء، ممن ترجم له، وحلوه بصفات تدل على منزلته السامية، ومرتبته السامقة بين علماء عصره.

- قال البعقيلي في «مناقبه» (ص:18): «الفقيه العالم العامل المتفنن الحافظ، إمام أهل زمانه، وفريد أهل عصره».

- قال الرسموكي في «وفياته» (ص:39): «الفقيه العالم المتفنن».

- قال الكرامي في «بشارة الزائرين» (ص:97): «الشيخ الصالح، الفقيه القاضي الناصح».

- قال الحضيكي في «طبقاته» (188/1): «كان -رضي الله عنه- عالما عاملا متفننا في العلوم متوسعا، له باع في الفقه والتفسير وغيرهما، وكان -رضي الله عنه- ورعًا زاهدًا ناسكًا وليًا صالحًا».

✓ **وفاته:**

توفي في داره بتاغتين يوم الجمعة في 14 محرم الحرام سنة (914هـ)، كذا وجد بخط تلميذه الفقيه سيدي إبراهيم الجريفي السملالي[1].

وقيل في ليلة 14 من محرم عام (924هـ)[2].

---

(1) طبقات الحضيكي(188/1).

(2) بشارة الزائرين(ص:97).

ثانيًا: في التعريف بالمؤَلَّف.

✓ **وصف المخطوط:**

النسخة في مجلد من الحجم الكبير، عدد لوحاتها (176)، ومسطرتها (47) سطرًا، مقاسها 30×21.5، وخطها مغربي، وميَّز الناسخ باللون الأحمر بعض الكلمات، والنسخة خالية من التعقيبة، ومن اسم الناسخ، وتاريخ نسخها في ربيع الأول سنة (927هـ)، محفوظة بخزانتي، والكتاب يمثل المجلد الأول من جميع الكتاب.

-يبتدئ بعد البسملة والتصلية بـ: «هذا مسلك التبيين لمعاني التلقين، ومن الله المعين أسأل الإرشاد على طريق المبين. الحمد لله رب العالمين، والصلاة على إمام المتقين، محمد وعلى آله الأكرمين، والرضا على أصحابه أجمعين...».

-وفي آخره: «انتهى السفر الأول من «مسلك التبيين على معنى التلقين» بحمد الله وحسن عونه والحمد لله على ذلك، وفرغت منه يوم الأحد الوافي اثنان يومًا ما في ربيع الأول من سنة سبع وعشرين سنة بعد تسعمائة، اللهم اغفر لمن كتبه ولوالديه ولمعلمينا، ولمن سبقنا بالإيمان. آمين، آمين».

-وناسخ هذه النسخة يبدو أنه غير متقن، ويدل على ذلك كثرة التصحيفات والتحريفات التي لحقت هذه النسخة، وقد جاء التنبيه لذلك على ظهر غلاف النسخة؛ حيث كتب أحدهم عليه ما نصه:

«ليعلم مريد مطالعة هذا السفر أن فيه تحريفًا كثيرًا، لا يخرج فيه إلا بالمقابلة بآخر أصحّ منه».

✓ اسم الكتاب ونسبته لصاحبه:

▪ اسمه:

اسم الكتاب: «مسلك التبيين لمعاني التلقين»، وبهذا العنوان سمي في مطلع هذه النسخة، حيث جاء فيها بعد البسملة والتصلية: «هذا «مسلك التبيين لمعاني التلقين»، ومن الله المعين أسأل الإرشاد على طريق المبين».

وبه سمّاه مؤلّفه -رحمه الله- في خاتمة ديباجته، فقال: «وسميته بـ«مسلك التبيين لمعاني التلقين»...»، وهذا عند أهل التخصص أحد الأوجه القاضية على صحة عنوان الكتاب، وهو تسمية المُؤَلِّف لمؤلَّفه.

ومما يدل على صحة هذا العنوان ما ذكره محقق كتاب «روضة المستبين في شرح التلقين» للإمام أبي محمد ابن بزيزة[1]، من ورود هذا العنوان على ظهر نسخة مخطوطة من كتاب السجلماسي «تحصيل ثلج اليقين في حل مقفلات التلقين».

▪ نسبته:

من الأدلة القاضية على صحة نسبة هذا الكتاب للقاضي حسين بن داود الرسموكي رحمه الله:

---

(1) ينظر(ص:1/56-57).

-نسبته إليه في مطلع هذه النسخة؛ إذ جاء فيها ما نصه: «مما أوضحه وبينه الشيخ فخر الدين، الإمام الحافظ، شمس الدين، يبتغي بذلك جزيل الإنعام بأعلى عليين، مصباح زمانه، وقدوة أهل الدين: أبو علي؛ حسين بن داود بن الرسموكيين، التغاتني مستوطنًا، يعلمه من في البلدان، قدس الله روحه، وأعلانا وإياه في الجنان، بالدرجات التي هي فيها لأمثاله من المؤمنين، ألفه وجمع فيه مما يتأمله الراغبون، وشرحه وبين ما انغلق فيه من الدواوين...قال رضي الله عنه وجزاه الله عنا خيرا:...».

-ذكر كل من العلامة المختار السوسي في «سوس العالمة» (ص:179)، والعلامة عبد الله كنون في «نبوغه» (257/1)، أن له شرحا على التلقين.

✓ صنيع الرسموكي في كتابه.

ومن أجل تقريب القارئ من محتوى هذا السفر، فسألخص صنيع الإمام حسين بن داود الرسموكي في كتابه هذا في النقاط التالية:

➢ صرح في مقدمته بمنهجه الذي سلكه فيه؛ فقال:

«وبعد؛ فإني أرغب إلى الله تعالى التقوية على ما التمسته من تقييد ألفاظ التلقين، وشرح ما انغلق وانبهم من مسائله، بما وجدته منبسطًا من غيره في الشرَّاح والأمهات، فاتبعت في ذلك سبيل المحققين، واقتفيت فيه ما اقتفوا، غير مائلٍ ولا حائدٍ عنهم، فكلما نقلته فهو على حسب ما وجدته في تعلمهم، إلا أني اختصرت في بعض ما طوَّلوا بعبارة قاصرة في اللَّفظ،

كاملة في المعنى، فجمعت هذا من كتب شتى، وسميته بـ«مسلك التبيين لمعاني التلقين»، طالبًا من الله تعالى أن يكون فعلي فيه خالصًا لوجهه، وأن ينفعني به يوم نلقاه بجاه أولي العزم من رسله».

- سار في تقسيمه تبعا للقاضي عبد الوهاب:

- فبدأ بالبسملة والتصلية؛ فعقد لكل منهما ثلاثة فصول:

فصل في إعرابهما، وآخر في معناهما، والأخير في فضلهما.

- ثم خص بعد ذلك الإمام القاضي عبد الوهاب البغدادي بترجمة موجزة.

- ثم شرع في شرحه لكتب وأبواب التلقين، على تقسيم القاضي عبد الوهاب.

فاشتمل هذا المجلد على اثني عشر كتابا، وتحت كل كتاب أبواب، وهذه هي الكتب التي اشتملها هذا السفر الأول:

1- الطهارة، 2- والصلاة، 3- الجنائز، 4- والزكاة، 5- والصيام، 6- والمناسك، 7- والجهاد، 8- والأيمان والنذور، 9- والضحايا والعقيقة، 10- والذبائح، 11- النكاح، 12- والطلاق.

وانتهى السفر الأول في الكتاب الأخير في باب الرضاع، عند قول القاضي عبد الوهاب: «**وكل ما حرم بالولادة حرم بالرضاع**».

➢ يبدأ بذكر كلام القاضي في التلقين مستعملا عبارة: «قوله:...»، ثم يقول بعدها: «معناه:...»، فيشرحه بأسلوب سهل واضح، مبينًا مراد القاضي، ومقربًا ألفاظ عبارته، ثم يشرع بتحقيق أقوال الأئمة في المسألة.

✓ **مصادره:**

اعتمد الإمام حسين بن داود الرسموكي- رحمه الله- في تصنيفه هذا الكتاب، وجمع مادته العلمية على مصادر متنوعة وكثيرة، وطريقته في النقل عنها على ضربين:

- مصادر صرح بالأخذ عنها.

- ومصادر لا يصرح بأسمائها؛ بل يكتفي بذكر أسماء مؤلفيها.

وإليك مسرد لبعض مصادره [1]:

- «الاستذكار» لأبي عمر بن عبد البر القرطبي(ت463هـ).

- «المنتقى» لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي(ت474هـ).

- «الموطأ» للإمام مالك بن أنس(ت179هـ).

- «القبس» و«التقريب» للقاضي أبي بكر بن العربي(ت543هـ).

- «المعين»[2].

---

(1) لم أتبع ترتيبا معينا في هذا المسرد.

(2) لم يصرح المصنف بصاحب المعين، ولعله صاحب «المعين في شرح ألفاظ التلقين»، وهذا الكتاب وقفت على نسخة منه بخزانة خاصة بسوس، منسوبا للإمام العلامة =

- «حلل المقالة في شرح الرسالة» لأبي عمران موسى الزناتي الزموري (ت714هـ).

- «ثلج اليقين حل مقفلات التلقين» للإمام أبي الفضل السجلماسي[1].

- «روضة المستبين في شرح التلقين» للإمام أبي محمد عبد العزيز بن إبراهيم بن بزيزة التونسي.

- «غرر المقالة في شرح غريب الرسالة» للإمام أبي عبد الله محمد بن منصور بن حمامة المغراوي (كان حيا منتصف القرن السادس).

- «دلائل القبلة» لأبي علي المتيجي.

- «كتاب القبلة» لأبي علي صالح بن عبد الحليم الإيلاني المصمودي (ت726هـ).

= أبي محمد عبد الله بن محمد بن عمر الدكالي الأرزجي، في مجلد من الحجم الكبير، عدد لوحاته(218)، مسطرتها (42) سطراً، خطه مغربي دقيق، بقي منه المجلد الثاني -وهو الأخير- من الكتاب، والنسخة خالية من التعقيبة، تبتدئ من كتاب البيوع إلى آخر الكتاب. وجاء في آخره: «قال المؤلف - رحمه الله-: هذا آخر ما أمليناه من شرح ألفاظ التلقين، مما سمعناه عن الشيخ الفقيه الأستاذ أبي محمد عبد الله بن محمد بن عمر الدكالي الأرزجي؛ وبه كان مشهوراً، نفعه الله ونفعنا به...كمل السفر الثاني من كتاب المسمى بـ: «المعين" في الثاني والتسعين من تسعمائة في رمضان المعظم، نسأل الله خيره بمنه وكرمه، والحمد لله رب العالمين».

(1) طبع بدار الكتب العلمية ببيروت البنان، سنة 1425هـ/2004م، بتحقيق الشيخ محمد بوخبزة التطواني وبدر العمراني الطنجي.

- «عيون الأدلة» لأبي الحسن علي بن عمر المعروف بابن القصار(ت397هـ).

- «التبصرة» لأبي الحسن علي بن محمد اللخمي (ت478هـ).

- «التفريع» لأبي القاسم عبيد الله بن الحسن بن الجلاب البصري (ت355هـ).

- «جامع الأمهات» لابن الحاجب (ت646هـ).

- «أسئلة القرويين» المصباح[1].

- «الدخيرة» لأبي العباس شهاب الدين القرافي (ت684هـ).

- «شرح التلقين» لأبي عبد الله محمد بن علي المازري(ت536هـ).

- «المدونة» للإمام سحنون(ت240هـ).

- «الرسالة» و«النَّوادر والزِّيادات» لابن أبي زيد القيرواني (ت386هـ).

---

(1) لعله أبو الضياء؛ مصباح بن عبد اللَّه الياصلوتي، الفاسي، من أكابر أصحاب أبي الحسن الصغير، كان فقيهًا صالحًا حافظًا نوازليًا، وهو أول من درّس بمدرسة أبي الحسن المريني بفاس فنسبت إليه، وكانت أمه من الصالحات ولا ترضعه إلا على وضوء، وتفقه على أبي الحسن الصغير وغيره. توفي بفاس سنة (750هـ)، وله فتاوى نقل بعضها في العيار. **نيل** الابتهاج (ص:608-609)، قال ابن القاضي: «وإليه تنسب المدرسة المصباحية» لقط الفرائد (ص:203) ضمن كتاب ألف سنة من الوفيات.

- «منَاهِجُ التَّحصِيلِ ونتائج لطائف التَّأوِيل في شرح المدَوَّنة وحَلِّ مُشكِلاتها» لأبي الحسن علي بن سعيد الرجراجي (ت بعد 633هـ).

- «المقدمات الممهدات» لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت520هـ)

- «شرح الرسالة» لأبي زيد عبد الرحمان الجزولي (ت741هـ).

- «تفسير المهدوي» لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي (ت440هـ).

✓ **صور المخطوط:**

الصورة الأولى من المخطوط

الصورة الأخيرة من المخطوط

المصادر والمراجع

1- «بشارة الزائرين» ؛ لداود بن علي بن محمد الكرامي السوسي، تقديم وتحقيق وتعليق: الحسان بوقدون وعبد الرحمن كرومي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، 2018م.

2- «رجالات العلم العربي في سوس من القرن الخامس الهجري إلى منتصف القرن الرابع عشر» ؛ لمحمد المختار السوسي، طنجة، 1989م.

3- «سوس العالمة» ؛ لمحمد المختار السوسي، طبعة فضالة المحمدية.

4- «طبقات الحضيكي» ؛ لمحمد بن أحمد الحضيكي، تقديم وتحقيق: أحمد بومزكو، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى: 1427هـ/2006م.

5- «لقط الفرائد من لفاظة الفوائد» ؛ ضمن ألف سنة من الوفيات، لأبي العباس أحمد بن القاضي، تحقيق: محمد حجي، الرباط، 1976م.

6- «المعسول في الإلغيين وأساتذتهم وتلامذتهم...» ؛لمحمد المختار السوسي، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1963م.

7- «مناقب البعقيلي» ؛ لمحمد بن أحمد المرابط البعقيلي السوسي، تحقيق: محمد المختار السوسي.

8- «النبوغ المغربي في الأدب العربي» ؛ لعبد الله كنون الحسني ، الطبعة الثانية ، 1380هـ..

9- «نيل الابتهاج بتطريز الديباج» ؛ أحمد بابا التنبكتي السوداني ، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة ، دار الكاتب ، طرابلس ، ليبيا ، الطبعة الثانية ، 2002م.

10- «وفيات الرسموكي» ؛ تحقيق: محمد المختار السوسي ، الطبعة الأولى: 1408هـ/1988م.

11- «وفيات الونشريسي» ؛ لأحمد الونشريسي ، ضمن ألف سنة من الوفيات ، تحقيق: محمد حجي ، الرباط ، 1976م.

❊ ❊ ❊ ❊

التعريف بالإمام أبي عبد الله محمد ابن أبي الخصال

وقصيدته الموسومة بـ:

معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب

في ذكر نسب الرسول ﷺ ومعجزاته ومناقب الصحابة

الحسين مهداوي

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي

باحث في سلك الدكتوراه، جامعة محمد الأول – وجدة

مقدمة

الحمد لله الذي جعل العلم أعز ما يطلب وأعظم ما تبدل فيه الأعمار ويرغب، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام الأئمة العلماء، وقدوة الفقهاء، وسيد الأدباء الذي أوتي جوامع الكلم وفصل الخطاب، وعلى آله وصحبه شموس الهدى ومنارات الاقتداء، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن من أجل الأعمال منزلة وأعلاها مرتبة، خدمة تراث الأمة والتعريف بأعلامها، ممن كان لهم دور مهم في إحياء علومها وبيان ما زخرت به من فنون وآداب، تسابقت النفوس إلى ارتيادها والهمم إلى

رياضها، لتُحصّل من بحار علومها، ما تشرف به بين الخلائق، ويعلو شأنها بين أهل المجد والحسب الثاقب في العلوم والمعارف، وقد اخترت في هذه الدراسة، التعريف بالإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال الغافقي والعناية بقصيدته: معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب في ذكر نسب رسول الله ﷺ ومعجزاته ومناقب الصحابة، تحقيقا وتعليقا، فهو عَلَم ذاع صيته وانتشر، وعظم ذكره في أهل عصره واعتبر، حلي بأعظم حلل البيان، وزين بأجمل صفات السؤدد، ومفاخر علو المنقبة، وشرف الصلة، وعظيم المنزلة في نفوس أهل الزمان، من سلاطين وأمراء وعلماء وعامة الناس، وأما قصيدته فهي من المنزلة بمكان، اشتهر بين أهل العلم ذكرها، في عصر ناظمها ومن جاء بعده، وقد كانت في عداد المفقود من تراث الأمة، إلى أن يسر العلي القدير الحصول عليها، فكشف لي من جمال نظمها وبديع بيانها وبراعة ألفاظها، ما حثني على الاختصاص بالتعريف بها وإظهارها، وذكر خصائصها وإشهارها، ليبلغ بها النفع وتعظم بها الفائدة بين طلاب النثر والنظم، ويكون ذلك كله، إعلام بمحاسن ناظمها وإحياء مناقبه، في زمن اندرس فيه رسمه وخفي وسمه.

منهج الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي، حيث قمت بجمع المادة العلمية من المصادر الأصلية التي قامت بتعريف الإمام ابن أبي الخصال الغافقي وذكر مناقبه، وبيان قيمة قصيدته **معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب**، وقمت بإعادة تركيبها وعرضها بما يتوافق مع لغة

وأسلوب العصر، لتكون ميسرة للطالبين، وسهلة للراغبين في التعرف على هذا العَلم وتراثه العلمي الزاخر.

وقد جاءت هذه الدراسة في مقدمة ومطلبين:

أما المقدمة: فقد بينت فيها أهمية التعريف بأعلام الأمة وخدمة تراثهم العلمي، بالعناية به وإخراجه ليعم النفع به عموم طلاب العلم.

وأما المطلب الأول: فخصصته للتعريف بالإمام ابن أبي الخصال الغافقي، بذكر اسمه ومولده ونشأته وطلبه للعلم وشيوخه وتلامذته، وذكرت مؤلفاته، ونماذج من شعره وترسله مع خلانه وأعيان عصره من الأمراء والعلماء، بما يظهر براعته وإمامته في البلاغة والأدب.

أما المطلب الثاني: فجعلته للتعريف بقصيدته: معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب في ذكر نسب رسول الله ﷺ ومعجزاته ومناقب الصحابة، وبيان نسبتها للإمام ابن أبي الخصال الغافقي، وذكر من أورد اسمها كاملا ومن اختصره، وقد أكدت على صحة نسبة القصيدة إلى صاحبها لشهرتها وكثرة رواتها عنه، ثم انتقلت للحديث عن موضوعها، فاخترت بعض المقاطع منها، تبين جمال أسلوبها وحسن سبكها وبديع بلاغتها، مع الإشارة إلى ما تعبر عنه من حب المغاربة للرسول ﷺ وشوقهم إلى زيارته، ثم بينت مكانة القصيدة عند العلماء، وكيف اعتنوا بها عناية عظيمة، وما حلوها به من جميل المدح وعظيم الثناء، كما أظهرت من اعتنى بها من العلماء، وما وضع عليها من شرح أو تخميس، ثم ذكرت رواة القصيدة من أعيان عصر صاحبها ابن أبي الخصال الغافقي، ومن جاء بعدهم من العلماء والأدباء.

المطلب الأول: الإمام أبو عبد الله بن أبي الخصال الغافقي

أولا: اسمه ومولده ونشأته

اتفقت كتب التراجم والطبقات على الاحتفاء بالإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال الغافقي، كاشفة خصاله الحميدة ومناقبه الشريفة، وإمامته في العلوم منقولها ومعقولها، وريادته في التاريخ والسير، ورياسته في الآداب، وسيادته لأهل زمانه في مهمة الترسل- نظما ونثرا- وتقدمه وظيفة الكتَّاب لسلاطين زمانه وأمراء عصره، شرفا وقدرا.

فهو الإمام القدوة المحدث الحجة الأديب اللغوي البارع، أبو عبد الله محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن خُلصة[1] الغافقي[2]، ولد في

---

(1) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط - 1- 1410هـ /1989م، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص: 152، الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: يوسف علي طويل، ط -2- 1435هـ / 2014م، دار الكتب العلميةن بيروت، ص: 269/2.

(2) قال أبو عبد الله بن أبي الخصال في جوابه للإمام أبي بكر بن العربي المعافري: «وأعلمه غير شك، أني من غافق بن الشاهد بن عك»، ينظر رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، ص: 187. قال أبو علي بن حزم: «ومنهم غافق بن الشاهد بن علقمة بن عك، ودارهم بالأندلس معروفة باسمهم في الجوف في شمال قرطبة»، ينظر: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تحقيق، عبد السلام هارون، ط - 5 - دار المعارف مصر، ص: 328. قال المقري: «قال ابن غالب: من غافق أبو عبد الله بن أبي الخصال الكاتب، وأكثر جهات شقورة ينتسبون إلى غافق»، ينظر: نفح الطيب من عصن أندلس الرطيب، أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، ط - 7 - 1436هـ / 2015م، دار صادر، بيروت، ص: 294/1.

قرية فرغليط من قرى بِشَقورة[1]، من كورة جيان[2]، سنة خمس[3]، وقيل سنة ثلاث وستين وأربعمائة[4]، بها نشأ وترعرع وأخذ العلم عن أعلامها، فبرع في مختلف الفنون الذائعة الصيت في وقته، «فكان من أهل المعارف الجمة، والإتقان لصناعة الحديث، والمعرفة برجاله، والتقييد لغريبه، وإتقان ضبطه، والمعرفة بالعربية والأدب، والنسب والتاريخ، متقدما في ذلك كله»[5]، وكان ممن كشف نباهته وأدرك عظيم مآله وجلالة حاله، الإمام أبي الحسن بن مالك اليعمري القاضي(ت509هـ)[6]، إذ عليه نشأ وبه بدأ، وأخذ عنه العلم، ويروى أنه «خرج معه يوما، وهو فتى السن إلى

(1) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، ص: 152.

(2) مدينة جيان من بلاد غرب الأندلس، وهي بشرق قرطبة، بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا، وتسمى بالإسبانية خاين (jaén) ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط 1397هـ / 1993م، دار صادر، بيروت، ص: 195/2. تاريخ الأندلس، مؤلف مجهول، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط -1- 2007م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 91.

(3) المصدر نفسه، ص: 269/2.

(4) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، ص: 154.

(5) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، ص: 269/2. مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، تحقيق، مهدي النجم، ط - 1 - 2010م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 60/13.

(6) علي بن أحمد بن سعد الله اليعمري، يكنى أبا الحسن، ولد سنة 431هـ، كان كاتبا محسنا وشاعرا مجيدا، مشارك في عدة علوم، ولي القضاء ببلده، روى عنه أبو عبد الله بن أبي الخصال أول نشئه، وانتفع بصحبته وملازمته عند ارتحاله من شَقُورة بلده طالبا للعلم، توفي سنة 509هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ص: 330/3-331. الذيل والتكملة، أبو عبد الله محمد المراكشي، ص: 150/3.

حديقة له معروشة، فقطف لهم من أعلاها عنقود عنب أسود بعصَى، أهْبط فيها على ترفق، فقال القاضي محركا له، ومختبرا بديهته:

أنـظر إلـيـه فـي العـصا

أجز يا محمد، فقال مجيبا لفوره:

كـرَأْسِ زِنْـجـي عـصَى

فلُحظه بعدها بعين أخرى، وحكـم لـه بمـا نـال مـن مزيـة كبـرى»[1]، ولما اشتد عوده، ارتحل في طلب العلم والأخذ عـن علمـاء عصـره، وكـان شديد الكلف بالتحصيل قوي الشغف بامتلاك ناصية العلوم، والتشوف إلـى أعلى مراتب الفنون، وحيازة شرف السبق إليهـا، مـع علـو السـند وحصـول الإمامة، ويقول عن نفسه، مبينا علو همته وانقطاعه للطلب والتحصيل: «وما خلصت إلى هذه المرتبـة، ولا فـزت بتلـك المـأثرة الجليلـة والمنقبـة، بعـد فضل الله الذي «يؤتيه من يشاء»، وينيلـه فتنـال بـه العليـاء، حتـى اكتحلـت أوار الأرق واستشعرت صدار الفرق، واستأنسـت بالوحشـة، وسـكنت إلـى العزلة والوحدة، طلبا للإتقان والتجويد، ورميا إلى الغـرض البعيـد، أرتـاح للشفوف والفرق، وأنتجع العلـم انتجـاع البـرق، وأنظـم بـين طرفـي الغـرب والشرق، فقل إمام مذكور إلا وقد شُّد إليه لي كـور، وتهـاداني نحـوه رواح وبكور، إلى أن نسقهم سلك إسنادي، ووريت بلقـائهم زنـادي»[2]، «فـإني فـي العلـم والشـكر لله نهـم السـريرة، جـذع البصـيرة»[3]، وقـد كـان لهـذا

(1) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، ص: 125.

(2) رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، ص: 199-200.

(3) المصدر نفسه، ص: 200.

الانقطاع في الطلب والرغبة عن كل ما لذ وطاب من أحوال الدعة، بغية تحقيق المقصد الأسنى والشرف الأحمى، أن مُكن من تطويع أساليب البلاغة والبيان، «فإليه انتهت، وعليه قصرت، وبموته فقدت»[1]، وحاز من كل فن ما يشهد بعلو كعبه وتصدره فيه بين أعيان الزمان، فأغدق عليه بذلك من شرف الرياسة وعظيم المكانة في نفوس الخواص والعوام، وذاع صيته وانتشر، وبرئاسة الكتّاب[2] قوي قدره وعظم شرفه في عصره واستقر، «وحق له ذلك، إذ هو آخر الكتّاب، وأحد من انتهى إليه علم الآداب، وله مع ذلك في علم القرآن والحديث والأثر وما يتعلق بهذه العلوم الباع الأرحب واليد الطولى»[3].

وقد خلع عليه محاسن المناقب وجميل الصفات، وحظي بالثناء العظيم من قبل الأعلام النبلاء، قال أبو عمرو ابن الإمام الإسْتِجي[4](ت560هـ) في سمط الجمان، لما ذكره: «البحر الذي لا

---

(1) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، ص: 125.

(2) رايات المبرزين، علي بن سعيد الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط – 1 – 1987م، طلاس للدراسات والترجمة، دمشق، ص: 188

(3) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق: خليل عمران المنصور، ط – 2 – 1426هـ / 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 123.

(4) عثمان بن علي بن عثمان شِلْبِيٌّ أو إِسْتِجِيٌّ، يكنى أبا عمرو ابن الإمام، كان من جلة الأدباء وعلية الكتاب والشعراء، بليغ القلم واللسان، معروفا بالإجادة والإحسان، روى ببلده عن أبي بكر محمد بن إبراهيم العامري، وبقرطبة عن أبوي بكر: ابن العربي وابن المُرْخِي، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، من مصنفاته: (سِمْطُ الجُمان وسَقْطَ الأذهان)، دل به على حسن إنشائه وجودة انتقائه، توفي سنة 560هـ. =

يُماتح ولا يُشاطر، والغيث الذي لا يُساجل ولا يُقاطر، والروض الذي لا يُفاوح ولا يُعاطر، والطَّود الذي لا يزاحم ولا يخاطر، الذي جمع أشتات المحاسن، على ماء غير ملح ولا آسن، وكثُر فواضله، فأمنتِ المماثل والمُحاسن، الذي قصرت البلاغة على محتده، وألقيت أزمة الفصاحة في يده، وتشرّفت الخطابة والكتابة باعتزائهما إليه، فنثل كنانتها، وأرسل كمائنها، وأوضح أسرارها ودفائنها، فحسب الماهر النحرير، والجهبذ العلامة البصير إذا أبدع في كلامه، وأينع في روض الإجادة نثاره ونظامه، وطالت قنى الخُطيّة الذبل أقلامه، أن يستنير بأنواره، ويقتضي بعض مناهجه وآثاره، وينثر على أثوابه مسك غُباره، وليعلم كيف يتفاضل الخبر والإنشاء، ويتلو إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء»[1]، «وكان كاتبا بليغا، عالما بالأخبار ومعاني الحديث والآثار، والسير، والأشعار، .. حسن العشرة واسع المبرة، من أهل الخصال الباهرة والأذهان الثاقبة، مليح المنظر والمخبر، فصيح اللسان حسن البيان حلو الكلام، أجدَرَ رجال الكمال في وقته»[2]، قال ابن بسام[3] (ت542هـ) في ذخيرته: «أحد أعيان

= ينظر: الذيل والتكملة، أبو عبد الله محمد المراكشي، ص: 112/3. التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ص: 316/3.

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ص: 269/2.

(2) الصلة، أبو القاسم ابن بشكوال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط - 1 - 2010م، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص: 225/2-226.

(3) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، من أرباب الفصاحة والبيان، والقوة في القلم واللسان، ومقدم بين أهل الأدب والبلاغة، جميعت له مجامع البديع والمعاني، ومن أهل كتابه الدالة على براعته وجودة ذهنه وقوة عقله، (الذخيرة في محاسن أهل =

كتاب الزمان، وحامل جملة الإحسان، بحر معرفة لا تعبره السفن، ولو جرت بشهوتها الرياح، ، وطود علم لا ترقى، إليه الفِطَن، ولو سما بها الإمساء والإصباح، وأدب لا تعبر عنه الألسن، ولو أمدتها الأوتار الفصاح، إلى طول باع ورقة طباع»[1]، ولم يرض العلماء ما صدّر به أبو نصر خاقان ترجمته في الفتح من سمج الكلام في حق الإمام أبي عبد الله بن أبي الخصال، ووصفه «بخمول المنشأ ونازله، لم ينزله المجد منازله، ولا فرع للعلاء هضابا، ولا ارتشف للسنا رضابا، فقد تميز بنفسه، وتحيز من أبناء جنسه، وظهر بذاته، وفخر بأدواته» [2]، قال أبو عمرو بن الإمام الإستيجي(ت560هـ): «وعضه العقور أبو نصر في قلائده»[3]، ثم ذكر كلامه السالف الذكر، وكلام الفتح خاقان وإن كان فيه نوع غمز إلا أن ما كساه به من حلل المدح والثناء قد يشفع له، ويحمل وجهه على غير ما يكشفه ظاهر اللفظ، قال أبو نصر الفتح خاقان: «حامل لواء النباهة، الباهر بالرواية والبداهة، مع صون ووقار، وشيم كصفو العُقار، ومقولٍ أمضى من ذي الفقار، وله أدب بحر يزخر، ومذهب يُباهي به ويفخَرُ»[4].

= الجزيرة) الذي أتى فيه بكل لفظ بديع حسن، توفي سنة 542هـ. ينظر: معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص: 1667/4. المغرب في حلى المغرب، ابن سعيد، ص: 417/1.

(1) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي بن بسام الإشبيلي، تحقيق: إحسان عباس، ط – 1 – 200م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ص: 592/3.

(2) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبو نصر الفتح خاقان الإشبيلي، تحقيق: حسن يوسف خريوش، ط – 1 – 1409هـ / 1989م، مكتبة المنار، الأردن، ص: 518.

(3) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ص: 269/2.

(4) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبو نصر الفتح خاقان، ص: 518.

نال الإمام أبو عبد الله بن أبي الخصال حظوة عظيمة ومنزلة منيفة ومقاما رفيعا عند سلطان الدولة المرابطية أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين[1]، وقد كان سفيرهم بالحضرة الأندلسية ولسانهم الناطق بأوامرهم الذاب عن حياضهم، المكثر من تعداد مناقبهم وخصالهم، المجتهد في إظهار ألوية الطاعة، ومراسم الاتباع والخضوع، «فكان من أنبههم عنده وأكبرهم مكانة لديه»[2]، وقد تزعم فيهم رياسة الكتّاب، والرد على كل مكذب مرتاب، يؤلب العامة ويدعوا إلى خلع عصا الطاعة، فَعظُم جاهه عندهم وتقلد في مناصب الرفعة كل منصب، اختص به دون غيره من أهل الشرف والأرومة، ولم يكن هذا الغنم بلا غرم، فقد نكبت به الأيام وخفت نجمه قليلا بسبب تغير أحوال السياسة وفساد دروب الكياسة، وقد عبر عن ذلك ابن الأبار (ت658هـ)[3] بقوله: «ومع كماله، فلم يحظ من أمراء عصره بآماله، وهي عادة الأيام العادية في أمثاله، توارى مما بهر، وخفي

(1) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ص: 125.

(2) المصدر نفسه، ص: 125.

(3) محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي ابن الأبار، يكنى أبا عبد الله، ولد ببلنسية سنة 595هـ، كان آخر رجال الأندلس براعة وإتقانا، وتوسعا في المعارف وافتنانا، محدثا مكثرا، ضابطا عدلا ثقة، ناقدا يقظا، مستبحرا في علوم اللسان: نحوا ولغة وأدبا، كاتبا بليغا، شاعرا مُفْلِقًا مُجيدا، صاحب تصانيف مشهورة، منها: (التكملة لكتاب الصلة) و(الإيماء إلى المنجبين من العلماء) و(معجم أصحاب أبي علي الغساني) و(الحلة السيراء في شُعراء الأمراء) و(تحفة القادم) وغيرها، توفي سنة 658هـ. ينظر: الذيل والتكملة، أبو عبد الله محمد المراكشي، ص: 4/276-300. نفح الطيب، أحمد بن المقري، ص: 2/589.

أضعاف ما ظهر»[1]، خاصة بعد اتباعه للأمير محمد بن الحاج وهو وال على قرطبة، وثورته التي نكب عنها، «وكان حينئذ أوثق حاشيته وأسببه، وألصق وزرائه به وكتابه»[2]، ورغم هذا المصاب الجلل، فسرعان ما انقشعت ظلمة هذه الغمامة، بما كساها أمير المسلمين من أنور حلمه وجميل عفوه، ولابن أبي الخصال رسائل كثيرة، تدل على استمرار حظوته ورفعة مكانته في الدولة المرابطية بعدما عمه المصاب الخطل في تلك الرزية، وقد اشتملت على الكثير من معاني تقديم الولاء والطاعة، وقبول الشفاعة فيما كان يستشفع فيه.

ولم تكن صلاته مقتصرة على الأمراء، دون أعيان الدولة من كبار رجالاتها في العلم والأدب، بل كانت له صلات قوية ومخاطبات لهم شريفة مرضية، كتعزيته للإمام أبي الوليد ابن رشد الجد في وفاة أحد أولاده، يقول له فيها: «أطال الله بقاء الفقيه الأجل، الإمام علم الإسلام، وصِنو الغمام، ومستوفي شروط الكمال والتمام، وبقية الخيرة الكرام، للصالحات يصلها، والمشكلات يفصلها، ولا زالت المطايا تشتكيه، والأئمة تستهديه، والدّين يعده وينتضيه، والأمة تسلم لما يقضيه... أما إنه وعد جامع صادق، وإنه الآخر بالأول لاحق، وبلغني مصابه بفلذة من كبده قدت، ولبنة من بنائه هدت، وأن أبواب الأنس به سدت، والصفائح عليه مدت، فقلت: له غاية حدث، وعارية إلى المعير ردت، ورباني الوقت

(1) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، ص: 153.

(2) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، ص: 153.

وهادي السمت، وقيم الأود والأمت، فكيف نكلمه؟ وماذا يقول للعالم من يُعلّمه؟ أجل ! نقول بعض ما قال، وننيله مما أنال، فهنيئا لفرطه الصالح وذخره الزكي الراجح، ما اختار الله له من كرامة جواره، واختصه به من إيثاره»[1].

وله محاورة جامعة مع الإمام أبي بكر بن العربي المعافري (ت543هـ)، يعرفه فيها بأصل نسبه، وشرف أرومته، وقد حلاها بأجمل ألفاظ البلاغة، وقطوف المعاني والبيان، يقول في مفتتحها: «الفقيه الأجل، الإمام بمناقبه الثواقب، وكرمه المتعاقب، وسؤدده المتناسق المتصاقب، لا يُخْفَرُ لديه الذمام، ولا تبلي جدة وده الأيام، يلم الإخوان على شعث، وينبعث إلى صلتهم كل منبعث، ويغفر عوراء الصديق، ويأذن لعذره أذن الصديق، ولا يلزم الضعيف ذنب المطيق»[2].

وقد سار على هذا المنهج في ترسله مع باقي خلانه وشيوخه وأعيان علماء عصره، بعظيم العناية وجميل الرعاية لهم، وحسن التفقد لأحوالهم، ومواساتهم على نوائب الدهر، فأتى بسحر البيان، وشَهدِ البلاغة، وجمال العبارات الرائقة، بما صار مضرب الأمثال، وسَهِر القاصي والداني على حفظها وترديدها وتناقلها بين مختلف الأعمار، الصغار والكبار، ممن لهم ولع وشغف بعلوم اللغة وفنون الأدب.

(1) رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، ص: 93-94.
(2) رسائل ابن أبي الخصال، ص: 183-184.

وللإمام ابن أبي الخصال الغافقي أخوان شقيقان، كان لهما من المجد والرياسة، مع ظهور للعيان، بلغ مبلغ الإذعان، فأحدهما اشتهر بالكتابة والتقدم فيها، هو عبد الملك بن مسعود بن أبي الخصال[1]، يكنى بأبي مروان، وكان له من سخط الدولة المرابطية أكبر نصيب، حيث تحول عنها، وألّب العامة عليها، ويذكر لنا ذلك عبد الواحد المراكشي (ت647هـ)، بقوله: «فلم يزل أبو عبد الله هذا وأخوه كاتبين لأمير المسلمين، إلى أن أخر أمير المسلمين أبا مروان عن الكتابة لموجِدة كانت منه عليه، سببها أنه أمره وأخاه أبا عبد الله أن يكتبا عنه إلى جند بلنسية حين تخاذلوا وتواكلوا حتى هزمهم ابن رذمير – لعنه الله – هزيمة قبيحة، وقتل منهم مقتلة عظيمة، فكتب أبو عبد الله رسالته المشهورة في ذلك، وهي رسالة كاد أهل الأندلس قاطبة أن يحفظوها أحسن فيها ما شاء، .. وكتب أبو مروان رسالة في ذلك الغرض، أفحش فيها على المرابطين، وأغلظ لهم في القول أكثر من الحاجة»[2]، فكان هذا ما أوقع بينه وبين أمير المسلمين، فسقطت منزلته، وقلت حظوته.

وأما الثاني: فهو أحمد بن مسعود بن أبي الخصال، اشتهر بالفقه وتولى خطة الأحكام ذكره ابن الأبار في التكملة لكتاب الصلة[3].

---

(1) الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، أبو عبد الله محمد المراكشي، تحقيق: إحسان عباس – محمد بنشريفة – بشار عواد معروف، ط 2012، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص: 36/3.

(2) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ص: 125.

(3) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ص: 112/1.

ولابن أبي الخصال ولد نابه يسمى بعبد الملك[1]، كان شديد الصيانة مشهورا بالديانة، عرف بالعلم والتبحر في الفنون، روى عن أبيه وعمه، وحج ثم عاد إلى الأندلس، قتل ولم يشتهر سبب قتله، وقد رثاه والده بقصيدة مطلعها.

جزعت وقد كان التجلد بي أحرى ... ولكن زند الوجد في كبدي أحرى
وما فاض هذا الدمع إلا لزفرة ... أحس لها في كل جارحة مسرى
رزئت بمن لا أملك العين بعده ... ففي كل ما حين لها عبرة تترى
وإني لأنسته ذهولا وحيرة ... وما ذلك النسيان إلا من الذكرى

ثانيا: شيوخه:

عرف الإمام محمد بن أبي الخصال الغافقي بعلو الهمة في الطلب وتحصيل العلوم، والأخذ من أفواه الشيوخ، والسعي إلى كل من عرف بقوة الصناعة وأشير إليه بالبراعة، ليتحقق له بذلك ما تصبو له نفسه، من المجد والسؤدد والإمامة في العلوم التي ذاع صيتها في زمنه، وانتشر ذكرها وتنافس الطلاب على رياضها، وقد ذكرنا سابقا، ما يبين هذه الخصلة، ويؤكد صحتها، قال: «فإني في العلم والشكر لله نهم السريرة، جذع البصيرة»[2]،

(1) روى عن أبيه وعمه أبي مروان، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، كان دينا فاضلا من نجباء الأبناء، رحل وحج ثم عاد إلى الأندلس، قتل في حدود سنة 530هـ، وقد رثاه والده بقصيدة طويلة فريدة. ينظر: الذيل والتكملة، أبو عبد الله محمد المراكشي، ص: 30/3.

(2) التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ص: 200/1.

ولهذا لا غرو أن نجد تعدد شيوخه واختلاف معارفهم وشهرتهم بما يحملونه من علوم، ونذكر منهم ما يلي[1]:

- الإمام أبو الحسن علي بن أحمد بن سعد الله بن مالك اليعمري (ت509هـ).
- الإمام أبو محمد بن عتاب (ت520هـ)[2].
- الإمام أبو بحر سفيان بن العاصي الأسدي (ت520هـ)[3].
- الإمام أبو بكر بن أبي الدوس (ت511هـ)[4].

---

(1) المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ابن الأبار، ص: 125. الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ص: 270/2.

(2) عبد الرحمن بن محمد بن عتاب، يكنى أبا محمد، ولد سنة 433هـ، مسند الأندلس، المحدث الصدوق، قال ابن بشكوال: (آخر الشيوخ الجِلة الأكابر بالأندلس في علو الإسناد وسعة الرواية)، وكان متفننا في علوم الشريعة متقنا لها، ومتصدرا لتعليمها ونشرها، وكان صابرا على القعود للناس، مواظبا على الإسماع، وسمع منه الآباء والأبناء، والكبار والصغار، وانتفع منه خلق كثير، توفي سنة 520هـ. ينظر: الصلة، أبو القاسم ابن بشكوال، ص: 443/1-445. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 514/19-516.

(3) سفيان بن العاصي الأسدي، يكنى أبا بحر، سكن قرطبة وأصله من مُرْباطِرٍ من شرق الأندلس، ولدة سنة 440هـ، كان من جلة العلماء وكبار الأدباء، ضابطا لكُتُبه، صدوقا في روايته، حسن الخط جيد التقييد، من أهل الرواية والدراية، توفي سنة 520هـ. ينظر: الصلة، ابو القاسم ابن بشكوال، ص: 312/1-313. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 515/19.

(4) محمد بن أغلب بن أبي الدوس، من أهل مرسية، يكنى أبا بكر، كان عالما بالعربية والآداب، من أحسن الناس خطا، وأصحهم ضبطا ونقلا، سكن فاس ثم أغمات، =

- الإمام أبو بكر غالب بن عطية (ت518هـ)[1].
- الإمام أبو علي حسين بن محمد بن فِيرُّة الصدفي(ت514هـ)[2].
- الإمام أبو علي الحسين بن محمد الغساني(ت498هـ)[3].

= وصف في شرح (الأمثال) لأبي عبيد، توفي سنة 511هـ. ينظر: مطمح الأنفس، أبو نصر ابن خاقان، ص: 300، تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 178/11.

(1) غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، يكنى أبا بكر، كان حافظا للحديث وطرقه وعلله، عارفا بأسماء رجاله ونقلته، منسوبا إلى فهمه، ذاكرا لمتونه ومعانيه، وكان أيضا أديبا، وشاعرا، ولغويا، دينا، فاضلا، توفي سنة 518هـ. ينظر: الصلة، أبو القاسم ابن بشكوال، ص: 78/2. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 586/19. الغنية، عياض بن موسى اليحصبي، ص: 189.

(2) حسين بن محمد بن فيرة الصدفي، يكنى أبا علي، قبلة طلاب العلم في زمانه، رحل الناس من البلدان إليه، وكثر سماعهم عليه، وكان عالما بالحديث وطرقه، عارفا بعلله وأسماء رجاله، حسن الخط، جيد الضبط، وكان فاضلا، دينا، متواضعا، حليما، وقورا، عاملا، عالما، استشهد في وقعة قُتَنْدَة بثغر الأندلس، سنة 514هـ. ينظر: الصلة، ابو القاسم ابن بشكوال، ص: 205/1-207. الغنية، عياض بن موسى اليحصبي، ص: 129. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 218/11.

(3) الحسين بن محمد بن أحمد الغساني، يكنى أبا علي، ولد سنة 427هـ، وصفه ابن بشكوال في الصلة برئيس المحدثين بقرطبة، كان من جهابذة المحدثين، وكبار العلماء المسندين، عني بالحديث وكَتْبِهِ وروايته، وضبطه، وكان له بصر باللغة والإعراب، ومعرفة غريب الشعر والأنساب، وجمع من ذلك كله ما لم يجمعه أحد في وقته، وسمع منه أعلام قرطبة وكبارها وفقهاؤها وجِلتها، توفي سنة 489هـ. ينظر: الصلة، أبو القاسم ابن بشكوال، ص: 203/1-205. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 351/10. الغنية، عياض بن موسى اليحصبي، ص: 138. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 148/19.

ثالثا تلاميذه:

لقد كان لشهرة الإمام محمد بن أبي الخصال الغافقي، وذيوع صيته، بما اختص به من معارف وعلوم، وآداب كان رأسها والمقدم فيها بين جميع أدباء عصره، سببا في تسابق الطلاب إليه، وتنافسهم على طلب العلم على يديه، فصار قبلة للأهل العلم، وأخذ عنه الكثير من العلماء والشيوخ، قال ابن دحية(ت633هـ): «حدثني عنه خمسون شيخا»[1]، أذكر منهم[2]:

- الإمام أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حبيش(ت584هـ)[3].
- الإمام أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن مضاء (ت592هـ)[4].

---

(1) المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، تحقيق: إبراهيم الأبياري – حامد عبد المجيد، دار العلم للجميع، بيروت، ص: 187.

(2) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ص: 270/2. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ابن الأبار، ص: 152. بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط – 1 – 1410هـ / 1989م، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص: 170–171.

(3) أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن حُبَيش الأنصاري المَرِيِّيُّ، نزيل مرسية، وحُبَيش خاله، فنسب إليه، واشتهر به، ولد سنة 504هـ بالمَرِية، كان أحد أئمة الحديث بالأندلس، والمُسَلَّم له في حفظ أغربة الحديث ولغات العرب وأيامها، وله حفظ من البلاغة والبيان، وكانت الرحلة في وقته إليه، توفي سنة 584هـ. ينظر: تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 781/12–783. سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 118/21. التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ص: 167/3–169.

(4) أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء، قاضي الجماعة بمراكش، يكنى أبا =

- الإمام أبو القاسم خلف بن عبد الملك ابن بشكوال (ت578هـ)[1].

- الإمام أبو جعفر أحمد بن أحمد المعروف بابن القصير (ت576هـ)[2].

= جعفر، ولد سنة 513هـ، كان بارعا في العربية، حافظا للغات، بصيرا بالنحو، مجتهدا في أحكام العربية، متفردا فيها بآراء ومذاهب شذ بها عن مألوف أهلها، وكان حسن اللقاء، جميل العشرة، عفيف اللسان، صادق اللهجة، نزيه الهمة، أحد من ختمت به المائة السادسة من أفراد العلماء وأكابرهم، توفي سنة 592هـ. ينظر: الديباج المذهب، إبراهيم ابن فرحون، ص: 192/1-193. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 971/12.

(1) خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال، يكنى أبا القاسم، حافظ الأندلس في عصره، ومؤرخها ومسندها، ولد سنة 494هـ كان متسع الرواية، شديد العناية بها، عارفا بوجوهها، حجة، مقدما على أهل وقته، رحل إليه الناس وأخذوا عنه، كتب بخطه علما كثيرا، وأسند عن شيوخه نيفا وأربعمائة كتاب، ما بين كبير وصغير، له تصانيف كثيرة، منها: (الصلة) في تاريخ علماء الأندلس، و(الغواص والمبهمات)، و(معرفة العلماء الأفاضل)، و(غوامض الأسماء المبهمة)، و(القربة إلى الله بالصلاة على نبيه)، وغيرها، توفي سنة 578هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، ص: 459/1-462. الديباج المذهب، إبراهيم ابن فرحون، ص: 310/1-311. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 612/12- 613.

(2) عبد الرحمن بن أحمد بن محمد يعرف بابن القصير، يكنى أبا جعفر، كان كثير العناية بالرواية، له حظ وافر من الفقه والأدب، فقيه مشاور، رفيع القدر، ولي القضاء، وأخذ عن أبي الوليد بن رشد، وأبي محمد عبد الحق بن عطية، وأبي بكر بن العربي، وأبي عبد الله بن أبي الخصال، له تآليف وخطب ورسائل ومقامات، توفي سنة 576هـ. ينظر: الديباج المذهب، إبراهيم ابن فرحون، ص: 416/1. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 586/12.

رابعا: مؤلفاته:

اشتهرت مؤلفات الإمام محمد بن أبي الخصال الغافقي، وحظيت بالقبول بين العلماء، ونالت من الثناء والمدح ما يستوجب لها محمود المقام ودوام النفع والرفعة، قال ابن دحية(ت633هـ)[1]: «ولابن أبي الخصال تصانيف كثيرة، مستحسنة أثيرة»[2]، وقال أبو جعفر أحمد الغرناطي(ت708هـ): «له تآليف حسان، ظهر فيها نبله، واستبان بها فهمه»[3]، ومن مؤلفاته[4]:

- «**طَلُّ الغَمامة وطوق الحمامة، في مناقب من خصه رسول الله ﷺ من صحابته بالكرامة، وأحلهم بشهادته الصادقة دار المقامة**»[5].

---

(1) عمر بن الحسن بن علي بن دحية الكلبي، يكنى أبا الخطاب ويعرف بابن الجُمَيّل، كان بصيرا بالحديث معتنا بتقييده، مكبا على سماعه، حسن الخط معروفا بالضبط، له حظ وافر في اللغة ومشاركة في العربية وسواها، توفي سنة633هـ. ينظر: التكملة لكتاب الصة، ابن الأبار، ص: 211/3-213. تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 113/14-116.

(2) المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، ص: 188.

(3) صلة الصلة، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، ط - 1 - 1429هـ / 2008م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ص: 225/1.

(4) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ص: 270/2. المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ابن الأبار، ص: 153. المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، ص: 188.

(5) فهرس ابن خير الإشبيلي، تحقيق: بشار عواد معروف - محمود بشار عواد، ط - 1 - 2009م، دار الغرب الإسلامي، تونس، ص: 473.

- «**معراج المناقب، ومنهاج الحسب الثاقب في نسب رسول الله ﷺ، ومعجزاته ومناقب الصحابة**»، وهو قصيدة اشملت على بديع النظم وبلاغة الكلم، وجمال أساليب المدح والثناء والوصف والجلال، وهي موضوع دراستنا.

- رسالة ابن أبي الخصال في الرد على ابن غَرْسية، سماها «**لمحة البارق**»[1]، ويسمى أيضا، «**بخطف البارق وقذف المارق في الرد على ابن غرسية في تفضيل العجم على العرب**»، ذكره حاجي خليفة (ت1068هـ) في كشف الظنون[2].

- «**ديوان الرسائل**».[3]

- «**سراج الأدب**».[4]

خامسا: ترسله وشعره:

لقد كان لرسائل الإمام محمد بن أبي الخصال الغافقي، أثر كبير في الحياة الأدبية الأندلسية، مما جعل الناس بمختلف طبقاتهم يتسارعون لجمعها وحفظها، وتداولها في مراسلاتهم ومخاطباتهم، وقد قيل أنها بلغت خمس مجلدات[5]، ومن نماذج ترسله الذي يظهر لنا مكانته الأدبية

(1) المصدر نفسه، ص: 514.

(2) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، حاجي خليفة، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ص: 80/7.

(3) المصدر نفسه، ص: 516. وقد ذكر مجموعة من الرسائل.

(4) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنوان، حاجي خليفة، ص: 80/7.

(5) ذكر ذلك ابن دحية في المطرب، وقد طبعت رسائله في مجلد واحد عن دار الفكر بدمشق، سنة 1988، بتحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية.

وجلالته في علوم اللغة العربية، ما سنذكره لاحقا، ولا يقل شعره عن هذه المنزلة، فقد جاء ببديع المنظوم وقوي المعارضة، ما بز به أقرانه وأعجز شعراء عصره عن مجاراته، وله معارضة لبعض مقامات الحريري، ومعارضتة لملقى السبيل لأبي العلاء المعري[1]، وهنا نذكر بعض ترسله وأشعاره، لنجعل الوصف مطابق الحقيقة، وهذا بعض ما أردنا:

نماذج من الترسل:

قال ابن أبي الخصال الغافقي: «قصدت أطال الله بقاءك، ومكن علاءك – منزلك الرحب – لا زال مقصودا، وزاحمت فيه بعد وفود التهنئة وفودا، فألفيتك قد أمعنت في السُّرى، وخللت بوادي الكرى، ونمت – لا نغصت –نوم من أذكى عينا، وولد للأعادي رغما وحينا، فآثرتك بلذيذ كطعم الصَّرْخَذي[2]، وانثنيت بغلتي عن ذلك النَّدِيّ، وتركت راحتك في سردِها، وعينك – لا أرقت !– مستمتعة ببردها، متلفعة بالسِّنة وبُردها، وتخطيت محلك إلى ما وراءه، وعقدت شوقي إزاءه، لترجعني عليك الرواجع، وتصح للإدراك الواجبة المراجع، فبعد تعلل هناك يسير، ومقام كلا وقصير، عدت فإذا لحاف النوم سابغ، وطعمه سائغ، ولما اعتاص لقاؤك، أفضيت إلى هذه الرقعة بسري، وأودعتها في صدري، وحملتها أمر فلان، معظّمك – أعزه الله– في تلك الكتب المأمور له بها، لتنفذ على ما يقتضيه جميل رأيك فيه من البر والتنويه، وإن له من الرئيس الأجل

(1) رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، ص: 370.

(2) نوع من الشراب منسوب إلى صرخد.

– أيده الله – محلا نبيها، ومكانا وجيها، فإنك ترتهن بذلك شُكري وشكره، وتخلد في الرقعة ببلاغتك الرفيعة ذكره، إن شاء الله»[1].

وقال أيضا: «يا سادتي وأوليائي وأحبتي وأصفيائي، أعزكم الله وأبقاكم، وحرسكم وتولاكم، الصَّيْفَةُ – أكرمكم الله – موسم التقاط، ومعلم استظهار على القوت واحتياط، وإذا كانت الذَّرةُ على دقة جسمها، وقلة جرمها، تُقبل وتُدبر، وتقتني وتدخر، وتتعرض لحطم الظلف والحافر والخف، فالإنسان في سعة حواياه، وانفساح أركانه وزواياه، وشهوته الملتهبة، ومعدته الملتهمة، أولى بالإعداد، وادخار الزاد.

وفلان قد نظم مآثركم، وسرد مفاخركم، وأجاد أمداحكم، وانتجع سماحكم، وهو يرجع إلى عيال، ويمسي ويصبح على اختيال، وأنتم بكرم انفعالكم، وعادة جمالكم، تنتبهون إلى مواساته، وتسدون من خلاته، إن شاء الله»[2].

قال ابن أبي الخصال الغافقي: «الشكر – أدام الله عزك –ينزر، واللسان يقصر، والعبارة عما أجده من ودك وأعتمده من توفية حقك لا تحضر، ووافاني الكتاب الكريم الذي فات البلغاء لفظا ومعنى، وتضمن الوفاء ظهرا وبطنا، لا جرم، إنه من الدهر في أمان وللحياة وطيبها ضمان، ولسعة القول لو كان لسان قائل مظنة ومكان، ففدت يدي كاتبيه كل يد مقبلة مُفَدَّاة، وكانا من ريب الحوادث بمنجاة، ولا زال الجود إليها يأرز، والسيادة بهما تحتمي وتحتجز.

(1) رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، ص: 59–60.
(2) رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، ص: 60–61.

ورأيت في تأخر المراجعة العذر لائحا، ونشر الصدق صائكا فائحا، ولعمر الله ما ارتبت في ذلك بريب، ولا حدثت نفسي إلا بأجمل ظن وأحسن غيب، وقد كان عندي لولا أنّ حادثة زحمت، وضرورة ألجأت وأفحمت، أن أذمر ولو لم يقع إذن، ولا ظفرت بالاستدعاء أُذن، ثقة واستنامة، وطيب نفس وسلامة، وما قدمته – وصل الله تقديمك – من ذكر في ذلك البساط فقلادة في المناط، وسمة يبقى شرطها إلى الأشراط.

ومثلُك وطاء للصنيعة، ومهدٌ لأوليائه في تلك الذروة المنيعة، وما اختار على ذلك الجوار نفيسا، ولا اعتمد بعده رئيسا ولا مرؤوسا»[1].

قال لسان الدين ابن الخطيب(ت776هـ) بعد أن ذكر إحدى رسائله، مقتبسا قوله ومتمثلا به، فيما ذكر من ترسلاته: «ومحاسنه القطر الذي لا يعد، والأمر الذي يأخذه الحد، وكفى بهذه الرسالة دليلا على جلالة مقداره، وتدفق بحاره وفخاره، لما اشتملت عليه من بلاغة وبيان، وبساط حال أنت على خبره بعيان، وعلوم ذات افتنان، خلد الله عليه الرحمة، وضاعف له المنة والنعمة»[2].

نماذج من شعره[3]:

مَطلْتَ بمَا أهديتهُ فكأنَّني ... وَردتُ سجاياك العِذاب على خِمْسِ
وذكَّرتني بالشعر ما قد نسيتُهُ ... وبعضُ الذي عِندي يُبلِّدُ أو يُنسى

(1) رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، ص: 414-415.
(2) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ص: 271/2.
(3) رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، ص: 66-67-123- 266- 267.

إذا رُمتُ شِعراً رمتُ قِرناً مساوِراً ... فأعجبُ من نفسي وأفرَقُ من طِرْسي
وأرجو نشاطا والزمان مكسل ... فروحي منه والخواطر في حبسي
ولولاك ما زاولت منه كريهة ... قرعت عليها أو نزعت بها ضرسي
وكيف وقد أتحفت منك بروضة ... تنوّر قلبي حين أصبح وأمسي
وعدت بها والأربعون ثنيتي ... وها أنا قد وفيت خمسا إلى خمس
حنانيك من طول المطام وشقه ... فقد شاب من طول انتظاري لهارأسي
وأهد بها كحلا إلى العين حاليا ... فقد صديت عيني وقد صديت نفسي
وراجع هوى القبذاق فالعيش بلغة ... وقد تقطع المومأة بالضامر العنس
ويحمد ساري الليل عاقبة السرى ... سباحا ويمحو اليوم سيئة الأمس

وقال أيضا:

أعددت للدهر وأحداثه ... أخا أراه في العلا فذا
إن شذَّ معنى من تصاريفه ... دفعت ما شذّ بما شذا
لا خلف في ميعاده إن يعد ... رأيت من صدقه أخذا

وقال أيضا:

ألا عج على مثوى الحبيب وسلم ... وخيم فإن الركب غير مخيِّم
وقل للتي هام الفؤاد بحبها ... إلا في سبيل الله نفس المتيم
وما بعث الوجد الدخيل كمنزل ... به من معاني الوجدي كل مترجم
وما أبصرت عيني محلا حللتِه ... ولا معهدا إلا سفكت به دمي
ولم تبق لي تلك المنازل عبرة ... على أن قلبي في المدامع ينهمي
وما جر هذا النوح إلا ترنم ... يُقر له بالفضل كل ترنمِ
وفتانة الألفاظ في نغماتها ... من السكر ما في البابلي المحرم
فيا أيها العلق الذي قد سلبته ... مكانك من قلبي مكانك فاعلم

وشخصك في عيني ونشرك في يدي وصوتك في سمعي وذكراك في فمي
ليهنئك أن سرتك حال تسوؤني سهادي وإطراقي وفرط تألمي
وحسب التي تبكي بأجفان شادن بأني أبكيها بأجفان ضيغم
أقاسي سواد الليل غير مُوَسّدِ وألقى بياض الصبح غير مُهَومِ

من إخوانياته ما خاطب به أبا إسحاق بن خفاجة[1]:

هب النسيم هبوب ذي إشفاق يذهبن الهوى بجناحه الخفاق
وكأنما صبح الغصون بنشوة باحت لها سرايرالعشاق
وإذا تلاعبت الرياح ببانه لعب الغرام بمهجة المشتاق
مه يا نسيم فقد كبرت عن الصبا لم يبق من تلك الصبابة باق
إن كنت ذاك فلست ذاك ولا أنا قد أذنتك مفارقي بفراق
ولقد عهدت سراك من عدد الهوى والموت في نظري وفي استنشاق
أيام لو عن السلو لخاطرى قربته هدياً إلى أشواق
الهوى إلفي والبطالة مركبي والأمن ظلي والشباب رواق
في حيث قسمت المدامة قسمة ضيزى لأن السكر من أخلاق
لا ذنب للصهباء أني غاضب ولذاك قام السكر باستحقاق
ولقد صددت الكأس فانقبضت بها من بعدما انبسطت يمين الساق
وتركت في وسط الندامى خلة هامت بها الوسطى من الأعلاق
فاستسرفوني مذكرين وعندهم أني أدين اللهو دين نفاق
وحبابها نفث الحباب وربما سدكت يد الملسوع منه براق
وكأنه لما توقر من فوقها نور تجسم من ندى الأحداق
لو بارح نفح النوى في روضة فأثارها وسرى عن الأحداق

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ص: 270/2.

ولقد جلوا والله يدرأ كيدهم فتأنة الأوصاف والأعراق
أغوى بها إبليس قدماً أدماً وهي السر يرتمي في هواها الباق
تالله أصرف نحوها وجد الرضا لو شعشعت برضا أبي إسحاق

ومن قوله يمدح أمير المسلمين تاشفين بن علي[1]:

الله أعطاك فتحاً غير مشترك ورد عزمك عن فوت إلى درك
أرسل عنان جواد أنت راكبه واضمم يديك ودعه في يد الملك
حتى يصير إلى الحسني على ثقة يهدي سبيلك هاد غير مؤتعك
قد كان بعدك للأعداء مملكة حتى استدرت عليهم كورة الفلك
سارت بك الجردا وطار القضا بها والحين قد قيد الأعداء في شرك
فما تركت كميا غير منعفر ولا تركت نجيعاً غير منسفك
ناموا وما نام موتور عل حنق أسدى إذا فرصة من السلك
فصبحتهم جنود الله باطشة والصبح من عبرات الفجر في مسك
من كل مبتدر كالنجم منكدر تفيض أنفسهم غيظاً من المسك
فطاعنوكم بأرماح وما طعنت وضاربوكم بأسياف ولم تحك
تعجل النحر فيهم قبل موسمه وقدم الهدى منهم كل ذي نسك
فالطير عاكفة والوحش واقفة فد أثقلتها لحوم القوم عن حرك
عدت على كل عاد منهم أسر بعثه في حنجر رحب وفي حنك
كلي هينئاً مريئاً واشكري ملكاً قرنك أسيافه في كل معترك
فلو تنضدت الهامات إذ نشرت بالقاع للغيطان بالنبك

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، ص: 272/2.

أبـرح وطالـب بـباقي الـدهر ماضـيه فيـوم بـدر أقامـه الفيـئ فـي فـدك
وكـم مضـى لـك مـن يـوم بنـت لـه فـي مـاقط برمـاح الحـظ مشـتبك
بـــالنقع مـــرتكم بـــالموت ملتـــيم بـالبيض مشـتمل بالشـمر محتبـك
فحص القباب إلى فحص الصعاب إلى أريولة مداسات إلى السكك
وكـم علـى حبـر محمـود وجارتـه للـروم مـن مرتكـل غيـر متـرك
وفيت للصغر حتى قيل قد غدروا سـموت تطلـب نصـر الله بالـدرك
فأسـلمتهم إلـى الإسـلام غـدوتهم وأذهب السيف ما بالدن من حنك
يـا أيهـا الملـك السـامي بهمتـه إلى رضي الله لا تعدم رضى الملك
مـا زلـت تسـمعه بشـرى وتطلعـه أخرى كـدر على الأجياد منسلك
بيضـت وجـه أميـر المـؤمنين بهـا والأرض من ظلمة الإلحاد في حلك
فاستشـعر النصـر واهتـزت منـابره بـــذكر أروع للكفـــار محتنـــك
فأخلـــدك ولمـــن والاك طاعتـــه خلـود بـر بتقـوى الله ممتسـك
وافيت والغيث زاخر قد بكا طرباً لما ظفرت وكم بلله من الضحك
وتمـم الله مـا أنشـأت مـن حسـن بكـل منسـبك منـه ومنتمـك
وعن قريب تباهى الأرض من زهير ســماها بهـا غضـة الحبـك
فعد وقد واعتمد وأحمد وسد وأبد وقل وصل واستطل واستول وانتهك
وحسـبك الله فـرداً لا نظيـر لـه تغنيـك نصـرته عـن كـل مشـترك

سادسا: وفاته:

لقد كان لوفاة الإمام أبي عبد الله محمد بن أبي الخصال الغافقي، وقع كبير في نفوس أهل السلطان والعلماء وعامة الناس، وكان فقده خسارة

عظيمة، جاء ذلك في الفتنة الحمدينية التي وقعت بقرطبة، إذ قتل شهيدا، قال ابن الأبار(ت558هـ): «إلى أن حمت منيته بالفتنة الحمدينية، فاستشهد، رحمه الله»[1]، واختُلف في رواية أحداث قتله، فعبد الواحد المراكشي يذكر أنه «استشهد في داره –رحمه الله – أول الفتنة الكائنة على المرابطين»[2]، ويذكر صاحب الخريدة، ناقلا من مصنف في تاريخ الأندلس، قال: «مات في أول وهلة من الفتنة الثانية بالأندلس في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة، لقيه طائفة من عبيد لمتونة المتغلبين على قرطبة وهو يخرج من داره للفرار إلى موضع يتحصن فيه فذبح عند باب ولم يعرفوا قدره ولا علموا مكانه»[3]، وصف أبو نصر الفتح خاقان شناعة الجرم وفظاعة قتله، بقوله، «قتل ذبحا، ورأو له في تشطحه بدمائه سبحا»[4]، ويروي ابن حبيش صورة كاملة عن ملابسات الحادث عن شيخه أبي الحسن علي بن محمد بن حريق، «يذكر أنه كان واقفا على باب داره، فمر به بعض المصامدة، وقد ارتكبوا من الجرم، واستحلوا من المنكر ما حمله على زجرهم، والإغلاظ لهم، ثقة بمكانته، وعملا بمقتضى ديانته، فاجترأ أحدهم عليه، واستدار من خلفه وهو مشغول بما بين يديه، وما لبث عدو الله أن ذبحه فخر لفيه، وفجع الإسلام فيه»[5].

(1) المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ابن الأبار، ص: 154.
(2) المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، ص: 125.
(3) خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني، تحقيق، آذرتاش آذرنوش، (قسم شعراء المغرب والأندلس) ط – 2 – 1986م، الدار التونسية للنشر، ص: 449/17.
(4) المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، ص: 188.
(5) المعجم في أصحاب القاضي الصدفي، ابن الأبار، ص: 154.

أما لسان الدين ابن الخطيب (ت776هـ) فيذكر لنا خبرين في وقعة استشهاده، أحدهما نقل من خط الحافظ المحدث أبي القاسم بن بشكوال(ت578هـ) جاء فيه: «كان ممن أصيب أيام الهرج بقرطبة، فعظم المصاب به، الشيخ الأجل، ذو الوزارتين، السيد الكامل الشهير الأثير، الأديب اللغوي السري الكاتب البليغ، معجزة زمانه وسابق أقرانه، ذو المحاسن الجمة، الجليلة الباهرة، والأدوات الرفيعة الزكية، الطاهرة الكاملة، المجمع على تناهي نباهته، وحمد خصاله وفصاحته؛ من لا يشق غباره، ولا تلحق آثاره، معجزة زمانه في صناعة النثر النظم، أبو عبد الله بن أبي الخصال رحمه الله تعالى ورضي عنه ونضر وجهه. ألفى مقتولا قرب باب داره بالمدينة، وقد سلب ما كان عليه، بعد نهب داره، واستئصال حاله، وذهاب ماله. وذلك يوم السبت الثاني عشر من شهر ذي الحجة من سنة أربعين وخمسماية. فاحتمل إلى الربض الشرقي بحومة الدرب، فغسل هنالك وكفن، ودفن بمقبرة ابن عباس عصر يوم الأحد بعده، ونعى إلى الناس وهم مشغولون بما كانوا بسبيله من الفتنة. فكثر التفجع لفقده، والتأسف على مصاب مثله، وأجمعوا على أنه كان آخر رجال الأندلس علماً وحلما، وفهماً ومعرفة، وذكاء وحكمة ويقظة، وجلالة ونباهة، وتفنناً في العلوم.

أما الخبر الثاني: فيذكر أنه قتل بدرب الفرعوني بقرب رحبه أبان، بداخل مدينة قرطبة، قرب باب عبد الجبار يوم دخلها النصارى مع أميرهم ملك طليطلة، يوم قيام ابن حمدين، واقتتاله مع يحيى بن علي بن غانية المسوفي الملثم المرابطي يوم الأحد لثلاث عشرة مضت من ذي الحجة

عام أربعين وخمسمائة. قتله بربر المصامدة رجالة أهل دولة اللثام لحسن ملبسه، ولم يعرفوه، وقتلوا معه ابن أخته عبد الله بن عبد العزيز بن مسعود، وكان أنكحه ابنته، فقتلا معا. وكان محمد خيرة الشيوخ، وعبد الله خيرة الأحداث»[1].

المطلب الثاني:

التعريف بقصيدة: معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب في ذكر نسب رسول الله ﷺ ومعجزاته ومناقب الصحابة

أولا: عنوان القصيدة ونسبتها إلى الإمام أبي عبد الله بن أبي الخصال الغافقي.

اتفق ورود عنوان القصيدة مختصَرا عند الكثير ممن ذكرها وترجم لصاحبها وبين فضلها ونفاستها، من أهل التراجم وأصحاب البرامج، وممن ذكرها مختصِرا عنوانها، ما يلي:

- الإمام ابن الأبار(ت658هـ) نقلا عن شيخه أبي الحسن بن السراج(ت657هـ)[2]، قال: «قصدوا ذات يوم قبر أبي عبد الله بن أبي

(1) الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب، ص: 2/287-288.

(2) أحمد بن محمد بن أحمد الأنصاري، ابن السراج، الحافظ المتقن، المحدث الثقة المعمر، مسند المغرب، ولد سنة 560هـ، كان حافظا متقنا، وراوية ضابطا، رحل الناس إليه وأخذوا عنه، مع جلال قدر وحسن سمت، توفي سنة 657هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 23/331-332.

الخصال وقد وعدوا أحد تلاميذهم أن يقرأ هنالك عليهم قصيدته البائية التي سماها بمعراج المناقب، ومنهاج الحسب الثاقب»[1].

- الإمام محمد بن أحمد العزفي اللخمي(ت633هـ)[2]، رواية أبيه عن شيخه الإمام أبي القاسم بن حبيش الأنصاري(ت584هـ)، قال: «قال الشيخ الكاتب الأبرع، الأوحد السني، ذو المعارف الجمة والنفس الأبية العالية الهمة، أبو عبد الله بن أبي الخصال الغافقي رحمه الله ونفعه، وسندنا إليه عن أبي رحمه الله عن الشيخ الفقيه الراوية التاريخي أبي القاسم بن حبيش الأنصاري من قصيدته الطويلة التي سماها (معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب) امتح فيها النبي ﷺ»[3] ثم ذكر منها ما يتصل بذكر نسب الرسول ﷺ ومدحه.

- الإمام القاسم بن يوسف التجيبي (ت730هـ)، قال: «قصيدة أبي عبد الله بن أبي الخصال الباوية الموسومة بمعراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب»[4].

---

(1) المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، ص: 153.

(2) أحمد بن محمد بن أحمد اللخمي، الفقيه المحدث المعروف بالعزفي، كان ذا فضل وصلاح وإتقان، أجاز له ابن بشكوال، وله تصانيف حسنة، توفي سنة 633هـ. ينظر: تاريخ الإسلام، محمد بن أحمد الذهبي، ص: 100/14، الوافي بالوفيات، صلاح الدين الصفدي، ص: 228/7.

(3) الدر المنظم في مولد النبي المعظم، محمد بن أحمد العزفي، تحقيق: عبد الله حمادي، ط 2016، دروب للنشر والتوزيع، ص: 162.

(4) برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار الكتاب العربي، ص: 286.

- أما الإمام ابن خير الإشبيلي(ت575هـ)، فقد ذكر اسمها وهو يعدد مروياته من المصنفات التي أخذها عن جلة الشيوخ والأعيان في الأندلس بقوله: «القصيدة المديدة، الموسومة (بمعراج المناقب ومنهاج الحُب الثاقب) على قافية الباء، لابن أبي الخصال، رحمه الله، نظم فيها نسب النبي ﷺ إلى آدم عليه السلام وذكر صحابته، رضي الله عنهم»، إلا أن ما يلاحظ على ما ذكره ابن خير الإشبيلي هو تغير موضع لفظة الحسب بلفظة الحُب، وهي وإن كانت لها دلالتها، باعتبار ما اشتمل عليه النظم من معاني جليلة تعبر عن حب الإمام ابن أبي الخصال للنبي ﷺ، إلا أنني أرى أنه تصحيف لأصل الاسم، وهو من خطأ النساخ، وذلك راجع لشهرة النظم وتعدد رواياته، مما لا يدع مجالا لورود الاحتمال في تغيير اللفظة موضع ما أجمع عليه الرواة.

أما ذكر عنوانها كاملا، فقد اختص به جماعة من العلماء منهم:

- الإمام أبو الربيع سليمان الكلاعي الأندلسي(ت634هـ)، قال: «قصيدة فريدة مفيدة، لأبي عبد الله بن أبي الخصال، خاتمة رؤساء الآداب، والعلماء المبرزين في هذا الباب، سماها (معراج المناقب، ومنهاج الحسب الثاقب، في ذكر نسب رسول الله ﷺ ومعجزاته ومناقب الصحابة)، قرأتها على شيخنا أبي القاسم ابن حبيش، عنه»[1]، ثم أورد عددا لا بأس به من أبياتها، قرابة ثلثها.

(1) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، سليمان الكلاعي، تحقيق: محمد كمال الدين، ط - 1 - 1417هـ / 1997م، عالم الكتب، بيروت، ص: 32/1.

- الإمام ابن جابر الوادي آشي(ت749هـ)، قال وهو يعدد الكتب التي رواها عن الأشياخ: «معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب في نسب رسول الله ﷺ وذكر معجزاته، للكاتب البليغ أبي عبد الله محمد بن مسعود بن طيب بن فرج بن خُلصة أبي الخصال، أحملها عن أربعة من أشياخي، منهم الكاتب أبو الحسن علي بن رزين التجيبي، سمعتها عليه»[1].

- الإمام ابن دحية(ت633هـ)، قال: «القصيدة الموسومة بمعراج المناقب، ومنهاج الحسب الثاقب، في نسب رسول الله ﷺ، وما انتظم به من مناقب صحابته الأبرار»[2]، ونجد أن ما ذكره ابن دحية مختلف قليلا عما ذكره غيره، لكن هذا الاختلاف لا يغير معنى العنوان كليا، بل هو دائر في فلكه.

إن نسبة معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب، للإمام أبي عبد الله ابن أبي الخصال، لا يجادل فيها أحد، وذلك أن شهرتها وأخذها عنه مباشرة من قبل أعيان عصره، ومن جاء بعدهم، ينفي كل ما قد يناقض أصل نسبتها له، ولعل ما ذكرت ممن روى القصيدة وذكر اسمها، فيه مقنع في هذا الباب.

ثانيا: موضوع القصيدة

بدأ الإمام أبو عبد الله بن أبي الخصال قصيدته ببث شوقه إلى الرسول ﷺ، وإلى زيارة طيبة الطيبة والبقاع الطاهرة، في أسلوب بديع، وبلاغة

(1) برنامج ابن جابر الوادي آشي، محمد بن جابر، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط - 1 - 1401هـ / 1981م، دامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ص: 220.
(2) المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، ص: 188.

عالية قل نظيرها، على عادة المغاربة في تعبيرهم عن شوقهم وحبهم للرسول ﷺ، وقد جاء مطلعها بقوله:

إليكَ فهمي والفؤادُ بيثربِ ... وإن عاقني عَن مطلَعِ الوَحيِ مَغربي
أُعلِّلُ بالآمال نَفساً أَغرُّها ... بتقديمِ غاياتي وتأخيرِ مَذهَبي
ودِيني على الأيام زورةُ أحمدٍ ... فهل ينقضي ديني ويقرُبُ مَطلبي
وهَل أرِدَن فضلَ الرَّسولِ بطيبَةٍ ... فيا بَردَ أحشائي ويا طيبَ مَشرَبي
وهَل فَضلَت مِن مَركَبِ العُمرِ ... فَضلَةٌ تُبَلِّغُني أَم لا بلاغَ لمركَبِ
ألا لَيت زادِي شَربَةٌ مِن مِياهِهَا ... وَهَل مِثلُها رَيَّا لغُلَّةِ مُذنِبِ
ويا ليتني فيها إلى اللَهِ صائِرٌ ... وقَلبي عَنِ الإيمانِ غَيرُ مُقَلَّبِ
وإنَّ امرأً وارَى البَقيعُ عِظَامَهُ ... لَفي زُمرَةٍ تُلقى بِسَهلٍ ومَرحَبِ
وفي ذِمَّةِ مِن خَيرِ مَن وَطِئَ الثَّرَى ... ومَن يَعتلِقهُ حَبلُه لا يُعَذَّب

ثم يبدأ ذلك في بيان نسب رسول الله ﷺ، مبتدئا فيه من أبيه عبد الله إلى آدم عليه السلام، قال أبو القاسم الزياني(ت1249هـ): «إن ممن اعتنى بنظم أجداد مولانا رسول الله ﷺ أبو عبد الله محمد بن مسعود بن أبي الخصال الغافقي القرطبي في قصيدته المسماة معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب، في ذكر نسب رسول الله ﷺ ومعجزاته، ومناقب أصحابه»[1]، ثم ينتقل إلى ذكر معجزاته، ومناقب جمهرة من الصحابة، ممن لهم فضل سبق في الإسلام ومنقبة بين أهل الإيمان، ثم يتبع ذلك بذكر محاسن أمهات المؤمنين وخصالهن الجليلة ومناقبهم الشريفة، ويختم

(1) الترجمانة الكبرى، أبو القاسم الزياني، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، ط 1412هـ / 1991م، دار المعرفة، الرباط، ص: 422.

قصيدته بتجديد العهد على الانقطاع إلى ذكر مآثرهم وبيان المقصد من إنشاء القصيدة، وهو التوسل إلى النبي ﷺ وتأكيد حبه وشوقه إلى زيارته.

قال الإمام أبو عبد الله ابن أبي الخصال الغافقي:

سأقطع عمري بالصلاة عليهم وأدأب في حبي لهم كل مدأب
إليك رسول الله منها وسيلة تناجيك عن قلب بحبك مشرب
يزورك عن شحط الديار مسلما ويلقاك بالإخلاص لم يتنكب

ثالثا: مكانة قصيدة معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب

حظيت قصيدة الإمام ابن أبي الخصال الغافقي بشهرة واسعة، واحتفاء كبير من قبل العلماء، ولا أدل على ذلك من روايتهم لها وتناقلها جيلا بعد جيل، قال ابن جابر الوادي آشي(ت749هـ): «أحملها عن أربعة من أشياخي»[1]، وقال أبو الربيع سليمان الكلاعي(ت634هـ): «قصيدة فريدة مفيدة لأبي عبد الله بن أبي الخصال»[2]، ومما يظهر مكانتها أيضا ما عمل عليها من تخميسات أوضحت شرفها وأبانت عن جليل ما تكتنزه من معاني جليلة، وممن قام بوضع تخميس عليها: الإمام أبو بكر بن حُبيش(ت584هـ)، وهو تلميذ الإمام ابن أبي الخصال، وسماه: **(العقيلة الحالية والوسيلة العالية)**[3]، وقد ذكرها الإمام أحمد المقري(ت1041هـ) تامة في أزهار الرياض[4]، جاء في مطلع تخميسه:

---

(1) برنامج ابن جابر الوادي آشي، ص: 220.

(2) الاكتفاء بما تضمنه مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، سليمان بن موسى الكلاعي، ص: 32.

(3) برنامج ابن جابر الوادي آشي، ص: 221.

(4) أزهار الرياض في أخبار عياض، أحمد المقري، تحقيق: عبد السلام الهراس =

جلت عن ذكاء الحسن غيم التنقب اتثني غربي عن ثنايا التغرب
بأحور ساج أو بألعس أشنب إليك فهمي والفؤاد بيثرب

وإن عاقني عن مطلع الوحي مغربي

وممن قام أيضا بتخميس قصيدة ابن أبي الخصال الغافقي، الصالح الزاهد أبي القاسم الغافقي، كما وصفه التجيبي(ت730هـ) في برنامج[1]، – نزيل طيبة – وهو خلف بن عبد العزيز القبتوري(ت704هـ)، وقد سمى تخميسه **(بشاهد إخلاص الحب المشروع، ورائد خلاص المذنب المروع)**[2].

وقد شرح القصيدة العديد من العلماء، من أبرزهم:

العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني، ذكره مؤرخ الدولة العلوية، أبو القاسم الزياني في الترجمانة الكبرى[3].

رابعا: رواة قصيدة معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب[4]

– الإمام أبو الحسين بن السراج الأنصاري(ت657هـ).

– الأمام أبو بكر بن خير الإشبيلي(ت575هـ).

= سعيد أحمد أعراب، ط 1400هـ / 1980م، المملكة المغربية، ودولة الإمارات المتحدة، ص: 175/5.

(1) برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف، ص: 287، برنامج الوادي آشي، ص: 220.

(2) المصدر نفسه، ص: 287.

(3) الترجمانة الكبرى، أبو القاسم الزياني، ص: 422.

(4) برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف، ص: 287، برنامج الوادي آشي، ص: 221، فهرس ابن خير الإشبيلي، ص: 515.

- الإمام أبو القاسم بن بشكوال(ت578هـ).

- الإمام أبو القاسم ابن حبيش(ت584هـ).

خامسا: مقاطع فريدة من القصيدة

تتألف قصيدة معراج المناقب ومنهاج الحسب الثاقب من تسعة وخمسين وثلاثمائة بيت، ضمنها الإمام ابن أبي الخصال الغافقي مجموعة من الأغراض الشعرية، كالمدح، والفخر، والوصف، والحكمة، وغيرها، فجاءت باقة نضرة وحديقة غناء، لم ينسج على منوالها، ولا دنا من جمالها وحسن سبكها أحد، ونذكر هنا بعض المقاطع منها، زيادة في البيان والتعريف بها.

المقطع الأول: في الشوق إلى زيارة النبي ﷺ وذكر شيء من نسبه

إليكَ فهمي والفؤادُ بيثربِ ... وإن عاقني عَن مطلَعِ الوَحيِ مَغربي

أُعلِّلُ بالآمال نَفساً أَغرُّها ... بتقديمِ غاياتي وتأخيرِ مَذهَبي

ودِيني على الأيام زورةُ أحمدٍ ... فهل ينقضي ديني ويقرُبُ مَطلبي

وهَل أرِدَن فضلَ الرَّسولِ بطيبَةٍ ... فيا بَردَ أحشائي ويا طيبَ مَشرَبي

وهَل فَضلَت مِن مَركَبِ العُمرِ ... فَضلَةٌ تُبَلِّغُني أَم لابلاغَ لمركَبِ

ألا لَيت زادِي شَربَةٌ مِن مِياهِهَا ... وَهَل مِثلُها رَيَّا لغُلَّةِ مُذنِبِ

ويا ليتني فيها إلى اللَهِ صائِرٌ ... وقَلبي عَنِ الإِيمانِ غَيرُ مُقَلَّبِ

وإنَّ امرأَ وارَى البَقيعُ عِظَامَهُ ... لَفي زُمرَةٍ تُلقى بِسَهلٍ ومَرحَبِ

وفي ذِمَّةٍ مِن خَيرِ مَن وَطِئَ الثَّرَى ... ومَن يَعتلِقهُ حَبلُه لا يُعَذَّب

وَمـــاليَ لا أشـــري الجَنـــانَ بِعَزمَـــةٍ يَهـــونُ علَيهـــا كُـــلُّ طـــام وَسَبسَـــبِ
ومـــاذا لا أشـــرِي الجَنـــانَ بِعَزمَـــةٍ يَهـــونُ عَلَيهـــا كُـــلُّ طـــام وسَبسَـــبِ
ومـــاذا الـــذي يثنـــي عِنـــاني وإنَّنـــي وبَـــينٌ فقـــد فارَقـــت قبـــلُ بَنـــي أبـــي
وقد مَرَنَت نفسي على البُعدِ وانطَوَت على مَثلِ حَدِّ السمهَريِّ المُذَرَّبِ
وكَـــم غُربَـــةٍ فـــي غَيـــرِ حَـــقٍّ قَطَعتُهـــا فَهَـــلا لِـــذات اللَـــهِ كـــانَ تَغَرُّبـــي
وَكَـــم فـــازَ دُونـــي بالَّـــذي رُمـــتُ فـــائزٌ وأخطـــأَني مـــا نالَـــهُ مـــن تَغَـــرُّبِ
أراهُ وأَهـــوى فِعلَـــةَ البِـــرِّ قاعـــداً فَيـــا قَعـــدِيَّ البِـــرِّ قُـــم وَتَلَبَّـــبِ
أَمـــانيُّ قَـــد أَفنـــى الشَّـــبابَ انتِظارُهـــا وَكَيـــفَ بِمـــا أَعيـــى الشَّـــبابَ لأَشـــيَبِ
وَقَد كُنتُ أَسرِي في الظَّلامِ بِأَدهَمٍ فَها أَنَا أَغدو في الصَّباحِ بِأَشهبِ
فَمَـــن لـــي وَأَنَّـــى لـــي بـــريحٍ تَحُطُّنـــي إلـــى ذروَةِ البَيـــتِ الرَّفيـــعِ المُطَنَّـــبِ
إلـــى الهاشِـــمِيِّ الأَبطِحـــيِّ مُحَمَّـــدٍ إلى خاتَمِ الرُّسلِ المَكينِ المُقَرَّبِ
إلـــى صُـــفوَةِ اللَـــهِ الأَمـــينِ لِوَحيـــهِ أبي القاسِمِ الهادِي إلى خيرِ مَشعَبِ

المقطع الثاني: في ذكر مناقب الصحابة

ونعطـــي أبـــا بكـــر عتيقـــا لحقـــه ونـــج إلـــى حفـــظ النظـــام المرتـــب
ومـــا قيـــل ثانيـــه مـــن النـــاس أول ولا مثل ثـاني اثنين مدحة مطنب
ومـــن ينـــتقص صـــديقه ورفيقـــه وصاحبه في الغار يُشْرِق ويشجب
ويخرج من الإسلام إن كان داخلا وإن يـات يستعتب فليس بمعتب
مؤلـف شـمل الـدين بعـد افتراقـه وكاشـف خطـب الـردة المتعصـب
وقاتـــل قـــوم فرقـــوا الـــدين ضـــلة وقولـــوا صـــلاة لا زكـــاة ذبـــذب
فقـــال الصـــلاة والزكـــاة فريضـــة وليس صـلاة مـن زكـاة بأوجـب

وما لهم عني سوى سنة الهدى ... أو السيف فليدر امرؤ أو ليَعْزُبِ
وكانت لسيف الله فيهم بيمنه ... حروب شفت من غل ونيرب
إمام ينام المسلمون وجنبه ... على حسك السعدان يجفوا وينتب
إلى أن جلاها كربة مدلهمة ... بعارض ضرب للمنايا به حب
ومهد للإسلام حيا وميتا ... فأعظم به من حُوِّل الأمر قُلْبِ
وعلق أبصار العباد بخيرهم ... وأمضاهم بالله هبة مضرب
أبي حفص الفاروق عز به الهدى ... وجاهر أهل الكفر لم يتهيب
وعزَّ فبنى الروم والفرس ملكها ... ومن يعتصم بالله يغلب ويسلب
ودوخ آفاق البلاد فأذعنت ... وألقت إليه كل مسرى ومسرب
وأفنت حماة الصرح سينوبه ... فلم يبق الأكل العسر أشنب
وقضت كنوز الأرض يعشي وميضها ... بزرق وحمر في نضار مشبب
فلما انقضت وعد الرسول فتوحه ... وقضى وأمضى كل أمر ومأرب
اتته ولم يوجف عليها شهادة ... وإن تنْأهُ يُعنِق إليها وينصب
فخيرها في ستة فتخيرت ... مبدأ صدق بابن أروى المحبب
بعثمان ذي النورين بعل رقية ... إلى أم كلثوم فاثل وأشب
وكان رسول الله يحمد صهره ... وصهرا في القاصي الرضى بعل زينب

المقطع الثالث: في ذكر مناقب أمهات المؤمنين وختام القصيدة

وأزواجه والفضل فضل خديجة ... وكل له فضل المصون المطيب
ولكنها كانت وما كان مومن ... سواها بنقر في البلاد ونقب
وسبط الهدى فيها لفاطمة لها ... فحسبك من فضل بفضل مركب

هما سيدا الشباب في جنة الرضى وخير كهول الأرض شرق ومغرب
وعائشة صديقة لمصدق ملئ من التقوى رءوف مؤوب
مبراة جاء الكتاب بصدقها وتكذيب إفك الكاذب المتكذب
ومات رسول الله ما بين سحرها إلى نحرها توديع راض مقرب
وكل لنا أم هنالك برة على برها تحبوا الرجال وتحتب
صحابة صدق من يضر بحماهم فنحن باء منه باعد وجنب
وصرح على الأنهار أبناء قيلة وبغضهم كفر فعذ وتحبب
كرام لهم محيا الرسول وموثه تاسوا وواسوا من جواد ومحرب
يحبون من وافى إليهم بهجرة ويلقاه منهم كل سمح مرحب
سأقطع عمري بالصلاة عليهم وأدأب في حبي لهم كل مدأب
إليك رسول الله منها وسيلة تناجيك عن قلب بحبك مشرب
يزورك عن شحط الديار مسلما ويلقاك بالإخلاص لم يتنكب

فهرس المصادر والمراجع

1- إتمام النعمة الكبرى على العالم بمولد سيد ولد آدم، ابن حجر الهيثمي، تحقيق: عبد العزيز الغزولي، دار الكتب العلمية، بيروت.
2- الإحاطة في أخبار غرناطة، لسان الدين ابن الخطيب، تحقيق: يوسف علي طويل، ط -2- 1435هـ / 2014م، دار الكتب العلمية، بيروت.
3- أزهار الرياض في أخبار عياض، أحمد المقري، تحقيق: عبد السلام الهراس - سعيد أحمد أعراب، ط 1400هـ / 1980م، المملكة المغربية، ودولة الإمارات المتحدة.

4- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف ابن عبد البر، تحقيق: محمد علي البجاوي، ط - 1 - 1412هـ/ 1992م، دار الجيل.

5- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي العسقلاني، بدون تاريخ النشر، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، أبو الربيع سليمان بن الكلاعي الأندلسي، تحقيق: محمد كمال الدين عز الدين علي، ط-1- 1417هـ /1997م، عالم الكتب، بيروت.

7- الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، سليمان الكلاعي، تحقيق: محمد كمال الدين، ط - 1 - 1417هـ / 1997م، عالم الكتب، بيروت.

8- إكمال إكمال المعلم، محمد الأبّي، ط 1328، مطبعة السعادة، مصر، تصوير دار الكتب العلمية، بيروت.

9- الإنباه على قبائل الرواة، يوسف ابن عبد البر، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط- 1 - 1405هـ/1985م، دار الكتاب العربي، بيروت.

10- البداية والنهاية، أبو الفداء بن كثير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط -1- 1418هـ/ 1998م، هجر للطباعة والنشر، مصر.

11- برنامج ابن جابر الوادي آشي، محمد بن جابر، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، ط - 1 - 1401هـ / 1981م، دامعة أم القرى المملكة العربية السعودية.

12- برنامج التجيبي، القاسم بن يوسف التجيبي، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار الكتاب العربي.

13- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط – 1 – 1410هـ / 1989م، دار الكتاب المصري، القاهرة.

14- تاريخ الأندلس، مؤلف مجهول، تحقيق: عبد القادر بوباية، ط –1– 2007م، دار الكتب العلمية، بيروت.

15- الترجمانة الكبرى، أبو القاسم الزياني، تحقيق: عبد الكريم الفيلالي، ط 1412هـ / 1991م، دار المعرفة، الرباط.

16- التكملة لكتاب الصلة، ابن الأبار، تحقيق: بشار عواد معروف، ط – 1 – 2010م، دار الغرب الإسلامي، تونس.

17- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، أبو منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط – 1 – 1424هـ/2003م، المكتبة العصرية، بيروت.

18- جمهرة أنساب العرب، ابن حزم، تحقيق، عبد السلام هارون، ط – 5 – دار المعارف مصر.

19- جمهرة أنساب أمهات النبي ﷺ، حسين بن حيدر الهاشمي، ط–1– 1418هـ/ 1998م، دار البخاري، المدينة المنورة.

20- خريدة القصر وجريدة العصر، العماد الأصفهاني، تحقيق، آذرتاش آذرنوش، (قسم شعراء المغرب والأندلس) ط – 2 – 1986م، الدار التونسية للنشر.

21- خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: أحمد ميرين البلوشي، ط–1– 1406هـ/ 1986م، مكتبة المعلا، الكويت.

22- الدر المنظم في مولد النبي المعظم، محمد بن أحمد العزفي، تحقيق: عبد الله حمادي، ط 2016، دروب للنشر والتوزيع.

23- ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، أحمد بن عبد الله الطبري، تحقيق: أكرم البوشي، ط-1- 1415هـ.

24- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، علي بن بسام الإشبيلي، تحقيق: إحسان عباس، ط - 1 - 200م، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

25- رايات المبرزين، علي بن سعيد الأندلسي، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط - 1 - 1987م، طلاس للدراسات والترجمة، دمشق.

26- رسائل ابن أبي الخصال الأندلسي، بتحقيق: الدكتور محمد رضوان الداية، سنة 1988 دار الفكر بدمشق.

27- الروض الأنف شرح السيرة النبوية لابن هشام، عبد الرحمن السهيلي، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مطبعة الحاج عبد السلام بن محمد بن شقرون.

28- السيرة النبوية، ابن هشام المعافري، تحقيق عادل عبد الوجود - علي محمد معوض، ط -1- 1418هـ / 1998م، مكتبة العبيكان، الرياض.

29- شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت

30- شرح مقامات الحريري، أبو العباس أحمد القيسي، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت.

31- صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق محمد المرتضى، ط 1430هـ/ 2009م، دار ابن باديس، الجزائر.

32- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ط-1- 1425هـ/ 2004م، دار صادر، بيروت.

33- صلة الصلة، أحمد بن إبراهيم الغرناطي، تحقيق: شريف أبو العلا العدوي، ط - 1 - 1429هـ / 2008م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

34- الصلة، أبو القاسم ابن بشكوال، تحقيق: بشار عواد معروف، ط - 1 - 2010م، دار الغرب الإسلامي، تونس.

35- الطبقات الكبرى لابن سعد، تحقيق: علي محمد عمر، ط 1421هـ / 2001م، مكتبة الخانجي، مصر.

36- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: عبد العزيز بن باز، ط-1- 1420هـ/ 2000م، دار الفكر، بيروت.

37- فهرس ابن خير الإشبيلي، تحقيق: بشار عواد معروف - محمود بشار عواد، ط - 1 - 2009م، دار الغرب الإسلامي، تونس.

38- قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، أبو نصر الفتح خاقان الإشبيلي، تحقيق: حسن يوسف خريوش، ط - 1 - 1409هـ / 1989م، مكتبة المنار، الأردن.

39- لسان العرب، ابن منظور، تحقيق: عامر أحمد حيدر، ط 1430هـ / 2009م، دار الكتب العلمية، بيروت.

40- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ابن فضل الله العمري، تحقيق، مهدي النجم، ط - 1 - 2010م، دار الكتب العلمية، بيروت.

41- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ط 1418هـ / 1998م، دار المعرفة، مصر.

42- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق: سعد بن ناصر الشثري، ط-1- 1420هـ/2000م، دار العاصمة ودار الغيث، المملكة العربية السعودية.

43- المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دحية، تحقيق: إبراهيم الأبياري - حامد عبد المجيد، دار العلم للجميع، بيروت.

44- المعجب في تلخيص أخبار المغرب، عبد الواحد المراكشي، تحقيق: خليل عمران المنصور، ط - 2 - 1426هـ / 2005م، دار الكتب العلمية، بيروت.

45- معجم البلدان، ياقوت الحموي، ط 1397هـ / 1993م، دار صادر، بيروت.

46- المعجم في أصحاب القاضي الصفدي، ابن الأبار، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط - 1-1410هـ /1989م، دار الكتاب المصري، القاهرة.

47- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمد السخاوي، تحقيق: محمد عثمان الخشت، ط -1 - 1405هـ/1985م، دار الكتاب العربي، بيروت

48- نفح الطيب من عصن أندلس الرطيب، أحمد المقري، تحقيق: إحسان عباس، ط - 7 - 1436هـ / 2015م، دار صادر، بيروت.

49- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين بن الأثير، تحقيق: رائد صبري، ط -3- 2003م، بيت الأفكار الدولية، الأردن.

❊ ❊ ❊ ❊

مخطوط: «كتاب الحلال والحرام»

لأبي الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي (كان حيًّا 689هـ)

إشْكالاتٌ في تحْقيق العنوان وتَوْثيقِ النِّسْبة

الدكتور يونس بَقَيان

باحث في التراث المخطوط - طنجة

المقدمة

الحمد لله الذي وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد؛ فإنَّ مِن الفقهاء مَن صنَّف كُتُبًا جامِعَةً لكُلِّ -أوْ جُلِّ- الأبواب الفقهية، ومنهم من خصَّ مَوضوعًا مُسْتَقلًّا ليلمَّ بجميع جوانبه، ومِن هذا الأخير «كتاب الحلال والحرام»[1] لحافظ المغرب أبي الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي (كان على قيد الحياة عام 689هـ)، وهو أوَّل كتاب في الحلال والحرام عند المالكية كما حكاه الشيخ زروق[2].

فقد ذكر المؤلف سَبب تأليفه الكتاب؛ حيثُ صنَّفه بتكليف مِن أحد الصالحين، للإجابة عن نازلةٍ ورَدَتْ مِن صُلحاء بادس من بلاد الرِّيف

(1) حققته على خمسة أصول خطية، أسأل الله أن ييسّر سبل طبعه.

(2) شرح الرسالة (1001/2).

المَغْربي، فضمَّ إليْه مِن شَوارد التّاريخ ما تسْتَعْذِبُه النُّفوس، وحلَّاهُ بغُرر الفوائد كحليّ أبْهى عروس، فلا يُمكن لقارئه إلا أن يتمثَّل بقَوْل المَثَل: «لا عِطْر بَعد عَروس»؛ إذْ جَمع فيه بيْن طرفَي الإبْداع والتَّحصيل، وحقَّقَ مسائلة على طَرَفَي الإجمال والتفصيل.

فأرانا المُؤلِّف في النّازلة المِحْورِيّة للكتاب مِرْآةً تعكسُ لنا صورة صلحاء بادس، وكيف كانوا يتوقّوْن ويسألون عمّا يأكلون ويشْربون من الحلال الطيِّب، وكيف لا وهي -بادس- كما قال ابن قنفذ[1]: «تُنبت الصّالحين كما تُنبت الكلأ». بالإضافة لذلك فإنّه يحتوى على نصوص صحَّحتْ مفاهيم مَغلوطة نُقِلَت عن المُؤلِّف، كمَسْألة إحراق كتب الغزالي، وهو النَّصُّ الوحيد الذي نُقِل عن هذا العالِم وتصرَّف فيه بعضُ العلماء ففُهِم بالخَطإ. وسيأتي توضيحه.

ترجع قصتي مع هذا المخطوط لسنة 1436هـ حينما قصدتُ الزّاوية الحمزاوية بالرّشيدية أحمل مَعي قائمة ببعض المخطوطات أريد الاطلاع عليها وتصوير قطعة من كتاب: «الممهد الكبير» لابن الزهراء الورياغلي (كان حيًّا 710هـ)، وكان من ضِمنهم الكتاب المَذكور، وكان في عِلْمي المُسبق أنّ الدكتور عبد الرحمن العمراني حقَّق كتابًا باسْم (الحلال والحرام للوليدي)، واعتمد فيه على نُسَخ الرّباط فقَطْ، فصَوَّرتُه، وعِنْدما فحَصْتُه، فوجئتُ باختلاف الكتابَيْن رَأسًا، فبدأتُ أجمعُ نقول علماء المالكية من «كتاب الحلال والحرام» وأدوِّنها في بطائق، ثمَّ أعدتُ قراءة

(1) أنس الفقير وعز الحقير (ص63).

المَخطوط وأمامي بطائقي، فكلما مرَّ معي نَقْلٌ عنْهُ وضعْتُ عليه علامة، إلى أن انتهيْتُ مِن قراءته، فَغلَبَ عَلى ظنِّي أنَّ هذا المَخطوط هو الذي تصحُّ نسْبتُه للوليدي وليس المَطبوع باسم «الحَلال والحرام» بتحقيق الدكتور العمراني.

ومن خلال الإجازة[1] التي كتبها المؤلّف إلى الفقيه الأجل أبي الحسن علي بن محمد القيسي بخطِّه عام 689هـ صحَّحْتُ خطأيْن جسيمَيْن؛ أحدهما يتعلق بالمؤلِّف، والثاني بالكِتاب؛ فالأوَّل: تضعيفُ ما تناقله النّاس أنَّ المؤلِّف توفي عام 675هـ. والثّاني: تَصْحيح ما توهَّمَه مُفَهْرسوا الخزانة الحسنية حيثُ نسبوا الكتاب للمُجاز له (القيسي)، وسيأتي مَزيد بيانه في محلّه.

ومن هذا الباب أيضًا فنَّدتُ زَعْم مفهرسي مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء، حيثُ جزموا بِنِسْبَة الكتاب لأبي عمران موسى بن محمد التّسولي (ت716هـ)، وأقاموا على ذلك افتراضات ثلاثٍ وَسَمُوها بالحجج، وهي لا تَمتُّ للحُجَج بصِلَة.

وَلَمّا لَمْ يكن بدٌّ من تقديم مقدماتٍ بين يدي نجوانا قبل الدُّخول في المَقصد، رأيتُ أن أجْمَع سَيْرة معرِّفة بالوليدي وبِناء تَرجَمة له تُغْني عن تَقصّي الجزئيات في مَواطن مُتفرّقة، فمَن هو الوليدي؟ وَما هِي مُؤلّفاتُه؟

(1) وردت على الورقة الأولى من نسخة الخزانة الحسنية بالرباط رقم (424).

أولًا: التعريف بالوليدي

اسمه وكنيته[1]:

هو: راشد بن أبي راشد الوليدي. هكذا ورد عند مترجميه.

وفي «فهرسة المنتوري»[2]: «راشد بن راشد». وفي «ناصر الحكام»[3]: «راشد بن أبي راشد بن الوليد بن رشيد»، ولم أجد له سلفًا ولا خلفًا في هذه الزّيادة.

يكنى بأبي الفضل. وكناه المنجور[4]: بأبي الوليد. وابن قنفذ[5]: «بأبي محمد».

---

(1) **مصادر ترجمته:**

1- أنس الفقير (ص23).

2- فهرسة المنتوري (ص368).

3- درة الحجال في أسماء الرجال (273/1-274)، وجذوة الاقتباس (196/1).

4- نيل الابتهاج بتطريز الديباج (193/1)، وكفاية المحتاج (207/1).

5- المنح البادية في الأسانيد العالية (125/2).

6- سلوة الأنفاس (270/3).

7- شجرة النور الزكية (288/1).

8- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي (273/2).

(2) فهرسة المنتوري (ص368).

(3) ناصر الحكام، لابن عرضون (ق129).

(4) فهرسته (ص19).

(5) أنس الفقير (ص23).

مولده ونشأته:

شحَّت كتب التراجم التي تحت يدي بمُعطيات عَن تاريخ ولادته ونشْأته الأولى؛ فكلُّ ما وَرد أنّه ينْتمي لقبيلة بني وليد؛ إحْدى مكونات قبائل صنهاجة السّراير المُسْتقرَّة بمجال الرّيف الجَنوبي، وقد نَسَب نفسه للقُطر الرّيفي في نازلة وقعتْ ببادس الرّيف وقال[1]: «نزلتْ عندنا مسألة بعبد الله بن علال...». بناءً على أنّ (عبد الله بن علال) هذا، هو: عبد الله بن علال بن منصور الزَّهيليُّ البادِسيُّ، فيكون المَقصود هو جدّ الولي الصالح أبي يعقوب البادسي.

كان الوليديُّ رحمه الله ملازمًا للتّدريس والتّحصيل، زاهدًا في المناصب، يعمل على كسْب قوته مِن عمل يَده، فلا يجِدُ حرجًا في أن يحْرث بيده إذا رجع لبلده -بني وليد- وهو شيخٌ من شيوخ المدونة بفاس، ولا يفتُر عن المطالعة والتّحصيل، فقد ورد في «المنح البادية» نقلًا عن سلوة الأنفاس[2]: «أنه كان يُقْرِئ بفاس، وإذا رجع إلى بني وليد؛ يحْرث بيده، فيضع ابن يونس (الجامع لمسائل المدونة) على رأس المرجع، واللخمي (التبصرة) على الطرف الآخر، ويقرَأ مسألة مِن كلّ واحدٍ إذا وصَل، يتأمّلها وقْتَ الحراثَة».

---

(1) كتاب الحلال والحرام (ق46، مخطوط الخزانة الحسنية).

(2) نقلًا عن سلوة الأنفاس (270/3).

من شيوخه:

1- أبو عبد الله محمد بن موسى الفشتالي[1]؛ وشيخه هذا، هو الذي روى عنه الوليدي في «كتاب الحلال والحرام» نصًّا يتضمّن رغبته في إحراق كتب الغزالي والقشيري؛ لتضمّنها غوامِض العُلوم، وإقبال الضُّعفاء عليها.

2- أبو محمد صالح الهسكوري (ت631هـ)[2]، روى المترجَم عن شيخه هذا أنّ[3]: الأدلة التي بنى عليها مالك مذهبه ستة عشر: الأول: نص الكتاب؛ والثاني: ظاهر الكتاب وهو العموم؛ والثالث: دليل الكتاب وهو مفهوم المخالفة؛ والرابع: مفهوم الكتاب وهو مفهوم الموافقة؛ والخامس: تنبيه الكتاب وهو التّنبيه على العلة. ومن السنة أيضًا مثل هذه الخمسة، فهذه عشرة. والحادي عشر: الإجماع؛ والثاني عشر: القياس؛ والثالث عشر: عمل أهل المدينة؛ والرابع عشر: قول الصحابي؛ والخامس عشر: الاستحسان؛ والسادس عشر: الحكم بسد الذرائع. ثم قال: واختلف قوله في السابع عشر وهو: مراعاة الخلاف فمرَّة يراعيه ومرَّة لا يراعيه. وقد ورد في سلسلة سنده[4]؛ أنه أخذ الفقه المالكي عن شيخه الإمام أبي محمد

(1) كتاب الحلال والحرام (ق46، مخطوط الخزانة الحسنية).

(2) كفاية المحتاج (207/1).

(3) شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني لتلميذ المؤلف؛ أبي زيد عبد الرحمن الجزولي (ق/50) قطعة القرويين برقم 1148.

(4) ينظر: فهرسة المنجور (ص18-19)، وسند المذهب المالكي وسلسلة رجاله =

صالح الهسكوري، وهو أخذ عن شيوخه: الفقيه أبي القاسم، والفقيه أبي موسى المومناني، والفقيه أبي القاسم بن البقال، وهم أخذوا عن الفقيه المحدث الكبير أبي القاسم ابن بشكوال، عن أبي محمد ابن عتاب، عن أبيه أبي عبد الله بن عتاب، عن أبي محمد مكي، عن أبي طالب مكي بن محمد بن مختار القيسي، عن أبي عبد الله محمد بن أبي زيد القيرواني، عن الإمام الزاهد أبي بكر بن اللباد، عن الإمام القدوة الزاهد مجاب الدعوة أبي زكرياء يحيى بن عمر بن يوسف البلوي الأفريقي صاحب «كتاب اختلاف ابن القاسم وأشهب»، عن أبي زكرياء يحيى بن عمر، عن الإمامين: الحجة الزاهد أبو سعيد عبد السلام سحنون، والعلامة القدوة أبو مروان عبد الملك بن حبيب، وهما تفقها بجماعة منهم، الإمامان: القدوة أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد العتقي، والعلامة الزاهد أبو عمر أشهب بن عبد العزيز، وهما تفقها بالإمام المجتهد إمام دار الهجرة أبي عبد الله مالك بن أنس، وهو تفقه بجماعة من علماء التابعين منهم: ربيعة بن أبي عبد الرحمن، ونافع. وتفقه ربيعة على أنس، وتفقه نافع على ابن عمر، وكلاهما ممن أخذ عن سيد المرسلين وإمام المتقين أبي القاسم محمد ﷺ وعلى سائر النبيئين.

= (ص78-80)، وإحراز الخصل في فهرس القاضي أبي الفضل (ص103-104)، والمنح البادية (284/1)، والفهرسة الصغرى والكبرى للتاودي بن سودة (ص79)، وفهرسة جعفر بن إدريس الكتاني (ص217-218).

من تلاميذه:

1- أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي الكرسيفي (ت741هـ). كان أعلم الناس بمذهب الإمام مالك، وكان يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه[1].

2- أبو الحسن علي بن سليمان الأنصاري القرطبي؛ صِهْر الشّيخ أبي الحسن الصُّغَيّر (ت730هـ)، وهو الذي روى عن الوليدي كتُبه، ومنها: «الحلال والحرام»[2].

3- أبو الحسن علي بن عبد الحق الزرويلي الصُّغَيّر (ت719هـ)[3]، الذي أصبح حاملًا لواء المذهب المالكي بعد شيخه الوليدي بفاس، وسار على سَنَنه في التّدريس والإفتاء، وفي هذا يقول أبو العباس المقري[4]: «لازم الفقيه راشدًا، واقتصر عليه، وكان الفقيه راشد لا يُنْفذ بمدينة فاس حكمًا، ولا جوابًا في نازلة حتى يحضره ويعتني به، فلم تخْطِئ فراسته فيه؛ وكان لا يحجر عليه في القراءة، بل يقرأ من «التهذيب» من أيّ مكان شاء، وقد صدقَتْ فراسَته فيه، فكان في ميزان حسناته يوم القيامة».

---

(1) كفاية المحتاج (207/1).

(2) فهرسة المنتوري (ص368)، وسلوة الأنفاس رقم الترجمة (1072).

(3) كفاية المحتاج (207/1).

(4) أزهار الرياض (33/3).

أقوال العلماء فيه:

اتّفقتْ كلمة مترجميه على أنه – رحمه الله – كان رائدًا من رواد المدرسة المالكية في المغرب المريني[1]، وبلَغ درجة شيخ شيوخ «المدونة» بالقرويين؛ فقال عصريُّه ابن الدراج السبتي[2]: «الشيخ الفقيه المدرس للمدونة في وقتنا هذا بمدينة فاس حرسها الله؛ أبو الفضل راشد بن أبي راشد...».

وقال ابن القاضي[3]: «الفقيه، الحافظ، المحصّل، المقيّد، شيخ شيوخ المدوّنة بفاس... لم يكن في وقته أتبع منه في الحق، وأنفع منه للخلق. لا تأخذه في الله لومة لائم».

وقال: المنجور[4]: «حافظ المغرب».

وقال التنبكتي[5]: «لا تأخذه في الله لومة لائم ولم يكن في وقته من هو أتبع منه للحق».

وقال أبو سالم العياشي[6]: «شيخ الفتيا وأتبع الناس للحق».

---

(1) ورقات عن حضارة المرينيين (ص294).

(2) كتاب الإمتاع والانتفاع (ص168).

(3) درة الحجال (273/1).

(4) شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب (198/1).

(5) كفاية المحتاج (207/1).

(6) الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى (ماء الموائد) (256/1).

وقال محمد بن جعفر الكتاني[1]: «الشيخ الإمام الفقيه، الحافظ الحجة، المحصل المقيد، شيخ شيوخ المدونة بفاس».

مؤلفاته:

1- **له أجوبة وفتاوى كثيرة عن المسائل التي سئل عنها**[2]. احتفظت لنا «كتب النوازل» ببعضها. منها: مسألة: التقليد في مسائل الاعتقاد[3]. ومسألة: الصلاة خلف الإمام الذي لا تُرضى حالته[4]. ومسألة: صلاة الجمعة بمسجد لم يتصل بالبُنْيان[5]. ومسألة: تعدد صلاة الجمعة في القرى[6]. ومسألة: شهادة الواحد لإثبات رؤية الهلال[7]. ومسألة: من حلف بالثلاث لزوجته ألاّ تخرج فخَرَجَت[8]. ومسألة: وجوب الخدمة المعتادة على نساء البربر[9]. ومسألة: من له زوجتان فمال إلى إحداهما ونفى الأخرى وبَنيها[10]. ومسألة التّخليق؛ الهارب والهاربة من الولدان[11].

---

(1) سلوة الأنفاس (270/3).

(2) سلوة الأنفاس (270/3).

(3) المعيار (269/11).

(4) المعيار (269/11).

(5) الجواهر المختارة (1/ ق 47).

(6) المعيار المعرب (143/1).

(7) الجواهر المختارة (1/ ق 38).

(8) أجوبة العبدوسي (ص232)، والمعيار (428/4-429).

(9) الجواهر المختارة (1/ ق 105).

(10) المعيار (351/10).

(11) المنح السامية في النوازل الفقهية (2/ 129).

ومسألته: مع الموثقين بفاس[1]. ومسألة: الديون المكتوبة في الوثائق[2]. ومسألة: الشهادة على خط الشاهد المعروف من لم يعاصره[3]. ومسألة: في حكم اختلاط النجاسة بالصباغة[4]. ومسألة: اليمين الحنانة[5]. ومسألة: إعطاء الأجرة على ما أبيح من الملاهي كالولائم[6]. ومسألة: هل على المشتري غَلّة في مسألة الثنيا[7]؟ ومسألة: فيمن غصب دابة فَدَبِرَتْ فَماتت[8]. ومسألة: في المبيع فاسدًا هل يوكل من غَلّته أم لا[9]؟ ومسألة: سكوت الوارث مع العلم بالتّصيير[10]. وأجوبة على مسائل تتعلق بالجزاء[11]. ومسألة: هل الإقرار عامل وحده في استحقاق الميراث[12]؟ ومسألة: دية الاعتراف على المقر[13]. ومسألة: الأخذ بأخف الأقوال في

---

(1) المعيار (509/4).

(2) نوازل التسولي رقم النازلة 181.

(3) المعيار (210/10).

(4) الدر النثير (3/1).

(5) الجواهر المختارة (1/ ق 41)، وقرة العين في شرح المرشد المعين، للعلامة محمد ابن السالك الجرني عند قول المتن: «وَعَمْدُهُ فِي النّقْلِ دُونَ ضُرِّ».

(6) المنح السامية في النوازل الفقهية (2/ 252)، ونوازل التسولي رقم النازلة 477.

(7) المعيار المعرب (260/10)، ونوازل البلغيثي عند مسألة: «فتوى في صدقة محجورة».

(8) الجواهر المختارة (1/ ق 388)، والمعيار (120/5).

(9) المعيار (63/5).

(10) المعيار (127/5)، والتحرير في مسائل التصيير (ص75).

(11) المعيار (462/6).

(12) المعيار (357/10).

(13) المعيار (627/2).

النوازل المختلف فيها[1]. ومسألة: في غاية الأهمية تعالج قضية الاهتمام بالماء في الحضارة الإسلامية، وتوزيعه بالقسطاس والعدل على سائر المواطنين؛ وهي: «أنّ قومًا لهم ماء عليه أرْحِيّة وجنات ومنازل على قديم الزمان لا يعلم كيف كان أوّله لطول الزمان وانقراض الأجيال؛ فأراد الأعْلَوْن قطعَه على الأسْفَلين»[2].

2- «**حاشية المدونة**»[3]، أو: «طرر على المدونة»[4].

3- «**الحلال والحرام**»[5].

مهامه:

كان يدرس «المدونة» في فاس، يقول العلامة ابن الدراج السبتي[6]: «الشيخ الفقيه المدرس للمدونة في وقتنا هذا بمدينة فاس حرسها الله؛ أبو الفضل راشد بن أبي راشد...».

وكان السلطان أبو يوسف يعقوب المريني يرجع له في بعض المسائل المدلهمة، فمنها ما ورد في «المعيار المعرب»[7]: «نزلت بالسلطان أبي

---

(1) نوازل التسولي رقم النازلة 833.

(2) المعيار (10/8)، وناصر الحكام، لابن عرضون (ق129).

(3) كفاية المحتاج (207/1).

(4) سلوة الأنفاس (270/3).

(5) كفاية المحتاج (207/1).

(6) كتاب الإمتاع والانتفاع (ص168).

(7) (21/12).

يوسف يعقوب بن عبد الحق، حلف ليقتلن أبا مرمور فرغب في العفو عنه فترك قتلَه، فأرسل إلى الفقيهين المعظّمين أبي الفضل راشد الوليدي وأبي يوسف الجزولي...».

وفاته:

قال ابن القاضي[1]، وبابا التنبكتي[2]، وتَبِعَهُما مَن جاء بعدهما واللفظ لـ«نيل الابتهاج»: «توفي بمدينة فاس، على ما قيل: سنة خمس وسبعين وستمئة».

وقَد وَقع خلطٌ ثمّ تَشْكيكٌ للقادري في «التقاط الدرر»[3] بيْن وفاة المترجَم، ووفاة أبي عبد الله القيْسي الرَّمّاح، فقد ذكر أنّ الوليدي «توفي في وباءِ عام تسعة وأربعين وسبعمئة». والواقع أنّها وفاة أبي عبد الله الرّماح.

وقد وقفتُ على جواب للمترجَم بتوقيعه في مسألة: «مَن هرب بصبية يتيمة وتزوَّجها فادّعت إكراهها على ذلك» في «المعيار المعرب»[4]، يفيد بأنّه كان حيًا عام 688هـ، ولفظه: «تقيّد بِعَقِبه ما نصّه: مِمَّن حَضر فتوى الفقيهِ الأجلِّ الأفضلِ المحقّقِ أبي الفضل راشد حفظه الله ونفع به، وكتب

(1) درة الحجال (273/1)، وجذوة الاقتباس (196/1).

(2) نيل الابتهاج (270/3).

(3) (ص462-463).

(4) (83/3).

بخطّ يده بجميع ما تقيّد أعلاه في يَوم الأحَد السّابع عشر لربيع الأوّل المبارك ثمانية وثمانين وستّمئة».

وقد ورد –في نسخة الخزانة الحسنية بالرباط المحفوظة تحت رقم 424– على الورقة الأولى إجازةً من المؤلف إلى الفقيه الأجل أبي الحسن علي بن محمد القيسي، وفيها: «قال هذا وكتب بخطه [يده] الفانية راشد بن أبي راشد الوليدي في السادس والعشـ[ـرين من] جمادى الآخرة من عام تسع وثمانين وستمئة، والحمد لله وحده....».

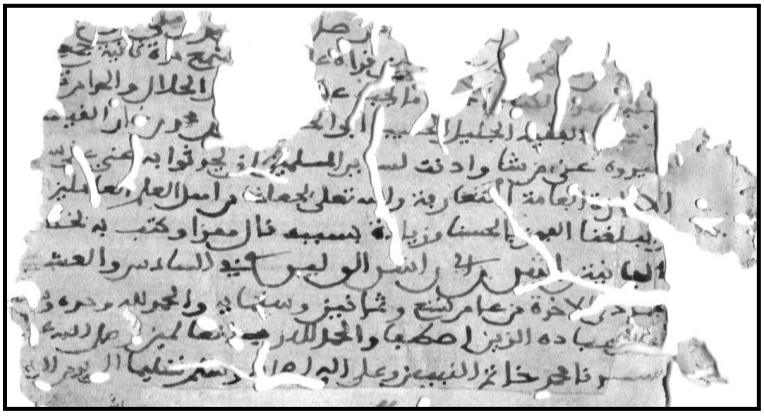

وبهذا النص الفريد يُعلم أنّ الوليدي كان على قيد الحياة عام 689هـ.

وما ذُكر من وفاته 675هـ غيرُ دقيق، وقد رواها التنبكتي بصيغة التّمريض؛ مما يعني أنّها ضعيفة عنده، إلا أنّ مَن جاء بعده حَذف الصّيغة وذكرها بالجَزْم.

ودفن في مسقط رأسه بني وليد، وهناك مزار باسمه يُدْعى سِيدي راشد، ولعله المقصود كما هو شائع عند أهل المنطقة.

ثانيًا: التعريف بكتاب الحلال والحرام

بيْن تحقيق عنوان الكتاب وتوْثيق نسْبتِه للوَليدي

وَرد في الورقة الأولى من النّسخة الخَطية المَحفوظة في الخزانة الحمزاوية بالرشيدية تحت رقم 5/170: «هذا كتاب الحلال والحرام للفقيه الإمام أبي الفضل راشد الوليدي تلميذ أبي محمد صالح، وشيخ أبي الحسن الزّرويلي. وقد قيل: إن المالكية ليس لهم في الحلال والحرام كتاب مستقل غيره». وبالعنوان نفسه ذكره له مترجموه، وذكره أيضًا مَن نَقل عنْه من فقهاء المالكية في كتُبهم.

وقد انفردَت نسخة مراكش بوَسْمِه باسْم: «المقصد في بيان الحلال والحرام»، وممّا يُلاحظ على هذا العنوان أنّه كُتِب فَوْق التّرميم بخطٍّ متأخِّرٍ؛ ممّا يعني أنَّ كاتِبَه ليسَ هو النّاسخ[1].

(1) وقد التبست على الباحث المُحقّق الدكتور محمد الطَّبراني هذه الزِّيادة في العنوان فرجَّحها، وهذا نصُّ كلامه: «المقصد في بيان الحلال والحرام، لأبي الوليدي راشد بن أبي راشد الوليدي الغُمَارِي (ت675هـ): ضمن مجموع. وفائدة هذه النسخة لأوَّل الأمْر: زيادة نسبة «الغُمَارِي»، فإنّها مما خلتْ من النُّسخ المعتمدة في الطبع. وتصحيح العنوان ثانيًا، فإنه على الحقيقة «المقصد في بيان الحلال والحرام»، وقد نص على التسمية ناسخُ المراكشية، وهي تسميةٌ أوْفى معنى من «الحلال والحرام» مجردًا من الزيادة، فإن المزيد فيه معنى القصْد والبيان. وقد ثبتتْ هذه الكلمة في ختام إحدى نسختي الخزانة الحسنية فأوهمت أنَّها بمعنى «المقصود»، وذلك الختام: «تم المَقْصِدُ بحمد الله، على حسب ما التزمناه..». وليس بين وفاة المؤلف وتاريخ النسخ غير 26 سنة، فقد سمى الناسخ نفسَه وتاريخ فراغه، فعرفنا أنه عيسى بن محمد =

أما بالنّسبة لتوثيق العنوان؛ فقد وَردَتْ على الورقة الأولى –من نسخة الخزانة الحسنية (424)– **إجازَةٌ** من مؤلّفه الوليديّ، إلى أبي الحسن

= الجدميوي، وأنها سنة 701هـ، فدل ذلك على قِدم النسخة وأصالتها». هـ كلام الدكتور حفظه الله. تحقيق مخطوطات الفقه وأصوله والفتاوى والنوازل (ص233).

قلتُ: في هذا النّص ستّة أوهام:

الأول: عدم التّفريق بيْن الكتابيْن المُدْمَجَيْن مَع بعْضِهما، فإنَّ المخطوط كاملًا يحْتوي على 68 لوحة، وكتاب الوليدي ينْتهي بانتهاء لوحة 20 كما في الصُّورة. والباقي 48 لوحة من كتاب آخر، هو المطبوع باسم الحلال والحرام.

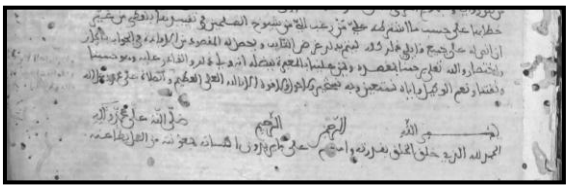

الثّاني: كناه بأبي الوليد وهو أبو الفضل.

الثالث: زاد نسبة «الغُماري» وهو وهمٌ من الناسخ وتبعه في ذلك الدكتور، فقد وردت هذه الزِّيادة في لوحة 68، وكتابُنا ينتهي عند لوحة 20 كما أسلفتُ. ولا تُعرف –في كتب التراجم– للوليدي المنسوب لبني وليد من بلاد الريف الجنوبي أيَّة صِلَة بغُمارة حتى ينسب لَها.

الرابع: تصحيحه للعنوان؛ فقد زاد فيه: «المقصد في بيان». ورجَّحها، وقال: «نصّ على التّسمية ناسخ المراكشية»، وبهذا يتبيَّن أنّ الدكتور لفَّق بين بداية كتاب الوليدي، وخاتمة كتاب آخَر في المجموع نفسِه، فوقع في اللّبس من هذا الباب.

الخامس: قوله: «وقد وردت هذه الزِّيادة في إحدى نسختَي الخزانة الحسنية»، فإذا رجعْنا لنسْخَتَي الخزانة الحسنية تبيَّن لنا أنّ الدكتور يتحدّث عن الكتاب المطبوع باسم «الحلال والحرام» المنسوب خطأً للوليدي. وقوله: «فإنّها مما خلتْ من النُّسخ المعتمدة في الطبع»، يؤكد ما ذكرتُه.

السادس: قوله: «وليس بين وفاة المؤلف وتاريخ النسخة غير 26 سنة والواقع أنَّها 12 سنة أو تزيد كما تقدّم عند الحديث على وفاة المؤلف. فليُراجع.

عليّ بن محمد القيسي، وإن كانتْ هذه الورقة متهالكة أنهَكتها الأرَضة؛ إلا أنّ المقصود منها بقي واضحًا، وفيها ما نصُّه: «الحلال والحرام... الفقيه الأجل الحسيب أبي الـ[ـحسن علي بـ]ـن محمد بن... القيسي.. يروه على من شاء، وأذِنتُ لسائر المسلمين أن يحدثوا به عنّي على الإجازة العامّة المُتعارفة، والله تعالى يجعلنا من أهل العلم العاملين ويبلغنا الفوز بالحسنى وزيادة بسببه. قال هذا وكتب بخط [يده] الفانية راشد بن أبي راشد الوليدي في السادس والعشـ[ـرين من] جمادى الآخرة من عام تسع وثمانين وستمئة، والحمد لله وحده....».

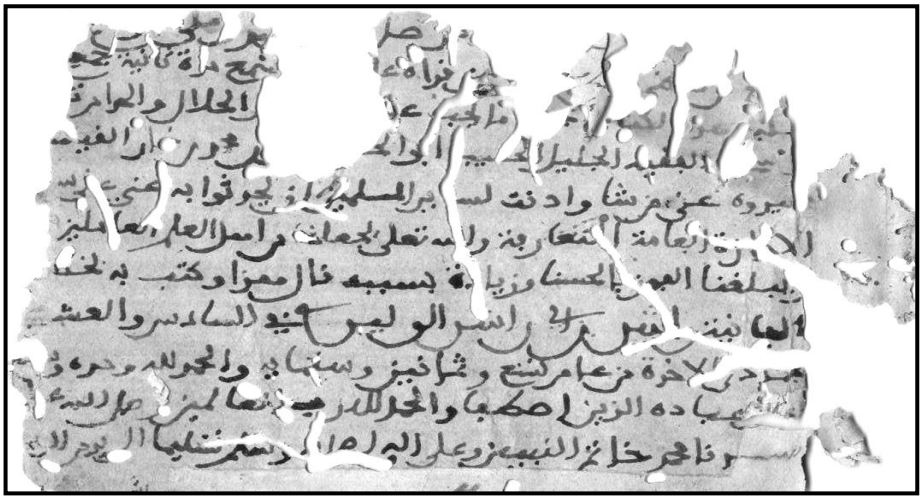

ونسبه له ابن قنفذ في «أنس الفقير»[1]، حيث قال: «الفقيه راشد بن أبي راشد الوليدي صاحب كتاب الحلال والحرام». وقد ورد في شرح زروق على الرسالة[2]: «وقد رأيتُ بخط شيْخنا أبي عبد الله القوري

(1) (ص23).

(2) (1001/2).

رحمه الله أنّ الشّيخ العالم سيدي أحمد بن علي الفيلالي سأل بعض المشارقة، هل للمالكية تأليفٌ مسْتَقِلٌّ في الحلال والحرام؟ قال: لا، إلا ما للفقيه راشد». وفي «نوازل ابن هلال»، عند الكلام على مسألة مستغرقي الذمة، قال: «ألّف فيه الشيخ الفقيه أبو الفضل راشد الوليدي شيخ أبي الحسن الصغير سماه: كتاب الحلال والحرام. وقد وقفتُ عليه». وفي «المعيار المعرب»[1]: «مسألة ابن علال الواقعة في الحلال والحرام لسيدنا الفقيه راشد». وفيه أيضًا[2]: «الفقيه راشد... من كتابه الحلال والحرام». وفي «شفاء الغليل»[3]: «قال أبو الفضل راشد في كتاب: الحلال والحرام...». وفي «مواهب الجليل»[4]: «ذكر الفقيه راشد في كتاب الحلال والحرام...». والمهدي الوزاني في «المعيار الجديد»[5]: حيث قال: «ذكر الشيخ أبو الفضل راشد في كتاب الحلال والحرام»، وذكر مسألة ابن علال السابقة.

ونُسِب له أيضًا في «درة الحجال»[6]. و«نيل الابتهاج»[7]. وقال صاحب «جذوة الاقتباس»[8]: «ذكر -أبو الفضل- في كتاب الحلال

---

(1) (115/4).
(2) (101/11).
(3) (1067/2).
(4) (384/4).
(5) (49/4).
(6) (273/1).
(7) (ص179).
(8) (ص196).

والحرام له أنه سمع من... اهـ ملخصًا منه». قوله: «ملخصًا منه» يدلّ على أنّ ابن القاضي وقفَ على الكتاب ونقل منه بلا واسطة. وأبو سالم العياشي في «ماء الموائد»[1]، فقد ذكر أنه اشترى مجموعًا في ليبيا/ تكرت، فيه تأليف الفقيه راشد في الحلال والحرام، واسْتَجْلبَه معه إلى زاويته بالرشيدية. وفي «مرآة المحاسن»[2]: «... كُتُب الحَلال والحرام... كالذي ألفّه الشيخ أبو الفضل راشد الوليدي». وفي «سلوة الأنفاس»[3]: «راشد بن أبي راشد الوليدي؛ مؤلف كتاب الحلال والحرام».

وقد كانت نسخة في مكتبة العلامة المؤرخ الشفشاوني سليمان الحوات، فقد ورد في تقييد تَرِكَتِه[4]: «كتاب الحلال والحرام لسيدي راشد الوليدي». والشيخ عبد الله كنون في «النبوغ المغربي»[5] حيث قال: «أبو الفضل راشد الوليدي صاحب كتاب الحلال والحرام». والحجوي الثعالبي في «الفكر السامي»[6]، حيث قال: «له كتاب الحلال والحرام».

بكُلّ ما سَبق أكون قد حقّقتُ عنوان «كتاب الحلال والحرام»، وتوصَّلتُ إلى إثبات نسبته لمؤلفه الوليدي.

---

(1) ماء الموائد (173/1).

(2) (ص131).

(3) (34/2).

(4) ينظر: مقال للعلامة عبد الله كنون، نشر في مجلة جامعة الدول العربية عدد9، 1963م (ص60).

(5) (147/1).

(6) (273/2).

بـيْن المَخْطـوط والكتـاب المَطبـوع باسـم «الحـلال والحـرام» المَنسوب للوَليديّ:

تأكّد لديّ تحقيق عنوان الكتاب، وتوثيق نِسْبَته لمُؤلّفه الوَليدي. وأمّا كونه صحيحًا في نفسه، بمعنى أنّ الكتاب الذي تحْت يَدي هو «كتاب الحلال والحرام» للوليدي، فبُرهان ذلك إجْراء مقارنة مُقتَضبَةٍ بَيْن المخطوط والمطبوع باسم «الحلال والحرام» بتحقيق الدكتور عبد الرّحمن العمراني.

المخطوط: يحتوي على كل النّقول التي نُسِبَت للوليدي. **بَيْنما المطبوع**: لا يحتوي عليها، وهذه حجة كافية في هذا المضمار.

المخطوط: مطابقٌ للخطّة التي ورَدَتْ في آخر الكتاب؛ وهي الاختصار دون الإشارة لأقوال الفقهاء واختلافاتهم. **بينما المطبوع**: مطوَّل، ويتطرّق للخلاف العالي أحيانًا. ويكاد يكون اختصارًا لكتاب الحلال والحرام من «إحياء علوم الدين»، مع التعليق بشيء من الشّرح. وقد ذكر ابن هلال في نوازله أثناء حديثه عن المؤلفات في موضوع الحلال والحرام فقال: «وهذا الباب اضطربت فيه الآراء جدًّا وللناس فيه تعاليق مفردة من أهل مذهبنا وغيرهم، فقد ألّف الغزالي فيه كتاب الحلال والحرام وهو من جملة كتاب «الإحياء»، وألف فيه الشيخ الفقيه أبو الفضل راشد الوليدي شيخ أبي الحسن الصُّغَيّر سماه: «كتاب الحلال والحرام» وقد وقفتُ عليه». **قلتُ**: لو كان كتاب الوليدي اختصارًا من كتاب الغزالي لنبَّه عليه ابن هلال.

المخطوط: يحتوي على مسائل تواتَر نقلُها عن المؤلف وَتداولتْها كتُب الفقه بعده؛ كمسألة ابن علال في مسألة الطلاق الثّلاث في لفظٍ واحدٍ[1]. ومسألة: جواز الشّهادَة بالملك لحائز سَنَة[2]. وما نقله عن شيخه الفشتالي بشأن إحراق كتب الغزالي والقشيري[3]. **بينما المطبوع**: فيه مسائل لم يُعرف نقلها عن الوليدي؛ كمَسْألتَي الجُبن الذي وقعَت فيه الفأرة. والفأرة التي وقعَتْ في السّمْن. ينظر: (ص202، 203، 204).

الترجيح:

كلّ ما ذكرتُه جعلني أطمئنُّ بأنّ «كتاب الحلال والحرام» الذي تصحُّ نسبته للوليدي هو المَخطوط -موْضوع المَقال- للأسباب الآتي ذكرها:

1- النُّقول عن المُؤلِّف مِنْه: فقد نَقَل عنه جَمْعٌ مِن العُلماء في مؤلفاتهم، مصرّحين باسْمِ المُؤلِّف والكتاب، ذكرتُ بعضًا منهم في: «توثيق النِّسبة»، وبعْد الرّجوع لهذه النّقول وجدتُها مُتطابقَةً تمامًا مَع ما فيه.

2- خطَّة الكتاب: ذكَر المؤلف مَنهجَه في آخر الكتاب فقال: «اخْتَصَرْتُ كلامَ فُقهائنا على المَعْنى؛ مِن نصِّ روايَةٍ؛ وَمَفْهوم أخرى... حسب ما اشترَطَه عليَّ مَن رَغب إليَّ مِن شيوخ الصّالحين في تَقييدها بِلَفْظي، مِن غيْر أن أنُصَّ له على جميع قائلي ذلك». **والمخطوط** موافق

(1) كتاب الحلال والحرام (ق46، مخطوط الخزانة الحسنية).
(2) كتاب الحلال والحرام (ق40، مخطوط الخزانة الحسنية).
(3) كتاب الحلال والحرام (ق43، مخطوط الخزانة الحسنية).

لهذه الخطة، وهي: الاختصار من كلام فقهاء المالكية بصياغته الخاصَّة. وقد التَزم بما ذكره ولم يحِدْ عن مَنهجِه إلا لمامًا.

3- تَحْديد إطار الكتاب: لاحظتُ بشيء من الاستغراب أوَّل الأمْر الفارق بيْن مَوضوع الكتاب وعنوانه، فالكتاب يعالجُ صورًا لموضوعٍ واحدٍ؛ وهو الشَّركة في صيْد السَّمك، وهو لا يتوافق مع عنوانه الكبير «كتاب الحلال والحرام» والذي من شأنه أن يعالج عدّة مسائل؛ الأمر الذي يجعلني أتساءل، هل يُعتبر هذا جزءًا من كتاب الحلال والحرام؟

أزَالَ استغرابي وأجابَ عن هذا التّساؤل نَقْلان لعالمَيْن جليلَيْن: الأوَّل: ما نقله الحطاب في «مواهب الجليل»[1] حيث حدّد بداية الكتاب فقال: «ذكر الفقيه راشد في كتاب الحلال والحرام... انظرْه في أوائِله». والثّاني: الونشريسي في «المعيار المعرب»[2]: حيث حدّد آخر الكتاب فقال: «نقلها... الفقيه راشد في آخر الجزء الثاني من كتابه الحلال والحرام»، وبهذيْن النَّصيْن يظهر أنَّ الكتاب المَعني، هو المذكور.

إشكالات حوْل الموضوع:

الأوَّل: فمِمّا يُلتفت إليه أنَّه قُدِّر لهذيْنِ الكتابَيْن (المطبوع والمخطوط) التَّجاوُر حَدّ الالْتصاق، فقَد وجدتهما مُقْتَرِنَيْن في جميع الأصول الخطِّيّة التي وقفتُ عليها، فكلّما انْتهى النّاسخ مِن «كتاب الحلال والحرام» للوليدي، بدأ مباشرة بالكتاب الذي نُسِبَ له، وكأنَّهما واحدٌ.

---

(1) (384/4).
(2) (101/11).

الثاني: في كلام «المعيار» السّابق: «آخر الجزء الثاني» إشكالٌ؛ حيث أنّ حجمَ الكتاب صغيرٌ؛ يتكون من (54 ورقة). ويزول الإشكال إذا اعتبرنا القسم الأوّل من الكتاب للنّظري، والقسم الثاني للتّطبيقي.

الثّالث: نِسْبَة الكتابِ لغيْر المُؤلف:

1- فقد نسَبه مُفهرس الخزانة الحسنية لأبي الحسَن علي بن محمد القيْسي، والواقع كما أسلفتُ في «توثيق النِّسبة»، أنّ الوليدي أجاز بكتابه هذا أبا الحسن القيسي، فظنَّ المُفهرس أنّ الكتابَ للقيسي. وذكر بعْدَه الكتاب المَنحول على الوليدي والذي طبع بأخرة. وهذه صورة من الفهرس

//	تأليف في التنجيم	
424	كتاب الحلال والحرام	أبو الحسن علي بن محمد القيسي
//	كتاب الحلال والحرام	أبو الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي
425	حديقة الأزهار في شرح ماهية العشب والعقار	القاسم بن محمد بن ابراهيم الغساني (الوزير)؟

2- كُتِب على الورقة الأولى من نسخة مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء: «تأليف في الحلال والحرام لمحمد المقري».

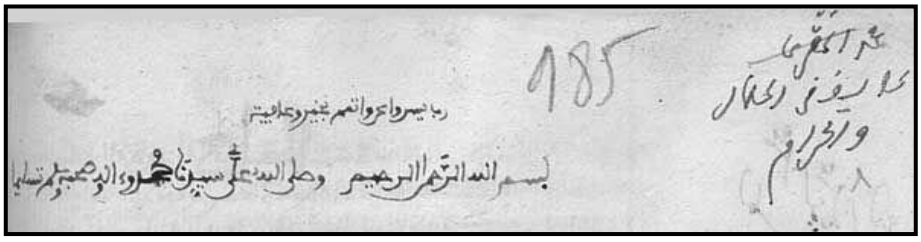

3- نَسَبه ابن القاضي في «جذوة الاقتباس»[1] لابن الأزْرق.

(1) (ص346).

وقد تكفّل المفهرس[1] بتفْنيد الادِّعـاءَيْن الأخيـرَيْن. إلا أنّـه وقـع فـي خطأيْن مثل الذي فنَّدهما:

الأوّل: نسـبَ الكتـاب لأبـي عمـران موسـى بـن محمـد التّسـولي (ت716هـ). وقال ما نصُّه: «في ظلِّ هذا الاضطراب كان من الضّروري أن نحدّد اختيارنا، وهو أنّ الكتاب **للتّسولي** وليس لابن الأزْرَق، ولنا في ذلك حجج ثلاث». وذَكَر افتراضاتٍ لا تمتُّ للحُجَج بصِلَة[2].

الثّاني: قال أيضًا: «**بحَثْنا في كلّ الفهارس المَغربية المتوفّرة** فلم نجد ذكرًا لهذا المخطوط، فلعله يكون مِن فرائد المؤسَّسة. تكمُن أهمّية الكتـاب في سياقه التاريخي».

وقد أبرزْتُ -كما سلف- بما لا مجال للشّك فيه أن الكتاب صـحيح النسبة لأبي الفضل راشد بن أبي راشد الوليدي.

يبقى السُّؤال المطروح: مَـن هـو صـاحب كتـاب: «الحـلال والحـرام» الذي طُبِعَ منسوبًا للوليدي بتحقيق د. عبد الرحمن العمراني؟

---

(1) فهرس مؤسسة الملك عبد العزيز بالدار البيضاء (ص263).

(2) وتبعهم في هذا الوَهْم؛ الدكتور مصطفى نشاط في مشاركته في الندوة العلمية المنعقدة بجامعة محمد الأول بوجـدة يـوم 13 رجـب الفـرد عـام 1440هـ، موافـق 19 مـارس 2019م. والذي عَنْون مداخلته بـ: «مخطوط الحلال والحرام لموسى التسولي المكنى بأبي إسحاق المتوفى حوالي 716هـ مصدرًا للنوازل».

لتقريب الجواب أقول: وقفتُ على أوراق[1] -مجهولة المؤلف-، ورد فيها ما نصُّه: «الحمد لله كثيرًا؛ وقفتُ على تصنيف الفقيه الخطيب أبي عبد الله ابن الشيخ الذي وضعه في حكم أموال المستغرقين، فوجدتُ تصنيف أبي زكرياء يحيى بن محمد بن الأزرق قد اختصر منه فصول الاشتباه والاستغراق والورع، وقد أخلّ منه بأبواب لم يتعرّض لاختصارها...» الخ.

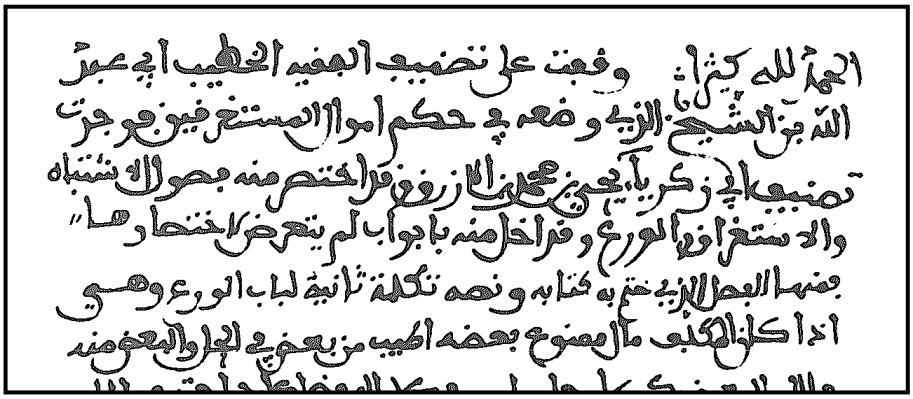

يحتوي هذا النص على معطيات ثلاث:

الأوّل: «كتاب في حكم أموال المستغرقين»، للفقيه الخطيب أبي عبد الله ابن الشيخ.

والثّاني: «اختصاره» لأبي زكريا يحيى بن محمد بن الأزرق.

والثّالث: «الاستدراك على الاختصار»، لمؤلف مجهول.

---

(1) من خمس صفحات. مخطوط في مكتبة الإسكوريال برقم 1189. وقد وقفتُ بأخَرة عليها مطبوعة مع كتاب: «التقسيم والتبيين في حكم أموال المستغرقين» بتحقيق الدكتور جمعة محمود الزريقي.

وما يعنيني هنا هو الكتاب الأوّل والثّالث؛ لأنّهما تحت يَدي.

وخلاصة ما توصلتُ إليه: أنّه إذا كان المُسْتَدْرِك قام باخْتِصار أبوابٍ من «كتاب حكم أموال المستغرقين» كما هو واضحٌ من كلامه، فإنّ «كتاب حكم أموال المستغرقين» هو الذي طُبع بأخَرة منسوبًا للوليدي باسم «الحلال والحرام».

وأدلة ذلك ما يلي: قول المستدرِك[1]: «وقد أخلّ منه بأبواب لم يتعرّض لاختصارها...» الخ، وذكر ثلاث مسائل:

الأولى: قول المستدرِك[2]: «إذا كان للمُكلّف مال مَصنوعٌ بعضه أطيب من بعض في الحلّ، والبعض منه حَلال، والبعض منه مكروه أو حرام...» الخ، هذا الكلام مختصرٌ من الكتاب المطبوع باسم «الحلال والحرام» بحروفه[3].

الثانية: قول المستدرِك[4]: «وقال أيضًا في تكْملة باب الشّبهات: وهي الفرق بيْن الرّشوة والهَدية مَع أنّ كل واحد منهما تصدر عن الرّضا...»، وذكر لها خمسة أقسام. والكلام نفسُه بأقسامه الخمسة مذكور في المَطبوع باسم «الحلال والحرام»[5].

---

(1) (ق1).

(2) (ق1).

(3) الكتاب المطبوع باسم الحلال والحرام (ص221-223) ط: وزارة الأوقاف.

(4) (ق1-2).

(5) الكتاب المطبوع باسم الحلال والحرام (ص341-342) ط: وزارة الأوقاف.

الثالثة: قول المستدرِك[1]: «وقال أيضًا في باب آخر: قال قائل: قد سأل رسول الله ﷺ عن لبن قدم إليه فذكر له أنه من شاة، فسأل عن الشاة من أين هي؟...»، وبالرّجوع للمطبوع باسم «الحلال والحرام»[2] أجِدُهما متطابقيْن مع اختصارٍ يسيرٍ.

إذَنْ: فالكتاب المطبوع باسم: «الحلال والحرام» المنسوب للوليدي، هو: «**كتاب في حكم أموال المستغرقين**»، للفقيه الخطيب أبي عبد الله ابن الشيخ. فمن هو هذا المؤلف؟

فتَّشْتُ في كتُب التّراجم بحثًا عن (الفقيه الخطيب أبي عبد الله ابن الشّيخ) صاحب «كتاب في حكم أموال المستغرقين»، فوجدتُ الكثير ممن ينطبق عليه (أبي عبد الله ابن الشيخ) دون صفة (الخطيب) ودون نسبة الكتاب لأحَدِهم، مما يطول المقام بذكرهم، فلعلي أرجِئُ ذلك وأخصُّ به مقالًا مستقلًّا.

أهمّية «كتاب الحلال والحرام» للوَليدي:

تكْمُن أهمّية الكتاب في كوْنه متخصِّصًا في النّشاط البَحري، تحديدًا الجانب المُتعلق بالشّق الفِقهي في الشّركة في الصيّد البَحري، وهذا الكتاب هو الأوّل من نوعه في هذا الباب؛ حيثُ لاحظتُ غيابًا شِبْه تامٍّ لهذه النازلة من كتب النوازل الفقهية، ولم يتطرق إليها أحدٌ فيما اطَّلعتُ عليه.

---

(1) (ق4).

(2) الكتاب المطبوع باسم الحلال والحرام (ص122-123) ط: وزارة الأوقاف.

يتعلّق الأمر في هذا المقام بالنّازلَة المِحْورية للكتاب وهي جَوازُ أكْلِ الحوت الذي يصْطاده البَحْريَة مِن عَدَمِه، بِعَقْدِ الشّركة، ثمَّ يَبيعونَه أوْ يهْدونَهُ؛ وَالحالة هذه أنَّ مَن تَقَدَّم مِنْ الفُقهاء بنَواحي بادس كان يُفتي بِفساد مُعامَلة صيادي الحوت عِنْدهُم في بَعْض الصُّوَرِ، فكان «كتاب الحلال والحرام»، بمثابة تصحيح مسار النّازلة وتكْييفها تكْييفًا دقيقًا؛ حيثُ قلَّبَ الوليديُّ النّظر في العلاقة بين الصّيادين والرّايس صاحِب الزّوْرَق؛ مُوضِّحًا الصُّوَر الفاسدة منها باتِّفاق وما يشوبها من خَفِيِّ الرِّبا، وصور الكراهة. والصُّور المختلف فيها، تخريجًا على صحّة **بيْع المَنافع** (الإجارة، والشَّركَة، وَالأكْرِية)، وذكر شروط كلّ ذلك وما يترتَّب عليْها في حالة اختلالها.

وفي هذا يقول[1]: «**وَقد جَدّ صُلحاء مرسى بادس**[2] **-عمّره الله- في السُّؤال عَنْ جَوازِ أكْلِ الحوت الذي يصْطاده البَحْريَة عندهم ثمَّ يَبيعونَه أوْ يعطونه هَديةً**؛ وَقد كان مَن تَقَدَّم مِنْ الفُقهاء بنَواحيهِمْ يفتونهم بِفساد مُعامَلة صيادي الحوت عِنْدهُم في بَعْض الصُّوَرِ، وَأنّه أشْكَلَتْ عَليْهِم الشَّركة

(1) كتاب الحلال والحرام (ق7، مخطوط الخزانة الحسنية).

(2) بادِس: تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، مرفأ فاس للعبور إلى الأندلس. وهناك مدينة أخرى تعرف بهذا الاسم في الجزائر، إلا أن المؤرّخين يفرقون بينهما ببادس فاس، وبادس الزاب. عُرِفَت مدينة بادس باحتضانها العَديد من الفُقهاء والأولياء والصّالحين منهم: الولي الصالح أبو يعقوب البادسي، وعبد الحق البادسي صاحب «المقصد الشريف». ينظر: معجم السفر، لأبي طاهر السِّلَفي (ص457)؛ ومعجم البلدان (317/1)؛ ومراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (149/1)، وأنس الفقير وعز الحقير (ص63)، ووصف إفريقيا (325/1).

الصَّحيحَة في ذلك مِنَ الفاسِدَة، فربّما تَرك بعْضُ الورعينَ مِنْهُم أكْلَ الحوت الذي يصطاد بالزَّوْرَقِ والشَّبكَة؛ مخافةً على نَفْسِه أنْ يأكل ما نيل بِعَقْدٍ فاسِدٍ فيظلم لذلك نور قَلْبه، أو يسْتحقّ العقاب بذلك مِن رَبِّه عزَّ وجلَّ».

ثم قال[1]: «وقد بحثتُ على صِفَة تعامل الصَّيّادين للحوت فأُخْبِرْتُ أنَّ تعامُلهُمْ على صُورٍ مُخْتلِفَةٍ؛ منْها: جائز العَقْد. ومنْها: ما هو فاسد العَقْد، يُفْسَخُ في القيام وَفي الفَوات، ويتراجَعان في ذلك على حُكم البيْع الفاسِد. ومنْها: ما يختلف في فسادِه وصحَّته، وإذا كان الوجْه فساده فَيفْسخُ ما لم يَفُتْ بالعَمل، فإنْ فات مَضى على ذلك، إلا أنَّه يقْسَمُ الرِّبحُ فيه على قَدْرِ كراءِ ما نيلَ بِه الكَسْبُ مِنْ آلةٍ وَيَدٍ...».

ثم ختم ببيان ضوابط الفتوى ومراتبها وشروط المفتي وأحكامه، وحكم الفَتْوى بالشّاذِّ وَنَقْض الحُكْم بِه، وهل يجوز للمُفْتي أن يُلْزِم المُسْتفتي بقولٍ، أو هو كالوصيِّ يعرض للمُسْتَفتي الأقْوال وهو يختار؟ وبيَّن ما يلزم المُقلّد بسَببِ تقليده بعضَ الأئمَّة، وأحكام المُفْتي لَه في نَفْسِه. ونَقل في هذه المَسْألة نصًّا مِن كتابٍ هو في حُكم المَفقود حاليًا، هو كتاب: «الاستظهار في مسائل الخلاف» لابن رشد.

بالإضافة لذلك فإنّه يحتوى على نصوص صحَّحتْ مفاهيم مَغلوطة نُقِلَت عن المُؤلِّف، كمَسْألة إحراق كتب الغزالي، وهو النَّصُّ الوحيد الذي نُقِل عن هذا العالِم وتصرَّف فيه بعضُ العلماء ففُهِم بالخَطإ.

(1) كتاب الحلال والحرام (ق7، مخطوط الخزانة الحسنية).

نقل ابن القاضي[1] في ترجمة الوليدي، عن شيخه الفشتالي نصًّا يتضمَّن رغبته في إحرق كتب الغزالي والقشيري، ونصُّه: «فائدة: ذَكَر في كتاب الحلال والحرام له أنّه سمع من أبي محمد عبد الله بن موسى الفشتالي: أن التائب إذا اقتصر على ما عند علماء الظاهر أولى وأسلم، بل لا يجوز اليوم اتخاذ شيخ لسلوك طريق المتصوفة أصلًا لأنهم يخوضون في فروعها ويهملون شروط صحتها وهو باب التوبة؛ إذ لا يصح بناء فرع قبل تأسيس أصله. قال: وسمعته يقول: لو وجدت تآليف القشيري لجمعتها وألقيتها في البحر. قال: وكذلك كتب الغزالي. قال: وسمعته يقول: إني لأتمنى على الله أن أكون يوم الحشر مع أبي محمد بن أبي زيد لا مع الغزالي، بل مع أبي محمد يسكر، فذلك أكثر أمنًا لي على نفسي.اهـ ملخصًا منه».

وطار بهذا النَّص الانتقائي فرحًا بعضُ المعاصرين ووظّفه توظيفًا بعيدًا عن سياقه. والعَتَب على ابن القاضي رحمه الله حيثُ انتقى من النَّصِّ ما يروِّج لهذه الفكرة، ولم يذكر من النَّصِّ قوله: «... وهذا مَع اتِّفاق الصّوفية والعُلماء أنّه (أي: القشيري) سُنِّيٌّ متّبِعٌ وليْس بمُبْتَدِع؛ وكذا كتب الغزالي؛ يجبُ أن يقلّد حيثُ يتكلّم في الفِقْه؛ هو إمامٌ مُتَّفقٌ على تقديمه. وما وراء ذلك مِن غوامِض العُلوم المُتعلّقة بالعالم الغائب **ينبغي للضَّعيف أن يَعْزِل سَمْعَه عنْها**، فقد خاطر في ذلك بنَفسِه **وَربَّما يَدْخل في اعتقاد سامع كلامه ما هو مستغنى عنه**».

(1) جذوة الاقتباس (ص196).

يظهر من النص السابق ثلاثة أمور:

الأوّل: قوله: «اتِّفاق الصّوفية والعُلماء أنّه سُنِّيٌّ متّبِعٌ وليْس بمُبْتَدِع» يدلُّ على أن الفشتالي لم ينتقد القشيري وكتبَه لبدعة مُنكرَة عنده في كتبه.

الثاني: قوله: «وكذا كتب الغزالي؛ يجبُ أن يقلّد حيثُ يتكلّم في الفِقْه؛ هو إمامٌ مُتَّفقٌ على تقديمه...»، يدل على أنّ غيْر المُتمكّن في العلوم لا يسمح له بالنَّظر فيما وراء الفِقْه عنْده، ليَلّا يؤدّي ذلك إلى ما لا تُحْمَد عُقباه كما هو واضح من كلامه.

الثالث: ذكَر -الوليديُّ نقلًا عن شيخه- بعد هذا الكلام نصيحة لمَن أراد أن يطالع في كتب التّصوف، فعليْه بـ«تواليف الحارث بن أسَد المُحاسبي».

وبناءً عليه، فإنّ كلامه موجَّه للعامَّة؛ إذْ كتب المحاسبي خَلَتْ مِن شائبة عِلْم الكلام، وهو ما يفسِّره كلام الوليدي الآتي؛ حيث ذكر سبب إيراده هذا الكلام فقال[1]: «حَملني على جلب هذه الحكاية ما بلغني عنْ بعضهِم أنَّه يتقرَّب بما لم يتقرّب بِه الصَّحابة الأخْيار، مِن المُهاجرين وَالأنْصار».

وقال أيضًا في السياق نفسه: «وأعْجَبُ من ذلك أنَّه بَلغني أنَّ بَعْض العبّاد مِمَّن اشْتَغل بِدقائق الورع فيما لمْ يأمُرْ به النَّبيُّ ﷺ ولا بلغ مثله عن فقهاء الصَّحابة والتّابعين، وأنّه يشْترط في أخْذ الأمْوال من يَدِ ملاكها

(1) كتاب الحلال والحرام (ق44، مخطوط الخزانة الحسنية).

السُّؤال عن أصْلها وعن أصْل أصْلِها، وَعن أصْلِ أصْلِ أصْلها، فلمْ يقْنع بالسُّؤال إلا عن ثلاث درجاتٍ، وأنْ يكون الذي باشَر منْه الأخْذ يكْتسِبُها على طهارة تسْتباح بها الصَّلاة. فهذا أشَدّ مِن ورع المُوسْوَسين، ولا شَكَّ أنَّ هذا من التَّنطُّع المَنْهيّ عنْه؛ لأنَّ جميع ظواهر الشَّريعة تردّه، وَقد ثَبَتَ أنَّ النَّبيَّ ﷺ مات وَدِرْعُه مَرْهونَةٌ عِنْد يهوديٍّ في آصُع مِن شَعير... فهذه مسْألة اشْتهرَتْ عن بَعْض الصّالحين وليْتَها لمْ تسمع حتى يُتَحَدَّث بها، فإنَّ ضرَرها بيِّنٌ جدًّا؛ فأقلّها أن تَعْتَقِدَ العامَّة أنَّ منْزِلة هذا الرَّجُل تزيد على منْزلة الصَّحابَة والتّابعين...».

خاتمة بأهم النتائج

رحلتي مع كتاب الحلال والحرام للوليدي دامت نحو أربع سنوات حتى توصلت لهذه النتائج التي أحسب أنّه لم يُسبق وأن ذكرها كلَّها أحدٌ فيما اطلعتُ عليه، وهي على النحو الآتي:

1- توصلتُ من خلال الإجازة التي كتبها المؤلف بأنّه كان على قيْد الحياة عام 689هـ، خلافًا لما أجمعت عليه كتب التراجم أنه مات عام 675هـ.

2- قطعتُ بما لا مجال للشّك فيه بأنّ هذا الكتاب هو الذي تصح نسبته للوليدي، وليس المطبوع باسم الحلال والحرام، ط: الأوقاف.

3- فنَّدتُ زَعْم مَن نسبه للقيسي، أو للتّسولي، أو لمحمد المقري، أو لابن الأزرق.

4- حققتُ عنوان الكتاب؛ «كتاب الحلال والحرام»، وليس «المقصد في بيان الحلال والحرام» كما جاء على الورقة الأولى من النسخة المراكشية.

5- كشفتُ الجهالة عن عنوان الكتاب الذي نُسِبَ للوليدي والمطبوع باسم «الحلال والحرام»، وهو: «كتاب في حكم أموال المستغرقين».

قائمة بأهم المراجع

أولًا: المخطوطة

1- الجواهر المختارة فيما وقفت عليه من النوازل في جبال غمارة، تأليف: عبد العزيز بن الحسن الزياتي الغماري (ت1055هـ).

2- ذيل على كتاب في حكم أموال المستغرقين، لمجهول، محفوظ في خزانة دير الأسكوريال تحت رقم 1189.

3- شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني، لأبي زيد عبد الرحمن الجزولي (ت741)، قِطعة القرويين المحفوظة تحت رقم 1148.

4- قرة العين في شرح المرشد المعين، للعلامة محمد بن السالك الجرني المراكشي، من مخطوطات الخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 348.

5- كتاب الحلال والحرام للوليدي. مخطوط، نسخة الخزانة الحسنية بالرباط رقم (424).

6- ناصر الحكام شرح تحفة الحكام، للعلامة أحمد بن محمد ابن عرضون، محفوظ أصله في الخزانة الملكية بالرباط.

7- نوازل، أحمد بن المأمون البلغيثي، مخطوط خاص.

ثانيا: المطبوعة

8- إحراز الخصل في فهرسة القاضي أبي الفضل، عباس بن إبراهيم المراكشي، (ت1378هـ)، تحقيق: إدريس الشراوطي، دار الأمان – الرباط، ط1، 1434هـ/ 2013م.

9- أنس الفقير وعز الحقير، لأبي العباس أحمد الخطيب الشهير بابن قنفذ (ت810هـ)، اعتنى بنشره وتصحيحه: محمد الفاسي، وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس.

10- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس، لأحمد ابن القاضي المكناسي، (ت1025هـ)، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1393هـ/1973هـ.

11- درة الحجال في أسماء الرجال، لأبي العباس أحمد بن محمد المكناسي الشهير بابن القاضي (ت1025هـ)، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط: مكتبة دار التراث بالقاهرة، والمكتبة العتيقة بتونس.

12- الرحلة العياشية للبقاع الحجازية المسمى (ماء الموائد)، لأبي سالم العياشي، تحقيق: د. سعيد الفاضلي د. سليمان القرشي، الطبعة الأولى 2006م.

13- سلوة الأنفاس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس، لأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني (ت1345هـ)، تحقيق: عبد الله الكامل الكتاني، وحمزة بن محمد الكتاني، ومحمد حمزة بن علي الكتاني، ط: دار الثقافة الدار البيضاء.

14- سند المذهب المالكي وسلسلة رجاله، تأليف أبي زيد عبد الرحمن الفاسي الفهري (ت1096هـ)، اعتنى به د. نايف بن عبد الرحمن آل الشيخ مبارك، ط: مكتبة ذخائر الوراقين القاهرة، الطبعة الأولى 1438هـ.

15- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد ابن سالم مخلوف (ت1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، ط: دار الكتب العلمية، لبنان، الطبعة: الأولى 1424هـ/ 2003م.

16- شرح العلامة أحمد بن محمد البرنسي الفاسي المعروف بزروق (ت899هـ)، على متن الرسالة للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي زيد القيرواني (ت386هـ)، ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى 2006م.

17- شرح المنهج المنتخب إلى قواعد المذهب، للعلامة المنجور أحمد بن علي (ت995هـ)، دراسة وتحقيق: محمد الشيخ محمد الأمين، ط: دار عبد الله الشنقيطي. د. ت.

18- شفاء الغليل في حل مقفل خليل، لأبي عبد الله محمد بن أحمد ابن غازي المكناسي (ت919هـ)، دراسة وتحقيق: الدكتور أحمد بن عبد الكريم نجيب، ط: مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث،

القاهرة – جمهورية مصر العربية، الطبعة: الأولى، 1429 هـ – 2008م.

19- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، لمحمد بن الحسن بن العربيّ بن محمد الحجوي الثعالبي الجعفري الفاسي (ت1376هـ)، ط: دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى – 1416هـ/ 1995م.

20- فهرس أحمد المنجور، (ت995ه)، تحقيق: محمد حجي، مطبوعات دار المغرب – الرباط، 1396ه/1976م.

21- فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية، لمجموعة من المؤلفين، ط: مؤسسة الملك عبد العزيز آل سعود، سنة 2005م.

22- الفهرسة الصغرى والكبرى لأبي عبد الله محمد التاودي بن سودة (ت 1209) دراسة وتحقيق د عبد المجيد الخيالي مركز التراث الثقافي المغربي دار ابن حزم 1430–2009.

23- فهرسة المنتوري، لمحمد بن عبد الملك بن علي القيسي المنتوري، تحقيق: محمد بن شريفة، مطبوعات الرابطة المحمدية للعلماء، ط1، 1432هـ/2011م.

24- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ)، تحقيق: محمد مطيع، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربي، 1421هـ/2000م.

25- كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، لأحمد بابا التنبكتي (ت1036هـ)، تحقيق: محمد مطيع، مطبوعات وزارة الأوقاف المغربي، 1421هـ/2000م.

26- مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن: لمحمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري، (ت1052هـ)، تحقيق: محمد حمزة بن علي الكتاني، دار ابن حزم، ط1، 1429هـ/2008م.

27- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المومن بن عبد الحق ابن شمائل القطيعي البغدادي، (ت739هـ)، دار الجيل بيروت، ط1، 1412هـ.

28- معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت626هـ)، ط: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، 1995م.

29- معجم السفر، لأبي طاهر السِّلَفي أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني (ت576هـ)، تحقيق: عبد الله عمر البارودي، ط: المكتبة التجارية – مكة المكرمة.

30- المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوي المتأخرين من علماء المغرب لأبي عيسى المهدي الوزاني (ت1342) قابله وصححه على النسخة الأصلية الأستاذ عمر بن عباد منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية 1417-1996.

31- المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب، لأبي العباس أحمد بن يحيى بن محمد الونشريسي (ت914هـ)، خرجه جماعة من الفقهاء: بإشراف الدكتور محمد حجي، ط: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية 1401هـ.

32- مقال للعلامة عبد الله كنون، نشر في مجلة جامعة الدول العربية المجلد التاسع عدد 9، 1963م.

33- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، لأبي عبد الله محمد بن محمد المعروف بالحطاب الرُّعيني (ت954هـ)، ط: دار الفكر، الطبعة: الثالثة 1412هـ - 1992م.

34- النبوغ المغربي في الأدب العربي، لعبد الله كنون، ط2، بيروت - لبنان، 1961م.

35- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا التنبكتي، (ت1036هـ)، تحقيق: علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، ط1/ 1423هـ/2004م.

36- ورقات عن حضارة المرينيين، لمحمد النوني (ت1999م)، ط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.

37- وصف إفريقيا، للحسن بن محمد الوزان المعروف بليون الإفريقي، ترجمة: محمد حجي، ومحمد الأخضر، ط: دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية 1983م.

* * * *

كتاب «المبشرات النبوية» للشيخ عبد الحي الكتاني وقيمته العلمية في بيان أحاديث الرؤى الصالحة

أنوار المحساني
باحث في التراث المخطوط

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين، سيدنا محمد وعلى أبويه الكريمين، إبراهيم وإسماعيل.

وبعد:

فإن للحديث عن الرُّؤى أهميَّة كبيرة، تظهر جليَّةً في اهتمام القرآن الكريم والسُّنة النبويَّة بها، كما تظهر في ارتباطها بالعقيدة من حيثُ عَلاقتُها بالنبوَّة والوحي؛ فهي جزءٌ من أجزاء النبوَّة، وهي من مبشِّرات النبوَّة، ورُؤيا الأنبياء وحيٌ؛ بل هي مبدأ الوحي للأنبياء، كما أنَّ لها ارتباطًا بالرُّوح، وهذه المسائل كلُّها من مباحث العقيدة. كما يدعو للحديث عن الرُّؤى أيضًا حاجةُ جميع طبقات النَّاس إلى معرفة حقيقتها؛ لارتباطها بحياتهم اليوميَّة، وكثيرًا ما يتحدَّثون عنها، ويسألون عنها أهلَ الذِّكر.

والحقيقة أن الكلام في عالم الرؤى والأحلام والبشارات وما يتعلق بهذا العلم من أحكام وقضايا وقصص وحكايات ومنامات كلام طويل جدًّا، ولا تكاد تجد أحدًا من النّاسِ إلّا وهو ضارب فيه بسهمٍ وآخذ منه بسبب،

وما ذاك إلّا لأن تلك المنامات في مجملها هي بشارات للطّائعين، ونذارات للعاصين، أضِف إلى ذلك حبّ النّاس الاطلاع على الغيب واستشرافه، من أجل معرفة ذاك المستقبل الذي يؤملون، وقد قال رسول الله ﷺ «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة»[1]. وقد جعل رسول الله ﷺ الرؤيا الصّادقة في آخر الزّمان من علامات القيامة الصغرى، فقال: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب»[2].

وفي مقابل هذه الرؤى الصالحة هنالك منامات مبعثها وساوس الشيطان، وعبثه ببني آدم، ويعبّر عنها بالأحلام، قال النبي ﷺ «الحلم من الشيطان»[3]، وقال عليه الصلاة والسلام: «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: منها تهويل من الشيطان ليحزن بن آدَمَ»[4]. ومثل ذلك ما رآه أحد الصحابة في المنام أن عنقه سقط من رأسه فاتّبعه وأعاده إلى مكانه، فقال له النبي ﷺ «إذا لعب الشيطان بأحدكم في منامه فلا يحدثنّ به الناس»[5].

---

(1) أخرجه البخاري في: صحيحه: كتاب التعبير، باب: المبشرات، برقم: 6990. من طريق أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب: الرؤيا، برقم: 2263. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: التعبير، باب: الحلم من الشيطان، فإذا حلم فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله عز وجل. برقم: 7005. من طريق أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

(4) أخرجه ابن حبّان في: صحيحه، كِتَابُ الرُّؤْيَا، برقم: 6042. عَنْ عَوْفِ بن مَالِكٍ رضي الله عنه.

(5) أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب الرؤيا، باب: لا يخبر بتلعب الشيطان به في المنام، برقم: 2268. عن جابر رضي الله عنه.

وبين هذين النوعين نوعٌ ثالثٌ، هو مجرّد تفاعل النّفس تجاه الواقع الذي تعيشه، والمواقف التي تمرّ بها، فتستخرج مخزون ما تراه أو تعايشه في نومها، فذلك ما يسمّى بأضغاث الأحلام، وأحاديث النّفس التي لا تعبير لها، قال ﷺ «الرُّؤْيَا ثَلَاثَةٌ: مِنْهَا تَهْوِيلٌ مِنَ الشَّيْطَانِ لِيُحْزِنَ ابْنَ آدَمَ، وَمِنْهَا مَا يَهُمُّ بِهِ الرَّجُلُ فِي يَقَظَتِهِ فَرَآهُ فِي مَنَامِهِ»[1].

إذن فالرؤى ثلاثة أنواع: رؤى صالحة وعليها مدار كلامنا، ومنامات سببها وساوس الشيطان، وأحاديث النّفس، وما يهم به الإنسان في يقظته، فتحدثه به نفسه في منامه. بَيْدَ أنّ سؤالًا مهمًّا ينقدح في الذّهن، وهو كيف يتعامل المرء مع هذه الأنواع، ويميّز بينها؟ لقد بيّن النّبي ﷺ أنّ على من رأى الرؤيا الصّالحة أن يستبشر بها، وألّا يحدِّث بها إلّا ذوي الفضل والصلاح، فقد قال ﷺ «الرؤيا الحسنة من الله، فإذا رأى أحدكم ما يحبّ فلا يحدث به إلا من يحب»[2]، وقال ﷺ «لم يبق من النبوة إلا المبشرات، قالوا: وما المبشرات؟ قال الرؤيا الصالحة»[3].

أمّا إن كان ما رآه من جنس الأحلام المزعجة وتلاعبات الشيطان، فقد أرشد النبيّ ﷺ صاحبها بأربعة أمور: أن يتعوّذ بالله من شرّ الشيطان وشرّ ما رآه، وأن يبصق عن يساره ثلاثًا، وأن يتحوّل من شقّه الذي ينام

---

(1) جزء من حديث طويل أخرجه ابن حبان في: صحيحه. وقد تقدم تخريجه.

(2) أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: التعبير، باب: إذا رأى ما يكره فلا يخبر بها ولا يذكرها، برقم: 7044. من طريق أبي قتادة رضي الله عنه.

(3) تقدم تخريجه.

عليه إلى الشق الآخر، وألّا يخبر بها أحدًا، ويستفاد ذلك من قوله ﷺ «وإن رأى ما يكره فليتفل عن يساره ثلاثًا، وليتعوّذ بالله من شر الشيطان وشرها، ولا يحدّث بها أحدًا؛ فإنّها لن تضره»[1].

وقضيّة أخرى لها أهمّية بالغة، وهي أنّ من رأى النّبي ﷺ في المنام، فقد رآه حقًّا، بشرط أن يكون قد رآه على صفته الحقيقيّة المذكورة، في كتب الشمائل وغيرها، ودليل ذلك قوله ﷺ «من رآني في المنام فقد رآني؛ فإن الشيطان لا يتمثّل في صورتي»[2].

ومن الخطورة بمكان أن يستوضح صاحب الرؤيا أو يطلب تأويلها من أيّ أحد؛ فقد تكون سببًا في هلاكه، أو وقوع الضرر به؛ إذْ عليه ألّا يسأل إلّا من يثق بعلمه ودينه، ولذلك قال النبي ﷺ «إنّ الرُّؤْيَا تَقَعُ عَلَى مَا تُعَبَّرُ، وَمَثَلُ ذَلِكَ مَثَلُ رَجُلٍ رَفَعَ رِجْلَهُ ، فَهُوَ يَنْتَظِرُ مَتَى يَضَعُهَا ، فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ رُؤْيَا ، فلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا ، أَوْ عَالِمًا»[3].

---

(1) أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب التعبير، باب: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، برقم: 6986. ومسلم في: صحيحه، كتاب الرؤيا، برقم: 2261. واللفظ لمسلم. عن أبي قتادة رضي الله عنه. وزاد في رواية أخرى: «وليتحول عن جنبه الذي كان عليه».

(2) أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: العلم، باب: إثم من كذب على النبي ﷺ برقم: 110. ومسلم في: صحيحه، كتاب الؤيا، باب: قول النبي عليه الصلاة والسلام، من رآني في المنام فقد رآني، برقم: 2268. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

(3) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، برقم: 8177. عن عن أنسرضي الله عنه.

ومن الأمور التي جاء التنبيه عليها حرمة ما يقوم به بعض ضعاف النفوس من اختلاق بعض الرؤى والأحلام رغبةً في الإثارة أو التشويق؛ فقد ورد الوعيد الشديد على ذلك في حديث ابن عباسرضي الله عنهما. أن النبي ﷺ قال: «من تحلّم بحلم لم يره، كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين، ولن يفعل»[1]. وفي حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أفرى الفرى أن يُري عينيه في المنام ما لم تريا»[2].

وكتب الحديث والسنّة تذكر جانبًا من منامات الرسول ﷺ كمثل رؤيته لدار الهجرة قبل ذهابه إليها[3]، وما أصاب المؤمنين يوم أحد من قتل[4]، ورؤيته لبعض أصحابه الذين سيغزون بعد موته ويركبون البحر[5]، ورؤيته عليه الصلاة والسلام لمفاتيح خزائن الأرض التي وضعت بين يديه[6]، وللملائكة وهي تحمل له عائشة رضي الله عنها، قبل زواجه بها،

---

(1) أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب التعبير، باب: من كذب في حلمه، برقم: 7042. عن ابن عباس رضي الله عنه.

(2) أخرجه أحمد في: مسنده برقم: 5711.

(3) ينظر صحيح البخاري: كتاب مناقب الأنصار، باب: هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة، برقم: 3905.

(4) ينظر صحيح البخاري: كتاب المناقب، باب: علامات النبوة في الإسلام، برقم: 3622.

(5) ينظر موطأ الإمام مالك: رواية يحيى بن يحيى الليثي، برقم: 1336. وصحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، برقم: 2788.

(6) ينظر صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب: قول النبي ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر». برقم: 2977.

وتقول له: «هذه امرأتك»[1]، ورؤيته لجانبٍ من عذاب البرزخ[2]، ورؤيته لعيسى عليه السلام وهو يطوف بالكعبة، ومشاهدته للمسيح الدجّال[3].

وكان للنبي ﷺ نصيبٌ من تأويل الرؤى، فقد أوّل عرض النّاس عليه وعليهم ثيابٌ منها ما يبلغ الصدر، ومنها ما هو دون ذلك، وعرض عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعليه قميص يجره، أنه الدين، وأوّل عليه الصلاة والسلام رؤيا له تتعلّق بشربه لوعاء من لبن ثم إعطائه لما بقي في الوعاء لعمربن الخطاب رضي الله عنه، أنّه العلم[4]، وأوّل رؤياه لدار عقبة بن رافع رضي الله عنه، وتناوله للرّطب بالرفعة في الدنيا، والعاقبة في الآخرة، وأن الدّين قد طاب[5]، وغير ذلك من الرؤى المبثوثة في كتب السنة.

وفي هذا السياق جاء تأليف الشيخ عبد الحي الكتاني حفظه الله[6]،

---

(1) جزء من حديث أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب: مناقب الأنصار، باب: تزويج النبي ﷺ عائشةرضي الله عنها، وقدومها المدينة، وبنائه بها. برقم: 3895.

(2) ينظر صحيح البخاري: كتاب التعبير، باب: تعبير الرؤيا بعد صلاة الصبح. برقم: 7047.

(3) ينظر صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب: قول الله تعالى ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنَ أَهْلِهَا﴾ سورة مريم: 16. برقم: 3440.

(4) ينظر صحيح مسلم: كتاب الفضائل، باب: من فضائل عمر رضي الله عنه، برقم: 2390. و2391.

(5) ينظر صحيح مسلم: كتاب الرؤيا، باب: رؤيا النبيﷺ برقم: 2270.

(6) مصادر ترجمته:

1- «مطالع الأفراح والتهاني»، لعمر بن الحسن الكتاني.

2- «النبذة اليسيرة»، لمحمد بن جعفر الكتاني (ص222-223). =

كتابه هذا المعنون بـ: «المبشرات النبوية»، أو: «البشرى والنوال، فيما روي لنا من مرائي سيد الأرسال».

تأكيد نسبة الكتاب:

(أ) توثيق العنوان:

صرح الإمام الحافظ عبد الحي الكتاني في مقدمته باسم كتابه هذا، فقال: «مسميًا له: البشرى والنوال بما روي لنا من مرائي سيد الأرسال»، إلا أنّه اشتهر باسم «المُبشّرات النبوية»، كما كان يذكره المؤلف في كتبه الأخرى كالإفادات والإنشادات، وبنفس العنوان ذكره له ابنه القاضي عبد الأحد الكتاني في مقدمة «فهرس الفهارس».

(ب) توثيق نسبة الكتاب لمؤلفه:

لا شك أنّنَا بإثباتنا لعنوان الكتاب، قد أثبتنا نسبته إلى مؤلفه، ونزيد هذا بيانًا فنقول: هذا الكتاب من مُصنّفات الإمام الحافظ السيد عبد الحي الكتاني رحمه الله التي لم يرد لها ذكر في أكثر كتب التراجم والبرامج التي ترجمت له، وأوردت أسماء مؤلفاته، كما لم يرد عنه نقل في المصادر التي أوردت أقوالًا ونقولات عن كتبه، إلّا أن نسبته إلى مؤلفه الحافظ ثابتة قطعًا بأدلّة واضحة بيّنة، أهمها:

= 3- «قدم الرسوخ» لأحمد بن العياشي سُكَيْرِج (ص359-363).
4- «الكواكب الزاهرة» لمحمد الباقر الكتاني (ق69-71).
5- «الثبت الكبير» لحسن المشاط المالكي (ص171-178).
6-«الدليل المشير» لأحمد بن حسين الحبشي الباعلوي (ص148-175).

أولًا: صَرَّح الإمام الحافظ نفسه بنسبة هذا الكتاب إليه في مقدّمته؛ حيث صدر كتابه بقوله: «فيقول العبد المفتقر المحتاج مُحمَّد عبد الحي ابن الشيخ عبد الكبير الكتاني الحسني الإدريسي تاب عليه مولاه، آمين: إنّي لمَّا فرغتُ بابزو[1] من جمع جزء «الإفادات والإنشادات»[2]، فبعد وصولي لدمنات[3] فاتح ذي القعدة، عام 1334 هممتُ بجمع جزء آخر في «المبشرات النبوية»... مسميًا له: «البشرى والنوال بما روي لنا من مرائي سيد الأرسال».

ثانيًا: ما كتبه المؤلف بعد المبشرة الواحدة والثمانين: «انتهى هنا ما كتبت بدمنات في يومين آخرهما يوم الجمعة 3 قعدة عام 1334 بقلم جامعه مُحمَّد عبد الحي الكتاني سامحه مولاه آمين».

---

(1) «بْزُو» قرية صغيرة من أجمل القرى الأطلسية، تقع في سفح الجبل، فوق هضاب مشرفة على «وادي العبيد» وبلاد «هَنْتِيفَة»، وبها زاوية «أغْبَالُو»، ومدرسة قديمة، وقلعة حربية، تُحيط بها البساتين والحقول والجنان من كل جانب، واشتهرت – بالخصوص – بنوع من نسيج الصوف الرقيق المسمى بالبَزِيوِي؛ له شهرة كبرى بأسواق المغرب، تقع على بعد 85 كم من «تَنَانْت» في الطريق المتفرعة عن طريق مراكش – بني ملال، انظر «كتاب المغرب» للأستاذ الصدّيق بن العربي ص(78).

(2) طبع بدار الحديث الكتانية بتحقيق الأستاذين الباحثين عبد الهادي جمعون وعبد الإله الصالح.

(3) قرية كبرى من قرى الأطلس، بُنيت فوق هضاب يبلغ ارتفاعها 960م، مشرفة على سهول «السراغنة»، محفوفة بغابة أشجار الزيتون، وكان بها مَلاح (حي) كبير لليهود وقصبة تاريخية، تقع وسط مناظر طبيعية خلابة؛ أشهرها: كهوف «إيمي نِيفْري»، تقع على بعد 112كم من مراكش «كتاب المغرب» (ص135).

ثالثًا: انتسابه في كثير من المواطن في الكتاب إلى والده الإمام عبد الكبير الكتاني[1].

رابعًا: تصريحه بذلك في كتابه «الإفادات والإنشادات»، فقد كتب على هامش بعض الإفادات التي شطّب عليها: «تنقل إلى جزء المبشرات النبوية».

خامسًا: ذكر في كتابه: «بيوتات جبل درن وزواياه ورجاله»، وقال فيه:[2] «في نحوأربع كراريس، ألّفته ببلاد تادلا أيضًا ودمنات».

سادسًا: ذكره له ولده القاضي السيّد عبد الأحد الكتاني ضمن مؤلفاته في مقدمة «فهرس الفهارس»[3]، قال: «جزء في المبشرات النبوية التي رويت له بالمسند المتصل ألّفه ببلاد تادلة ودمنات».

سابعًا: نسبه له العلامة السيّد عمر بن الحسن الكتاني في: «مطالع الأفراح والتهاني»[4]

ثامنًا: ذكره له القاضي السيد أبو بكر الحبشي المكي في كتابه: «الدليل المشير»[5].

---

(1) هو الشيخ أبو المكارم، عبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحسني الإدريسي الكتاني، ولد بفاس سنة: 1268هـ، وتوفي سنة: 1333هـ. ترجمه المؤلف في «فهرس الفهارس» (2/ 743-748)، و«النجوم السوابق الأهلة» (ق63-74)، وانظر: «إتحاف المطالع» (410/2).

(2) (ق54 رحلة الحوز ومراكش والصويرة).

(3) (27/1).

(4) (ص460).

(5) (ص168).

تاسعًا: ومما يؤكد صحة نسبة هذا الكتاب للشيخ عبد الحي الكتاني أن الكتاب بخط يده الشريفة.

عاشرًا: نقل منه المؤرخ محمد بن مصطفى بوجندار في كتابه: «الاغتباط بتراجم أعلام الرباط»[1].

تاريخ تأليفه:

لقد شرع الإمام المؤلف في جمع هذا السّفر بعد انتهائه من جزء «الإفادات والإنشادات» مباشرة، كما في مقدمته، قال: «إنّي لمَّا فرغتُ بابزو من جمع جزء «الإفادات والإنشادات»، فبعد وصولي لدمنات فاتح ذي القعدة، عام 1334 هممتُ بجمع جزء آخر في «المبشرات النبوية».

وفي ثنايا الكتاب يذكرنا - أيضًا - بتاريخ تأليفه، فقد كتب بعد الانتهاء من نصفه الأول: «انتهى هنا ما كتبت بدمنات في يومين آخرهما يوم الجمعة 3 قعدة عام 1334 بقلم جامعه مُحمَّد عبد الحي الكتاني سامحه مولاه آمين».

ثم كتب بعده بعدة صفحات: «من أول الكراسة إلى هنا؛ كتب ببلاد الرحامنة بدار مقدمنا سيدي مُحمَّد بن الطاهر يوم الثلاثاء 27 قعدة عام 1334».

---

(1) (ق 23 من المخطوط).

وصف النسخة المخطوطة للكتاب:

لم أقف إلّا على نسخة يتيمة لهذا الكتاب، وهي بخط مؤلفه الحافظ السيد عبد الحي الكتاني، وهي محفوظة بالخزانة الملكيَّة العامرة بمراكش، ضمن مجموع تحت رقم 12873، وهي في أربعين ورقة، من الورقة مائة إلى الورقة أربعين ومائة، في كل ورقة صفحتان، وفي كل صفحة سبعة عشر سطرًا، في كل سطر ما بين تسع وثلاث عشرة كلمة، وكلّها بخطّ المؤلف ما عدا بعض الورقات، وعليها كثير من الطرر والحواشي، وبعض التشطيبات.

بواعث التأليف:

تحظى الرؤى الصالحة أو المبشرات بأهمية بالغة في ديننا الحنيف، ويكفي أن نلقي نظرةً إلى التراث النبوي الذي تركه النبيﷺ ليتبيّن لنا الكثير مما يتعلّق بهديه عليه الصلاة والسلام في قضيّة الرؤى والأحلام، وكيفيّة التعامل معها.

وإذا تحدّثنا عن علاقة ﷺ مع عالم الأحلام والرؤى، فقد بدأت في وقتٍ مبكّر من عمره، فقد كانت أولى علامات صدق نبوّته ومبعثه، كما قالت عائشة رضي الله عنها: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح»[1].

(1) جزء من حديث طويل أخرجه البخاري في: صحيحه، باب: كيف كان بدء الوحي =

والرؤى في الأصل تُطلق على ما يراه الإنسان في نومه، وتكون حقًّا من عند الله تعالى بما تحمله من بشارة أو نذارة، وهي جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النّبوّة.

ويبيّن النبي ﷺ ذلك بقوله: «الرؤيا الصادقة من الله»[1]. وقوله: «رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»[2]. ولعل هذه بعض الأسباب التي جعلت الشيخ يؤلف كتابه في هذا الباب.

منهج المؤلف في الكتاب:

انتقى المؤلف رحمه الله تعالى، من أخبار الرؤى والمبشرات ما تحقق من وضوح معناه، وتقبُّل عامّة النّاسِ له، وحذف من ذلك ما كان من الحقائق العرفانية، أو يستعصي على عامّةِ النّاس فهمه وإدراكه. فهو لم يخبط خبط عشواء، إنّما جمع وحرّر، ونقّح ونقّب، عمل حافظ محنّك في الدراية والرواية.

ولذلك نجده في النسخة التي وصلت إلينا، يضرب ويحذف الكثير من الأخبار التي كان أثبتها ابتداءً، ثم طمسها طمسًا لا يمكن معرفة ما

= إلى ﷺ، برقم:3. ومسلم في صحيحه، كتاب: الإيمان. باب: بدء الوحي إلى ﷺ برقم: 160. عن عائشة رضي الله عنها.

(1) أخرجه البخاري في: صحيحه، كتاب التعبير، باب: الرؤيا من الله. برقم: 6984. عن أبي قتادة رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري في: صحيحه كتاب: التعبير، باب: الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة، برقم: 6987. ومسلم في: صحيحه، كتاب: الرؤيا، برقم: 2264. عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه.

أسفله، ممّا يدل على تثبّته في رواية الأخبار المنسوبة إلى رسول الله ﷺ من حيث نسبتها من جهة، ومن حيث مضمونها وعبارتها من جهة أخرى، وإن كان ذكرها في سياقها في كتب له أخرى؛ كنحو «المظاهر السامية في النسبة الشريفة الكتانية» و«السرّ الحقي الامتناني الواصل إلى ذاكر الرّاتب الكتاني»، و«ما علق بالبال أيام الاعتقال»، وغيرها مما سياق الكتاب يتقبل بعض ذلك.

وقد جاء تعداد ما أثبته الحافظ الكتاني من الأخبار نحوا من تسع عشْرة ومائة «مبشرة»، سوى ما حذفه مما يبلغ نحو خمس عشرة مبشرة، رواها عن أعلام مشارقة ومغاربة، فيهم من اشتهر بالعلم، ومن اشتهر بالعبادة والسلوك، وجل أخباره ثنائية السند وثلاثية، وربما أورد أخبارًا وقعت له نفسه، أو نقلها مباشرة عمّن وقعت له.

جمع المرائي النبوية مسندة داخلٌ في علوم الحديث:

وهذا «المسند» لم نقف على من عني به على هذه الطريقة من قبل، فيعتبر ابتكارا علميا من ابتكارات الحافظ الكتاني، يضاف إلى علوم الحديث والسنّة، وهو حري بأن يعتنى به جمعًا وتحريرًا. فإن كتب السلف والخلف مليئة بالأخبار المسندة عن أئمة وغيرهم، بذكر مرائي ومبشرات منسوبة إلى رسول الله ﷺ غير أنها تحتاج للجمع والتنقيح.

نعم، عني العلماء قديمًا وحديثًا بجمع مرائيهم، وأخبارها، أو مرائي أحد شيوخهم أو ما رُئِي له، وفيها ما هو نبوي وما هو غير ذلك، وربّما من أقدم من جمع مرائيه وأفردها بالتأليف: الإمام أبو جعفر أحمد بن

عبد الله بن سيد بونة الخزاعي الأندلسي ت624هـ، في كتابه: «الشهاب موعظة لأولي الألباب»، وللشيخ الأكبر ابن عربي الحاتمي[1] كتاب في المرائي، وللحافظ الضيّاء محمد بن عبد الواحد المقدسي ت643هـ، كتاب في المرائي النبوية المتعلّقة بالإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله تعالى، والإمام عبد الله بن سعد ابن أبي جمرة الأنصاري الأندلسي ت699هـ، له كتاب «المرائي الحسان»؛ ذكر فيه مرائيه أو مرائي رئيت له.

غير أن هذه الكتب لم تتخصص في المرائي النبوية، بل ذكرت منها ومن غيرها، بالأحرى أن تضم جمعا مسندًا لما روي لها من ذلك. فيكون الحافظ الشيخ عبد الحي الكتاني - كما أسلفت - مبتكرًا لهذا الباب من أبواب علوم السنّة والحديث من جهة، ومن الأبواب المعرفية من جهة أخرى.

وقد عمل عملًا مشابهًا له ابن أخيه الإمام العارف بالله، أبو الهدى محمد الباقر بن محمد بن عبد الكبير الكتاني ت1384هـ، رحمه الله تعالى، في كتاب له جمع فيه كرامات والده الشيخ أبي الفيض الشهيد قدس سره، فبلغ بها نحو ثلاثمائة كرامة، نقلها بأسانيده، والكثير منها تحمل أخبارًا نبوية. كما أنّه ألّف كتابًا بعنوان: «حصول السول في اجتماعاتي بسيدنا الرسول»، وآخر بعنوان: «البشائر الاهتدائية، في المرائي المنامية».

---

(1) ولد سنة 560هـ، وتوفي سنة 638هـ، ترجمه المؤلف في «فهرس الفهارس» (1/316-319)، وترجمتُه أيضًا في: «سير أعلام النبلاء» (23/48-49)، وفي «لسان الميزان» (3/391-397).

محتوى الكتاب:

نظرًا لنفاسة الكتاب في بابه، واحتوائه على لطائف فريدة في بابها، ارتأيت أن أقوم بتحقيقه والتقدم به لنيل شهادة الماستر؛ بيد أن جلالة موضوعه، وهيبة مؤلفه الشيخ العلامة، جعلاني أحجم أوّل الأمر، لكنني سرعان ما قررت أن أنهض بهذا العمل الجليل، متمثلًا بقول الشاعر: [الوافر]

إِذَا غَامَرْتَ فِي شَرَفٍ مَرُومٍ فَلَا تَقْنَعْ بِمَا دُونَ النُّجُومِ
فَطَعْمُ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ حَقِيرٍ كَطَعْمِ الْمَوْتِ فِي أَمْرٍ عَظِيمِ[1]

ويضم هذا الكتاب تسع عشرة ومائة مبشرة من المبشرات النبوية، التي رآها الشيخ بنفسه، أو رآها بعض الأكابر من أقاربه، وغيرهم من شيوخه، وشيوخ شيوخه، أو من اتصل إسناده بهم من غيرهم، أو تلقاها منهم من أقرانه، وبعض الصادقين من تلامذته، كما صرح بذلك في مقدمة كتابه هذا؛ مقتديًا في ذلك بالشّيخ الأكبر محيي الدّين بن العربي الحاتمي، قُدِّس سرُّه الأطهر؛ في جمع مثل هذا النّحو من المرائي النبوية، واقتداء بالإمام أبي الحسن المنتوري[2]، المسند المشهور في جمعه مطلق المرائي التي رواها له مشايخه أو أصحابه بإسناد متصل، معنونًا عن كل مبشرة بموضوعها، ليسهل على الواقف الاستفادة.

---

(1) البيت للمتنبي في: ديوانه: (119/4) بشرح العكبري.

(2) توفي عام 834هـ، ترجمه المؤلف في «فهرس الفهارس» والأثبات» (564/2-565)، وانظر «فهرسة» الإمام الحافظ أبي زكريا يحيى بن أحمد السراج (ص670-672)، و«نيل الابتهاج» (166/2-167).

وكان قصد المؤلف رحمه الله، بكل ذلك: جمع ما له بسيد الأرسال علاقة من قول وفعل، منامًا أو يقظةً.

وقد جاءت هذه المبشرات متنوعة؛ فمنها، على سبيل المثال لا الحصر، ما له ارتباط بتلقي بعض صيغ الصلاة على النبيﷺ وبعض سور القرآن الكريم مثل:

- تلقي أوّل سورة النّحل من المصطفى ﷺ.
- تلقي آخر سورة البقرة.

والكتب مثل:

- تلقي الصحيحين والموطأ.
- تلقي دلائل الخيرات من المصطفى - .

وبالإضافة إلى المبشرات والبشارات، فقد أورد الكتاب منذرة في حق صاحب «الكشاف» وفضله.

قيمة الكتاب العلمية وإضافاته في بابه:

لقد جاء الاهتمام بالرؤيا الصادقة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ اهتمامًا يحفظ المسلم من الغلو أو التفريط فيها. فالرؤيا الصادقة من الله، وهي جزء من أجزاء النبوة، ومن مبشرات النبوة، وهي من الأنبياء وحي، بل هي مبدأ الوحي، والتصديق بها حق، ولا خلاف فيها بين أهل الحقّ والدين، ولا ينكرها إلا من شذَّ عن الحقّ.

وقد دل كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أن رؤيا الأنبياء وحي، فهي تدخل في قوله تعالى:﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ الله إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ رَسُولًا فَيُوحِي بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾[1]. ولهذا ذكر الله تعالى في كتابه بعض رؤى أنبيائه، فمن ذلك قوله تبارك وتعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ الله فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوَ ارَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الَامْرِ﴾[2]. وجعل سبحانه معجزة نبيه يوسف عليه السلام تأويل الرؤى، كما جاء في سورة يوسف. وكذلك ما جاء في رؤيا إبراهيم عليه السلام، وكيف أقدم على ذبح ابنه وعد ما رآه في المنام أمرًا من الله تعالى، وكذلك الابن الذي استسلم لأمر ربه فقال: ﴿قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلِ مَا تُومَرُ﴾. قال تبارك وتعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيِ إِنِّيَ أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّيَ أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَا ذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُومَرُ سَتَجِدُنِيَ إِنْ شَاءَ الله مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَالِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾[3]. وكذلك رؤيا نبينا محمد ﷺ في قصّة الحديبية. قال تعالى: ﴿ لَقَدْ صَدَقَ الله رَسُولَهُ الرُّءيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ الله آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾[4]. أما السنّة فقد بين النبي ﷺ أن أوّل أحوال النبيين الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

---

(1) الشورى:51.

(2) الأنفال:44.

(3) الصافات:102-105.

(4) الفتح:27.

وكذلك رؤيا المؤمن فهي جزءٌ من ستّةٍ وأربعين جزءًا من النبوة، كما ثبت عنه ﷺ وهي من مبشّرات النبوّة، وباعثةُ خير وطمأنينة. ولهذا وردت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ في شأن الرؤى، فهناك أحاديث تبيّن أقسامها، وأنّ ما يراه الإنسان في منامه منه الرؤيا الحقّ، ومنه حديث النّفس، ومنه تهاويل الشيطان، ولكل نوع علاماته وصفاته. وهناك أحاديث تبيّن أنّ الرؤيا الصالحة جزء من أجزاء النبوّة ومبشراتها، وأحاديث تبيّن أن رؤية النبي ﷺ في المنام حقّ، إذا رآه الرائي على صورته. وهناك أحاديث تبيّن الآداب التي ينبغي أن يتأدّب بها المسلم عندما يرى ما يحبّ، وعندما يرى ما يكره. كما ثبتت أحاديث عن النبي ﷺ في تعبيره للرؤيا، وهي كثيرة جدًا. بالإضافة إلى أحاديث أخرى تبيّن أحكام الرؤى، وحكم الكذب فيها، وهل الرؤيا إذا عبرت وقعت؟ وما شروط المعبر وآدابه؟ وغيرها من الآداب والأحكام.

وقد كان ﷺ كثيرًا ما يقول لأصحابه «هل رأى أحد منكم رؤيا»[1] كما ثبت من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه. ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنّ رسول الله ﷺ كان ممّا يقول لأصحابه: «من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له»[2]. ومن حديث أبي هريرة رضي الله عنه، أنّ رسول الله ﷺ كان إذا انصرف من صلاة الغداة يقول: «هل رأى أحد منكم

(1) جزء من حديث أخرجه البخاري في: صحيحه ـ كتاب: الجنائز، باب: ما قيل في أولاد المشركين. برقم: 1386. عن سمرة بن جندب رضي الله عنه.

(2) جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في: صحيحه، كتاب الرؤيا، باب: في تأويل الرؤيا، برقم: 2269. عن ابن عباس رضي الله عنه.

الليلة رؤيا؟ فيقول إنه ليس يبقى بعدي من النبوة إلا الرؤيا الصالحة»[1].
قال ابن عبد البر رحمه الله: «وهذا الحديث يدل على شرف علم الرؤيا وفضلها، لأنه ﷺ إنّما كان يسأل عنها لتقصّ عليه، ويعبرها، ليعلم أصحابه كيف الكلام في تأويله»[2].

بل إن النبي ﷺ وهو على فراش الموت، في مرضه الأخير، الذي سيودّع فيه أمته، ويلقى ربّه، لا ينسى أن يكشف الستار، والنّاس صفوف خلف أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فيقول: «إنّه لم يبق من مبشرات النبوّة إلا الرؤيا الصالحة، يراها العبد الصالح أو ترى له»[3].

ومن هنا تتجلي أهمّية كتاب «المبشرات النبوية» للحافظ الشيخ عبد الحي الكتاني، وقيمة إصدار هذا العمل وإبرازه للوجود، حتى ينتفع به النّاس، ويهتدوا بهديه، وينسجوا على منواله.

(1) أخرجه مالك في: موطئه، برقم: 2748.
(2) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (313/1).
(3) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الصلاة، باب: النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود. برقم: 479. عن ابن عباس رضي الله عنه.

نماذج من المخطوط:

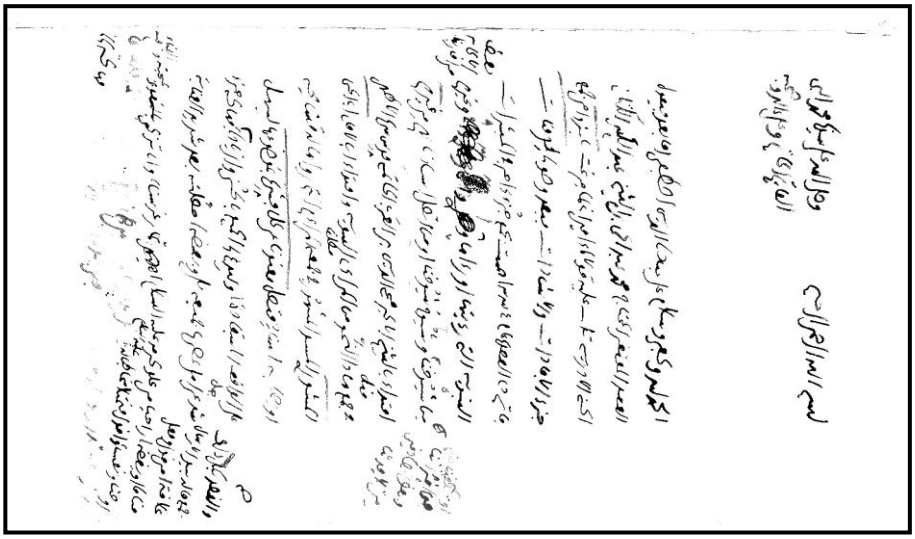

الصورة الأولى من المخطوط

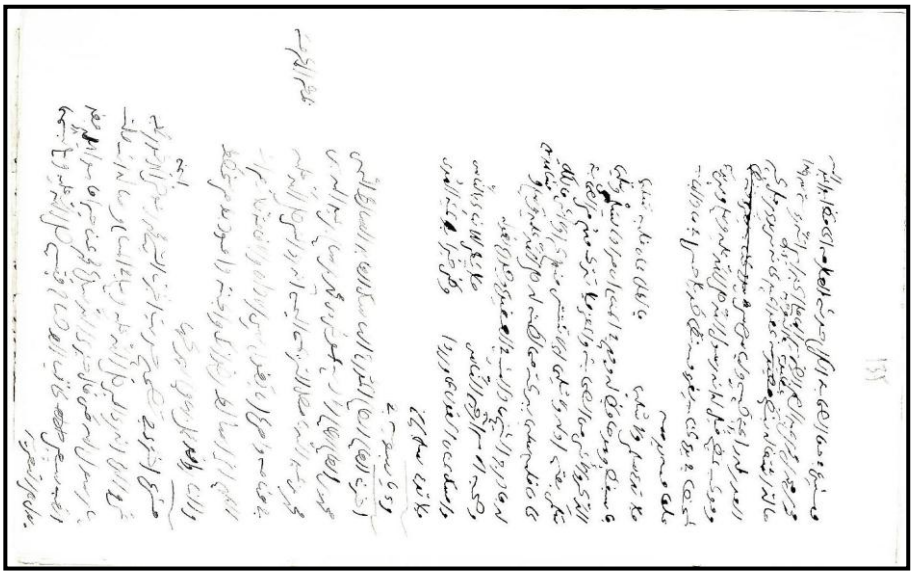

الصورة الأخيرة من المخطوط

قائمة بالمصادر والمراجع

1. **القرآن الكريم.**
2. إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع، لعبد السلام بن عبد القادر بن سودة، (ت1400هـ)، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1417هـ/1997م.
3. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، توفي سنة: 354هـ. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، توفي سنة: 739هـ. حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ط: 1، 1408 هـ - 1988م.
4. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية - المغرب، عام النشر: 1387هـ.
5. الثبت الكبير في مشيخة وأسانيد وإجازات الشيخ حسن المشاط المكي، توفس سنة:1399هـ، دراسة وتحقيق: د/ محمد بن عبد الكريم بن عبيد. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي سنة الطبع 1426هـ.2005م.

6. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) ط: 1، 1422هـ.

7. الدليل المشير إلى فلك أسانيد الاتصال بالحبيب البشير ﷺ وعلى آله ذوي الفضل الشهير وصحبه ذوي القدر الكبير، للقاضي أبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي العلوي، (ت1374ه)، المكتبة المكية، ط1، 1418هـ/1997م.

8. ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري، المسمى بالتبيان في سرح الديوان، ضبطه وصححه مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي، الناشر دار المعرفة بيروت.

9. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، توفي سنة748هـ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط11، 1405هـ/1984م.

10. فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، (ت 1382هـ). اعتناء الدكتور إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي. د.م. 1402هـ / 1982م.

11. قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ، لأحمد بن العياشي سكيرج، تحقيق: محمد الراضي كنون، دار الأمان. دت.

12. كتاب المغرب للصديق بن العربي دار الغرب الإسلامية ط 1404هـ، 1984م.

13. لسان الميزان، للإمام الحافظ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، (ت 852هـ). اعتنى به الشيخ، عبد الفتاح أبو غدة. دار البشائر الإسلامية. ط 1 بيروت. 1423هـ/ 2002م.

14. المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، توفي: 405هـ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، سنة:1411هـ. 1990م.

15. مسند الإمام أحمد بن حنبل المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، توفي سنة: 241هـ. تحقيق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي الناشر: مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421 هـ – 2001 م

16. المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، توفى: 261هـ، تحقق: محمد فؤاد عبد الباقي الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

17. مطالع الأفراح والتهاني في ترجمة الشيخ عبد الحي الكتاني لعمر بن الحسن الكتاني، تحقيق: خالد السباعي، دار الحديث الكتانية، ط1، 1436هـ/2015م..

18. الْمُوَطَّأ لمَالِكِ بن أَنَسٍ الأَصْبَحِيِّ، توفي سنة 179 هـ، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت تحقيق: بشار معروف.

19. النبذة اليسيرة في تاريخ الدولة العلوية الشهيرة للشيخ عبد الحي الكتاني، (ت1382هـ)، تحقيق عبد الهادي جمعون، دار الحديث الكتانية، ط1، 2018.

20. النجوم السوابق الأهلة فيمن لقيته أو كتَب لي من الأجلة، للمؤلف، محفوظ بمكتبة الحرم المكي تحت رقم 794.

❊ ❊ ❊ ❊